

تأليف

أبي محمّد عبد الله بن مُسلم بن قتيبة الدّينوريّ

المتوفى سنة ٢٧٦هـ

الجزء الثالث

كتاب الإخوان ـ كتاب الحوائج ـ كتاب الطعام

شرحه وعلّق عليه

الدكتور مفيد محمد قميحة

أستاذ الأدب العربي بالجامعة اللبنانية

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

يطلب من: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان
هاتف: ٨٠١٣٣٢ - ٨٠٥٦٠٤ - ٨٠٠٨٤٢
ص.ب: ١١/٩٤٢٤ تلكس: Nasher 41245 Le

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الإخوان

الحث على اتخاذ الإخوان واختيارهم

حدّثنا سَهْل بن محمد قال: حدّثنا الأصمعيّ قال: أخبرنا العِجْليّ قال بعض الأدباء لابنه: يا بُنيَّ، إذا دخلْتَ المصرَ فآستكثر من الصديق فأمّا العدوّ فلا يَهُمنَّكَ؛ وإياكَ والخُطَبَ فإنها مِشْوَار[1] كثيرُ العِثَارِ[2].

قال: وبلغني عن الأوزاعيّ[3] عن يحيى بن كَثير: أنَّ داود النبيّ عليه السلام قال لابنه سليمان عليه السلام: يا بُنيَّ، لا تَستَبدِلنَّ بأخٍ لك قديمٍ أخاً مُستفاداً ما آستقامَ لك، ولا تَستَقِلَّنَّ أن يكون لك عدوٌّ واحدٌ، ولا تَسْتَكثِرَنَّ أن يكون لك ألفُ صديق.

وكان يقال: أعجزُ الناس مَنْ فرَّط في طلب الإخوان، وأعجزُ منه مَنْ ضَيَّع مَنْ ظَفِر به منهم.

وفي الحديث المرفوع: «المرءُ كثيرٌ بأخيه». وأنشد آبن الأعرابيّ[4]:

---

(١) ألمشوار: الشوط.

(٢) العثار: السقوط والزلل.

(٣) الأوزاعي: هو عبد الرحمن بن عمرو بن يُحمِد، من قبيلة الأوزاع، أبو عمرو إمام الديار الشامية في الفقه والزهد، ولد في بعلبك ونشأ في البقاع وسكن بيروت وتوفي بها سنة ١٥٧ هـ.

(٤) ابن الأعرابي: هو محمد بن زياد، أبو عبد الله، راوية علامة باللغة والأنساب، عالم بالشعر والأدب مات بسامراء سنة ٢٣١ هـ له عدة مصنفات، منها أسماء الخيل وفرسانها، والنوادر، وتاريخ القبائل.

لعمرُكَ ما مالُ الفتى بذخيرةٍ ولكنَّ إخوانَ الثقاتِ الذخائرُ

وقال أبو الجرّاح العُقَيلي: وجدتُ أعراضَ الدّنيا[١] وذخائرَها بِعَرْضِ المتالِف[٢] إلاّ ذخيرةَ الأدب وعَقِيلةَ الخُلَّةِ، فاَستكثِروا من الإخوان واستعصِموا بعُرَا الادب.

وكان يقال: الرجلُ بلا إخوانٍ كاليمين بلا شِمَالٍ. وقال الشاعر:

[من طويل]

إذا لم يكُنْ للقوم عِزٌّ ولم يكنْ لهم رَجُلٌ عند الإمامِ مَكِينُ
فكانوا كأيدٍ أوهَنَ اللهُ بطشَها تُرَى أشمُلاً ليستْ لهنّ يمينُ

قال أيوبُ السَّختِيانيّ: إذا بلغني موتُ أخٍ لي فكأنّما سقط عضوٌ منّي.

وقال القَطامِيّ[٣]: [من الكامل]

وإذا يُصيبُكَ ـ والحوادثُ جَمَّةٌ ـ حَدَثٌ حَدَاكَ إلى أخيك الأوثقِ[٤]

وقال آخر[٥]: [من الطويل]

أخاكَ أخاكَ إنّ مَنْ لا أخا له كساعٍ إلى الهَيْجَا بغير سِلاحِ[٦]
وإنّ آبنَ عَمِّ المرءِ فاَعلَمْ جَنَاحُه وهل يَنهَضُ البازِي بغير جَناحِ

(١) أعراض الدنيا: أي متاعها، وكلُّ شيءٍ عَرْضٌ إلاّ الدراهم والدنا نير فإنها عَيْنٌ.

(٢) المتالف: البلاء والفناء.

(٣) القطامي: هو عُمير بن شُييم من بني تغلب، وكان حسن التشبيب رقيقه وله مدائح وأصابع كثيرة.

(٤) جمّة: كثيرة، وحداك: ساقك.

(٥) هو مسكين الدارميّ واسمه ربيعة بن عامر من بني دارم، ولقّب مسكيناً فقال.
وسُمّيت مسكيناً وكانت لحاجةً وإنّي لمسكينٌ إلى الله راغب

(٦) آخاك أخاك: منصوبة على فعلٍ مضمر تقدير إلزم.

وقال الثَّقَفيّ[١]: [من الطويل]

مَن كان ذا عَضُدٍ يُدْرِكْ ظُلَامَتَهُ إنّ الذليلَ الذي ليستْ له عَضُدُ

تَنْبو يداهُ إذا ما قَلَّ ناصِرُهُ ويأنَفُ الضَّيمَ إنْ أَثْرى له عَدَدُ[٢]

وقال آخر: [من الوافر]

وبَغضاءُ التقِيّ أقلُّ ضَيْراً وأسلَمُ من مودّة ذِي الفُسُوقِ[٣]

ولن تَنفَكَّ تُحْسَدُ أو تُعادَى فأكْثِرْ ما ٱستطعتَ من الصّديقِ

وكتب الفضلُ بن سَيّار إلى الفضل بن سَهْل[٤]: [من الرّمل]

يا أبا العباسِ إنّي ناصحٌ لكَ والنصحُ لذي الودّ كبيرُ

لا تُعِدّنّ ليومٍ صالحٍ إنّ إخوانَك في الخير كثيرُ

ولْيكُنْ للشرّ ما أعددتَهُم إنّ يومَ الشرّ صَعْبٌ قَمطرِيرُ[٥]

هذه السُّوقُ التي آمُلُها يا أبا العباس والعمرُ قصيرُ

قال المأمون: الإخوانُ ثلاثُ طبقاتٍ: طبقةٌ كالغِذاء لا يُستغنَى عنه، وطبقةٌ كالدواء لا يُحْتاجُ إليه إلّا أحياناً، وطبقة كالداء لا يحتاج إليه أبداً.

قال حدّثني سعيدُ بن سليمان قال: حدّثنا إسماعيلُ بن زكريّا عن سعيد ابن طَرِيف عن عُمير بن المأمون قال: سمعتُ الحسنَ بن عليّ يقول: من أدام الاختلاف إلى المسجد أصاب ثمانيَ خصال: آيةً محكمةً، وأخا مُستفاداً،

(١) الثقفي هو: عمرو بن حبيب أحد الأبطال الشعراء الكرماء في الجاهلية: أسلم سنة ٩هـ. وروى عدّة أحاديث. توفي باذربيجان.

(٢) تنبويده: أي شكلّ وتضعف، وقيل نبا السيف: إذا لم يعمل في الضّريبة.

(٣) الضير: من الضرر.

(٤) الفضل بن سهل: السرخسي هو وزير المأمون وصاحب تدبيره. كان مجوسياً وأسلم. ولي الوزارة وقيادة الجيش ولقب بذي الرياستين.

(٥) قمطرير: شديد.

وعلماً مُستطرفاً، ورحمةً مُنتظرةً، وكلمةً تَـدُلُّه على هـدىً أو تَردَعُـهُ عن ردىً، وتَرْكَ الذنوبِ حَياءً أو خَشْيةً.

قال وحدّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ عن أبيه قال: كان يقال: الصـاحبُ رُقعةٌ في قميص الرجل، فلينظُرْ أحدكُمْ بِمَ يَرْقَع قميصَه.

وحدّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ عن أبيه أنه قال: كان يقال: مـا وجدنـا شيئاً أبلغَ في خير أو شرّ من صاحب.

وحدّثني الرياشيّ عن الأصمعيّ قال حدّثنا سليمانُ بن المُغيرة قال: قال يونس[١]: اثنان ما في الأرض أقلُّ منهمـا ولا يزدادان إلا قِلَّةً: درهمٌ يـوضَعُ في حقٍّ[٢]، وأخٌ يُسكَنُ إليه في الله.

وحدّثني شيخ لنا عن محمد بن مُنَـاذِر عن سفيانَ بن عُيينـةَ[٣] قال: قـال علقمـةُ بن لَبِيد العُـطَارِديّ لابنه: يـا بنيّ، إذا نَزَعَتـكَ[٤] إلى صحبة الـرجـال حاجةٌ، فاصحَبْ منهم مَنْ إنْ تخِبُّه زانك، وإن خدَمَته صانـك، وإن أصابتـكَ خَصَـاصَةٌ مـانك[٥]؛ وإن قلتَ صـدّقَ قولـك، وإن صُلتَ شَدّ صَـوْلَك[٦]؛ وإن مَدَدتَ يدكَ بفَضلٍ مَدّها، وإن رأى منكَ حسنةً عدّها؛ وإن سألتَه أعطاك، وإن سكتَّ عنه ابتداك، وإن نَـزلَتْ بك إحـدى الملِمّات آسـاك؛ مَنْ لا يأتيـك منه

(١) يونس: هو ابن حبيب الضبيّ أبو عبد الرحمن. يعرف بالنحوي علّامة بالأدب كان إمـام نحاة البصرة أخذ منه الكسائي والفراء.

(٢) الحق: الطريق الصحيحة.

(٣) سفيان بن عيينة: بن ميمون الهلالي الكـوفي: أبو محمـد من الوالي. كـان حافـظاً ثقةً واسـع العلم كبيـر القدر. قـال الشافعي: لـولا مالـك وسفيان لـذهب علم الحجاز لـه الجامـع. في الحديث.

(٤) نزعتك: أغرتك.

(٥) الخصاصة: الفقر، ومانك: أي أنعم عليك.

(٦) الصول: الوثوب.

البوائق[١]، ولا تَختلِفُ عليكَ منه الطرائق، ولا يَخذُلُكَ عند الحقائق؛ وإن حاول حويلاً آمَركَ[٢]، وإن تنازعتما مُنْفساً[٣] آثرك.

قال محمد بن كعب القُرَظِيّ لعمر بن عبد العزيز: إنّ فيك عقلاً وإنّ فيك جهلاً، فَدَاوِ بعضَ ما فيكَ ببعضٍ، وآخِ من الإخوان من كان ذا مَعْلاةٍ[٤] في الدّين ونيَّةٍ في الحقّ، ولا تُؤاخِ منهم مَنْ تكونُ منزلتكَ عنده على قدر حاجتهِ إليكَ، فإذا قضى حاجتَه منك ذهب ما بينكَ وبينه. وإذا غَرسْتَ غِراساً من المعروف فلا تَبقين[٥] أن تحسُن تربيتُه.

وقال الأحنفُ بن قيس[٦]: خيرُ الإخوانِ مَنْ إن اِستغنَيْتَ عنه لم يَزِدْكَ في المودّةِ، وإن احتجتَ إليه لم يَنقُصْكَ منها، وإن عَثَرْتَ عَضَدَكَ، وإن احتَجْتَ إلى مَؤُونَتِه رَفَدَكَ. وقال الشاعر: [من الرجز]

إنّ أخاكَ الصِّدقَ مَنْ لن يَدَعَكْ ... ومَنْ يضُرُّ نفسَه لِينفَعَكْ
ومَنْ إذا رَيبُ زمانٍ صَدَعَكْ[٧] ... شتّتَ شملَ نفسِه ليجمَعَكْ
وإن رآكَ ظالماً سَعَى معَكْ

(١) البوائق: الدواهي.
(٢) آمرك: شاورك.
(٣) منفساً: من النفيس، وآثرك: أي فضّلك على نفسه.
(٤) المعلاة: العلو والشرف.
(٥) فلا تبقين: أي فلا تنتظرنّ، وبقي الشيء يبقيه بقيا: انتظره ورصده.
(٦) الأحنف بن قيس بن معاوية التميمي، سيد تميم. أحد العظماء الدهاة الفصحاء، ولد في البصرة. وأدرك النبي ﷺ ولم يره. شهد الفتوح في خراسان وشهد صفّين مع علي توفي في الكوفي.
(٧) صدع: فرّق وباعد.

وقال حُجَيّة بن المضرّب[١]: [من الطويل]

أخـوكَ الـذي إن تَـدعُـه لمُلِمّـةٍ يُجِبْكَ وإن تَغضَبْ إلى السّيفِ يَغْضَبِ

وكتب رجلٌ إلى صديق له: أنت كما قال أعشَى باهِلَةَ[٢]: [من البسيط]

مَنْ ليس في خيـرِه مَنٌّ فيُفسِدَه على الصّديقِ ولا في صفوِهِ كـدرُ[٣]

وليس فيـه إذا استَنظرتَـه عجَـلٌ وليس فيـه إذا ياسَرتَـه عُسُـرُ[٤]

وقال عليّ بن أبي طالب كرّم اللهُ وجهَه: [من الطويل]

أخـوكَ الـذي إن أحـوَجَتْكَ مُلِمَّـةٌ من الدّهرِ لم يبرَحْ لها الدّهرَ واجِمَا[٥]

وليس أخـوكَ الحقُّ مَنْ إن تشعَّبَتْ عليـك أمـورٌ ظـلّ يلحـاكَ لائمَـا[٦]

وقال آخر: [من الطويل]

إذا كـان إخـوانُ الـرجـالِ حـرارةً فـأنتَ الحلالُ الحُلْوُ والبـاردُ العَذْبُ

لنـا جـانبٌ منـه دَمِيـثٌ وجـانبٌ إذا رامـه الأعـداءُ مَـرْكَبُه صَعْبُ[٧]

وتـأخـذُه عـنـد المكـارمِ هِـزَّةٌ كما اهتزَّ تحت البارحِ الغُصُنُ الرطب[٨]

وقال آخر: [من البسيط]

أَبكِي أخـاً يَتَلقّـاني بنـائـلهِ قبلَ السؤال ويلقَى السّيفَ مِنْ دونِي[٩]

---

(١) حجية بن المضرب الكندي. أبو حوط. شاعر جاهلي من نصارى كنده أدرك الإسلام.
(٢) أعش باهلة: هو عامر بن الحارث بن رياح الباهلي شاعر جاهلي ويكنى أبا قحفان.
(٣) الكدر: ضد الصفو.
(٤) يا سرته: من اليسر.
(٥) الواجم: الشديد الحزن.
(٦) يلحاك: يلومك ويعاديك.
(٧) الدميث: السهل الليّن.
(٨) الهزّة: النشاط والارتياح والبارح.
(٩) النائل: العطاء والمعروف، ويلقى السيف من دوني: أي يذبّه عنّي ويدفعه.

إنّ المنـايـا أصـابتْني مَصـائبُهـا ... فـاستعجَلَتْ بـأخٍ قـد كـان يَكفِيني

وقرأتُ في كتاب للهند: رأسُ المودّةِ الاستِرسالُ[١].

وقال أكثمُ بنُ صَيفيّ[٢]: مَنْ تراخى تألّف[٣]، ومن تشدّدَ نفَّـر، والشرفُ التغافلُ. وقال حاتمٌ: العاقل فَطِنٌ مُتغافلٌ.

وقرأتُ في كتاب للهنـد: مِنْ علامـة الصديقِ أن يكـون لصديقِ صـديقِه صديقاً ولعدوّ صديقه عدوّاً. قال العتّابيّ في ذلك[٤]: [من الطويل]

تَـودُّ عـدوّي ثـم تـزعُم أنّـني ... صديقُكَ، إنَّ الرأيَ عنك لعازِبُ[٥]

وليس أخي مَنْ ودَّني رَأْيَ عـينِـه ... ولكِنْ أخِي مَنْ صَدَّقَتْه المغايِبُ[٦]

قيل لبُزُرْجِمْهر: أخوك أَحَبُّ إليـك أم صديقُـكَ؟ قال: إنمـا أُحِبُّ أخي إذا كان صديقاً.

وقال بعضهم: إنّ أحبَّ إخواني إليّ، مَنْ كَثُرَتْ أيادِيهِ عليّ.

وقال رجل في أخ له: [من الوافر]

وكنت إذا الشـدائـدُ أرْهَقتْني ... يقـومُ لهـا وأقعـدُ لا أقـومُ

---

(١) الاسترسال: الإستئناس والحبور.

(٢) أكثم بن صيفي بن رياح بن الحارث بن معاوية التميمي حكيم العرب في الجاهلية أدرك الإسلام ولم ير النبي ﷺ وهو المعيُّ بالآية الكريمة: ﴿ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله﴾.

(٣) تألّف: من الألفة، أي كثير الآفة وصحبه.

(٤) العتّابي: هو كلثوم بن عمر بن أيوب التغلبي، من بني عتاب بن سعد كاتب، حسن الترسل، وشاعر مجيد، سكن بغداد ومدح الرشيد واختص بالرامكة.

(٥) عازب: مفارق ومبتعد.

(٦) أي أنّ الأخ من يحفظ أخاه في غيابه وليس في حضوره.

وقال آخر: [المتقارب]

أخٌ طـالـمـا سَـرَّنـي ذكـرُه فأصبحتُ أشجَى لدَى ذكرِه[١]
وقـد كنت أغـدُو إلى قصـره فـأصبحتُ أغـدُو إلى قبـرِه
وكـنـت أرَانـي غـنـيّـاً بـه عن النـاس لـو مُـدَّ في عُمرِه
إذا جئتُـه طـالبـاً حـاجـةً فـأمـري يَجُـوزُ على أمـرِه[٢]

وصف أعـرابيّ رجلاً قـال: كان واللهِ يَتَحسَّى مـرارَة الإخـوانِ ويَسقِيهم عَذْبَهُ. وقال أعرابي[٣]: [من الوافر]

أخٌ لـكَ مـا تـراه الـدّهـرَ إلاّ على العِـلاّتِ بَسَّامـاً جـوَادَا[٤]
سـألنـاه الجـزيـلَ فمـا تَلَكَّـا وأعـطَى فـوق مُنْيَتِنَـا وزادَا[٥]
فـأحسنَ ثم أحسَنَ ثم عُـدنـا فـأحسنَ ثم عدت لـه فعـادا
مـرَاراً لا أعـودُ إلـيـه إلاّ تبسَّمَ ضـاحكاً وثَنى الـوِسـادَا[٦]

المودّة بالتشاكل[٧]

بلغني عن آبن عُيينة أنه قال: قال ابن عباس: القرابـة تُقْطَعُ والمعـروفُ يُكْفَر، ولم يُرَ كتقارُبِ القلوب.

(١) أشجي: أحزن.
(٢) يجوز: يتقدّم.
(٣) هذه الأبيات نسبت في الأغاني لزياد الأعجم (ج ١٤ ص ١٠٢) طبع بولاق.
(٤) على العلاّت: هو من قولهم: على علاّته: أي على كلّ حال.
(٥) تلكا: أي تلكأ واعتذر وقصّر.
(٦) وثنى الوساد: أي طواه ليرفع ما تحته.
(٧) التشاكل: التقارب والتشابه.

قال رجل للعَرْجِيّ[١]: جئتكَ أخطبُ إليك مودّتكَ؛ فقال: لا حاجة بكَ إلى الخطْبة، قد جاءتكَ زناً فهو ألذُّ وأحلَى. وقال الكُميْتُ بن معروف[٢]: [من الطويل]

وما أنا بالنِّكْسِ الدّنِيء ولا الذي ... إذا صَدّ عنه ذو المودّةِ يَقْرُبُ[٣]
ولكنّه إن دام دمتُ وإن يكن ... له مذهبٌ عني فلي عنه مذهبُ[٤]
ألَا إنّ خيرَ الودّ وُدٌّ تطوّعَتْ ... به النفسُ لا وُدٌّ أتى وهو مُتعِبُ

وقال الطائي[٥]: [من البسيط]

ذو الودّ منّي وذو القُرْبى بمنزلةٍ ... وإخوتي أسوةٌ عندي وإخواني
عِصابةٌ جاورَتْ آدابُهم أدبي ... فهم وإن فُرِّقُوا في الأرض جيراني
أرواحُنا في مكانٍ واحدٍ وغَدتْ ... أبدانُنَا بِشامٍ أو خُراسانِ

وقال عبدُ الله بنُ عبدِ الله بن عتبةَ لعمر بن عبد العزيز: [من الطويل]

أبِنْ لِي فكُنْ مثلي أوِ آبتَغِ صاحباً ... كمثلكَ إنّي مُبتَغٍ صاحباً مِثْلِي
عزيزٌ إخائي، لا يَنالُ مودّتي ... من القوم إلا مسلمٌ كاملُ العقلِ
وما يَلبَثُ الإخوانُ أن يتفرّقوا ... إذا لم يُؤلِّفْ رُوحُ شكلٍ إلى شكلِ

(١) العرجي: هو عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان، وكان ينزل بموضع قبل الطائف يقال له العرج فنسب إليه، شاعر مجيد.
(٢) الكميت بن معروف بن الكميت بن ثعلبة بن نوفل الأسدي من بني جحوان بن فقعس شاعر مخضرم.
(٣) النّكس: هو الرديء الذي لا يرتجى منه خير.
(٤) مذهب: رحيل وفراق.
(٥) الطائي: هو أبو تمام الشاعر.

وقال الطائي : [من الطويل]

ولن تنظِمَ العِقدَ الكَعابُ لزينةٍ كما يَنظِمُ الشملَ الشّتيتَ الشمائلُ(١)

كتب بعضُ الكتّاب إلى صديق له : إني صادفتُ منك جوهرَ نفسي ، فأنا غيرُ محمودٍ على الانقياد لك بغير زِمامٍ(٢)، لأن النفسَ يَتْبَع بعضُها بعضاً .

قال حدّثني محمد بن داود قال حدّثنا يزيد بن خَلَف عن يعقوب بن كعب عن بَقِيَّةَ عن صَفْوانَ بنِ عمرو عن شُريح عن أبي عُبيدٍ قال : كتب أبو الدَّرْداء إلى سَلْمانَ(٣): إن تكن الدارُ من الدارِ بعيدةً فإنّ الرُّوح من الرُّوح قريبٌ، وطيرُ السماء على إلْفِه من الأرض يَقعُ .

وقال أبو العتاهية : [من الهزج]

يُقاسُ المرءُ بالمرءِ إذا ما هوَّ ما شَاهُ
ولِلقلبِ على القلب دليلٌ حين يلقاهُ
وللشّكلِ على الشّكلِ مقاييسٌ وأشباهُ
وفي العين غِنىً للعيـ ـنِ أن تَنْطِقَ أفواهُ

وقال المُساحِقيّ : [من الطويل]

يُزَهّدُني في وُدّكَ آبنَ مُساحقٍ مَودَّتُكَ الأرذالَ دونَ ذوِي الفضلِ
وأنّ شِرَارَ النّاس سادُوا خِيارَهم زمانَكَ، إنَّ الرَّذْلَ للزَّمنِ الرَّذْلِ

(١) الكعاب : الفتاة الناهد.
(٢) الزمام : ما يقاد به من حبلٍ وخيط.
(٣) سلمان : يعني سلمان الفارسي أحدُ الصحابة.

باب المحبّة

قال حدّثني أحمد بن الخليل عن محمد بن بشار عن يحيى بن سعيد عن ثور بن يزيدَ عن حبيب بن عُبيد عن المِقْدام بن معدِ يكرِب[١]، وكان أدرك النبيّ ﷺ، قال: قال النبيّ ﷺ: «إذا أحبّ أحدُكم أخاه فَلْيُعلِمْهُ أنه يُحبّه».

وحدّثني محمد بن داود عن أبي الـرَّبيع عن حَمَّاد بن زيد عن ليث عن مجاهد[٢] قال: ثلاثٌ يُصْفِينَ لكَ وُدَّ أخيك: أن تبدَأه بالسلام إذا لقِيتَه، وتُوسعَ لـه في المجلس، وتَدعُـوَهُ بأحبّ أسمـائه إليـه. وثلاثٌ من العِيّ[٣]: أن تَعيبَ على النـاس ما تأتي، وأن تَـرَى من الناس مـا يخفَى عليـكَ من نفسـكَ، وأن تُؤذِي جليسك فيما لا يَعْنِيكَ.

وكان يقال: لا يكن حُبُّكَ كَلَفاً ولا بُغضُكَ تَلَفاً. أي لا تُسرِفْ في حبكَ وبُغضكَ. ونحوه قولُ الحسن: أحِبُّوا هـوناً[٤] فـإنّ أقواماً أفرطـوا في حُب قوم فهلكوا. وكان يقال: مَنْ وجد دون أخيه سِتراً فلا يَهتِكْه.

وقال عمر بن أبي ربيعة: [من الطويل]

أتـاني هواهـا قبل أنْ أعـرِفَ الهـوىَ ... فصـادَف قلبـاً فـارغـاً فـتمـكّنـا

قال عُمر بن الخطاب رضي الله عنه لِطُلَيحةَ الأسَديّ: قَتلتَ عُكّاشـةَ بنَ مِحْصَنٍ! لا يُحبّك قلبي! قال: فمعـاشرةً جميلةً يـا أمير المؤمنين، فـإنّ الناس يتعاشرون على البغضاء.

---

(١) المقدام بن معد يكـرب بن عمرو بن يـزيد بن معـد يكرب بن سيّـار، أبـو كـريمـة الكنـدي، صاحبي.

(٢) هـو مجاهـد بن جبر أبـو الحجاج المكي، تابعي، مفسِّـر من أهل مكـة أخذ التفسيـر عن ابن عباس.

(٣) العيّ: الجهل.

(٤) الهون: السكينة والوقار.

وكتب رجلٌ إلى صديق له: الشوقُ إليكَ وإلى عهد أيامكَ ـ التي حَسُنَتْ بكَ كأنها أعيادٌ، وقَصُرتْ بكَ حتى كأنها ساعاتٌ ـ يفوت الصفات؛ ومما جدّد الشوقَ وكثّر دواعِيَه تَصاقُبُ الدار، وقربُ الجِوار؛ تمم اللهُ لنا النعمةَ المتجدِّدةَ فيك بالنظر إلى الغُرّة المباركة التي لا وحشةَ معها ولا أُنْسَ بعدها.

قال الحسن[١]: المؤمنُ لا يَحِيفُ[٢] على مَنْ يُبغِضُ ولا يأثمُ فيمن يُحِبّ.

وقرأت في بعض الكتب: إنه لَيَبلُغُ من حُسْنِ شفاعةِ المحبة أنّ الحبيبَ يُسِيءُ فَيُظَنُّ به الغَلطُ ويُذنبُ فيُحتجُّ له بالدّالَّةِ[٣]، وذنبُه لا يَحتَمِلُ التأويلَ ولا مَخْرَجَ له في جواز العقول.

وفيه: كلُّ ذنبٍ إذا شئتَ أن تنساه نسِيتَه وإن شئتَ أن تذكره ذكرتَه، فليس بمخوفٍ. وليس الصغيرُ من الذنب ما صغّره الحبّ، وإنما الصغيرُ ما صغّره العدلُ. وليس الذنبُ إلا ما لا يَصلُح معه القلبُ ولا يزال حاضراً الدهرَ، وإلا ما كان من نتاج اللؤم ومن نصيب المعاندة، فأما ما كان من غير ذلك فإنّ الغفرانَ يتغمّدُه والحرمةَ تشفعُ فيه.

وكتب رجل إلى صديق له في فصل من كتاب: لساني رَطْبٌ بذكركَ، ومكانُكَ من قلبي معمورٌ بمحبّتك. ونحوه قولُ مَعْقِل أخي أبي دُلَف لمُخارِقٍ:

---

(١) الحسن: هو الحسن البصري أبو سعيد تابعي كان إمام أهل البصرة وهو أحد العلماء الفقهاء والفصحاء، شبّ في كنف عليّ بن أبي طالب توفي بالبصرة.

(٢) يحيف: يجور ويظلم.

(٣) الدالّة: الحظوة والأمل.

[من الطويل]

لَعَمرِي لئن قَـرَّتْ بقُـربـكَ أعينٌ لقـد سخنت بالبين منـكَ عيـونُ[1]

فَسِـرْ وأقِم، وَقْفٌ عليـكَ مـودّتي مَكـانُكَ من قلبي عليـكَ مَصُـونُ

وقال رجل لشَبيب بن شَيْبة: واللهِ أُحِبّكَ، قال: وما يمنَعُكَ من ذلك وما أنتَ لي بجارٍ ولا أخٍ ولا قَرابة[2]! يريـد أن الحسد موكَّلٌ بالأدنى فالأدنى.

قـال رجل لشَهْـر بن حَـوْشبٍ[3]: إني لأُحِبّـكَ قـال: ولِم لا تحبني وأنـا أخوك في كتاب الله ووزيرك على دِين الله ومؤنتي على غيركَ! قال بشارٌ:

[من البسيط]

هـل تَعْلَمِينَ وراء الحبّ منـزلـةً تُـدني إليكِ فـإنّ الحبَّ أقصـانِي

وقال غيره: [متقارب]

أُحِبُّــكَ حُـبّيـنِ لِـي واحــدٌ وحُبٌّ لأنــكَ أهــلٌ لــذاكَــا

فــأمّـا الــذي أنتَ أهـلٌ لــه فَحُسْنٌ فَضَلْتَ بـه مَنْ سِواكَـا

وأمّـا الذي في ضميـر الحشـا فلستُ أرَى الحسنَ حتى أُراكَا

ولـيس لِيَ الـمَنُّ فـي واحـدٍ ولكنْ لـك المنُّ في ذا وذاكَـا

وقال المسيَّب بن عَلَس[4]: [من الوافر]

وعينُ السّخط تُبصِـرُ كـلَّ عيبٍ وعينُ أخي الرّضا عن ذاك تَعْمى

---

(١) سخنت: تألّمت من البكاء

(٢) ولا قرابة: أي ولا بذي قرابة.

(٣) شهر بن حوشب الأشعري فقيه قارىء من رجال الحديث شامي الأصل. سكن العراق. وكـان يتزيًا بزي الجند. ويسمع الغناء بالآلات وكان ظريفاً.

(٤) المسيَّب بن علس: هو من شعراء بكر بن وائل، من جماعة، وهم من بني ضبيعة بن ربيعة بن نزار، يكنّى أبا الفضّة وهو خال الأعشى.

ونحوه لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر: [من الطويل]

فلستَ بـــراءٍ عيبَ ذي الــودِّ كلَّه ... ولا بغضَ مـا فيه إذا كنتَ راضيَـا
وعينُ الـرِّضا عن كـلّ عيبٍ كَليلةٌ ... ولكنّ عينَ السُّخطِ تُبدِي المساوِيَا[١]

وقال بعضُ الخلفاء لرجل: إني لأُبغِضُكَ؛ قال: يا أمير المؤمنين، إنما يجزَعُ مِن فقد الحبّ المرأةُ، ولكن عدلٌ وإنصافٌ. وقال شريحٌ[٢]: [من الطويل]

خُذِي العفـوَ منّي تَستـدِيمِي مـودّتي ... ولا تنطِقي في سَوْرَتي حين أغضَبُ[٣]
فإنّي رأيتُ الحبَّ في الصدرِ والأذى ... إذا آجتمعــا لم يلبثِ الحبّ يـذهَبُ

وقال أعرابيّ: إذا ثبتتِ الأصول في القلوب نطقتِ الألسُنُ بالفروع، ولا يظهرُ الودّ السليمُ إلا من القلب المستقيم.

وقال آخرُ: مَنْ جمع لك مع المودّة الصادقةِ رأياً حازماً، فآجمَـع له مـع المحبة الخالصةِ طاعة لازمةً.

قال اليزيديّ: رأيتُ الخليل بن أحمـد فوجـدته قـاعداً على طُنفِسـةٍ[٤]، فـأوسع لي فكـرِهتُ التضييقَ عليـه؛ فقـال: إنـه لا يضيق سَمُّ الخِيـاط[٥] على متحابَّينِ ولا تَسعُ الدنيا مُتباغِضَينِ. وقال أبو زُبيدٍ[٦] للوليد بن عقبة:

---

(١) كليلة: مغضية.
(٢) شريح: هو شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي، أبو أميّـة من أشهر القضـاة الفقهاء في صدر الإسلام، أصله من اليمن، عمرّ طويلاً.
(٣) السُّورة: حدّة الغضب.
(٤) الطنفسة: البساط الذي له حمل رقيق.
(٥) سمّ الخياط: الثقب، ومنه قوله تعالى: ﴿حتى يلج الجمل في سمّ الخياط﴾.
(٦) أبو زبيد: هو المنذر بن حرملة الطائي كان جاهلياً قديمـاً وأدرك الإسلام ولم يسلم، ومـات نصرانياً وكان من المعمّرين ونديماً للوليد بن عقبة.

[من الخفيف]

مَنْ يَخُنكَ الصفاءَ أو يتبدَّلْ أو يَزُلْ مثلَما تزولُ الظلالُ
فاعلَمَنْ أنّني أخوك أخو العهـ ـدِ حياتِي حتى تَزولَ الجبالُ
ليس بُخلٌ عليك منّي بمالٍ أبداً ما آستقلَّ سَيفاً حِمَالُ[1]
فلكَ النّصرُ باللسان وبالكَـ ـفِّ إذا كان لليدين مَصَالُ[2]
كلُّ شيءٍ يَحتالُ فيه الرجالُ غيرَ أنْ ليس للمنايا آحتيالُ

وقال المُنَخَّلُ اليشكريّ[3]: [من مجزوء الكامل المرفّل]

وأُحِبُّها وتُحِبُّني ويُحِبُّ ناقتَها بعيري

وذكر أعرابيّ رجلاً فقال: واللهِ لكأنّ القلوبَ والألسنَ رِيضَتْ[4] له، فما تُعقدُ إلا على وُدّه، ولا تَنطِقُ إلا بحمده

قال عبدُ الله بن الزُّبير ذاتَ يوم: والله لودِدتُ أنّ لي بكلّ عشرةٍ من أهل العِراق رجلاً من أهل الشام صَرْفَ الدينار بالدرهم؛ فقال أبو حاضرٍ: مَثَلُنا ومَثَلُكَ كما قال الأعشى: [من البسيط]

عُلِّقْتُها عَرَضاً وعُلِّقَتْ رَجُلاً غَيري وعُلِّقَ أُخرَى غيرَها الرجلُ[5]

أحبَّك أهلُ العراقِ وأحببتَ أهل الشّآم وأحبّ أهلُ الشآم عبدَ الملك آبن مروان.

---

(١) الحمال: من حمائل السيف: أي ما يعلّق به السيف.
(٢) مصال: من الصّول، وهو الوثوب.
(٣) المنخّل اليشكري: هو المنخل بن عُبيد بن عامر من بني يشكرُ، وهو قديم جاهلي، وآتهم بالمتجرّدة امرأة النعمان، له حكاية مع النابغة الذبياني.
(٤) ريضت له: أي انقادت.
(٥) عرضاً: حبّاً غير ثابت.

وقال عمرُ لأبي مريم السَّلُولي: والله لا أحِبُّكَ حتى تُحِبَّ الأرضُ الدَّمَ؛ قال: فتَمنَعُني لذلك حقّاً؟ قال: لا؛ قال: فلا ضَيرَ. وقال عمرُ أيضاً لرجل همَّ بطلاق آمرأته: لِمَ تُطَلِّقُها؟ قال: لا أُحِبُّها؛ قال: أوَ كُلُّ البيوتِ بُنِيَتْ على الحبّ! وأين الرعايةُ[1] والتذمُّمُ!.

قال أعرابيّ: [من الطويل]

أحِبُّكَ حُبّاً بَبعضِهِ أصابكِ من وَجدٍ عليَّ جُنُونُ[2]

لطيفٌ مع الأحشاء أمّا نهارهُ فَسَبْتٌ وأما ليلهُ فأنينُ[3]

وكتب رجلٌ إلى صديق له: اللهُ يعلم أنّني أُحِبّكَ لنفسك فوقَ محبتّي إياكَ لنفسي، ولو أني خُيِّرتُ بين أمرين: أحدهما لي وعليك والآخر لك وعليّ، لأثرت المروءةَ وحسنَ الأُحدُوثَةِ بإيثار حظّكَ على حظّي؛ وإنّي أُحِبُّ وأُبغِضُ لك، وأُوالِي وأعادِي فيك.

وقال بعضُهم: هَوِّنْ[4] فقد يُفْرِطُ[5] الحبُّ فيقتُلُ ويُفْرِطُ الغمُّ فيقتُلُ ويُفرط السرور فيقتُلُ؛ وينفتحُ القلبُ للسرور، ويضيقُ وينضمّ للحزن والحبّ.

وقالوا: العِشق آسم لما فضَل عن المحبة. وقال بعضهم: العشق مرض قلبٍ ضَعُفَ. وقال بعضُ الشعراء[6]: [من الطويل]

فَتَمَّ على معشُوقةٍ لا يَزيدُها إليه بلاءُ السَّوءِ إلّا تحبُّبَا[7]

---

(١) التذمّم: أي حفظ النفس من الذمّ.
(٢) الوجد: الحزن الشديد. (٣) السبت: السكون والراحة.
(٤) هوّن: أرفق. (٥) يفرط: يكثر ويزداد ويخرج عن الحدّ.
(٦) هو الأعشى ميمون بن قيس. (٧) تمَّ: أجهز وأكمل.

ما يجب للصديق على صديقه

حدّثنا أحمد بن الخليل قال حدّثنا عبدُ الله بن موسى عن إسرائيلَ عن آبن إسحاق عن الحارث عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: قال النبيّ ﷺ: «لِلمسلم على آلمسلمِ خِصَالٌ سِتٌّ: يُسَلِّمُ عليه إذا لقِيَهُ، ويُجِيبُه إذا دعاه، ويُشَمِّتُه إذا عطَس[١]، ويَعودُه إذا مرِضَ، ويحضُرُ جنازتَه إذا مات، ويُحِبُّ له ما يُحِبُّ لنفسه».

قال حدّثني شَبَابَةُ قال حدّثنا القاسمُ بنُ الحكم عن إسماعيلَ بن عيَّاشٍ عن هشام بن عُرْوة عن أبيه عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «أَعِنْ أخاكَ ظالماً أو مظلوماً، إن كان مظلوماً فخُذْ له بحقه وإن كان ظالماً فخُذْ له من نفسه».

وحدّثني القُومَسِيُّ[٢] قال: حدّثنا أبو بكر الطبريّ عن عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن أبي الزاهرية عن جُبير بن بُكير قال قال معاذُ بن جبل: إذا آخيتَ أخاً فلا تُمارِهِ ولا تُشارِهِ[٣] ولا تَسأل عنه، فعسى أن تُوافِقَ عدوّاً فيُخبِرَكَ بما ليس فيه فيُفرِّقُ بينكما.

وقال النَّمِرُ بنُ تَوْلَبٍ[٤] في هذا المعنى: [من الطويل]

جزى اللهُ عنّا حمزةَ بنةَ نَوْفلٍ ... جزاءَ مُغِلٍّ بالأمانةِ كاذبِ[٥]

بما سألَتْ عنّي الوُشاةَ ليكذِبوا ... عليّ وقد واليتُها في النوائبِ[٦]

---

(١) شمّته إذا عطس: أي دعا له بخير وقال يرحمك الله.

(٢) القومسيّ: نسبة إلى قومس بكسر الميم، صقعٌ كبير بين خراسان وبلاد الجبل.

(٣) لا تماره: أي لا تجادله، ولا تشاره: أي لا تلاحه ولا تغضبه.

(٤) النمر بن تولب بن زهير العكلي، شاعر مخضرم، عاش عمراً طويلاً في الجاهلية، كان من ذوي الوجاهة والنعمة في الجاهلية، يشبه شعره شعر حاتم الطائي أدرك الإسلام.

(٥) المغلّ: من الإغلال، وهو الخيانة.

(٦) النوائب: المصائب.

قال حدّثني محمد بن داود قال حـدّثني سعد بن منصـور عن جَريـر عن عبد الحميد عن عَنْبَسةَ قال قـال آبنُ سيرين[١]: لا تُكْـرِمْ أخاك بمـا يكره، ولا تحمِلنّ كتاباً إلى أمير حتى تعلَم ما فيه.

وكان يقال: يُستحسَنُ الصبرُ عن كلّ أحدٍ إلاّ عن الصديق.

وقال بعضُ الشعراء: [من الوافر]

إذا ضَيَّقْتَ أمـراً ضـاق جِـدّاً ... وإن هَوَّنتَ مـا قـد عـزَّ هـانَـا

فـلا تَهْلكْ بشيءٍ فـاتَ يـأسـاً ... فكم أمـرٍ تصعَّب ثـم لانَـا

سأصبِرُ عن رفيقي إنْ جفـاني ... على كـلِّ الأذى إلاّ الهـوَانَـا[٢]

وقـال آبن المقفَّع: ابـذُلْ لصديقـك دَمَكَ ومـالـكَ، ولمعْـرِفتـكَ رِفْـدَكَ ومَحْضَـرِكَ، وللعامّـةِ بِشرك وتحيّتـكَ، ولعدوِّك عـدلَـكَ، وضُنْ[٣] بـدِينـك وعِرضكَ عن كلّ أحدٍ.

قـال أبو اليَقْـظانِ: ولِيَ خالـدُ بنُ عبـد الله بن أبي بَكْـرةَ قضـاءَ البصـرة فجعل يُحابِي[٤]، فقيل له في ذلك؛ فقال: وما خيرُ رجلٍ لا يَقطَعُ لأخيه قِطعةً من دينه!.

قـالوا: وقفَ رسـولُ الله ﷺ على عجوزٍ، فقـال: «إنها كـانت تأتينـا أيامَ خديجةَ، وإنّ حسنَ العهد من الإيمانِ».

قال إبراهيمُ النَّخعيّ[٥]: إنّ المعـرفةَ لتنفـعُ عند الأسـد الهَصورِ والكلبِ

---

(١) ابن سيرين: هو محمد بن سيرين البصري. الأنصاري بالولاء، أبو بكر إمام وقته في علوم الدين تابعي من أشراف الكتاب مولده ووفاته بالبصرة.

(٢) الهوان: الذلّ.

(٣) ضنَّ: أي ابخل به محافظةً عليه.

(٤) يحابي: يؤثر ويعطي.

(٥) إبراهيم النخعي: هو أبو عمران النخعي من مذحج، من أكابر التابعين صلاحـاً وصدقـاً وحفظاً للحديث.

العقورِ فكيف عند الكريم الحسيب!. وقال الخليلُ بن أحمد: [من البسيط]

وفَّيتُ كلَّ صديقٍ وَدَّني ثمناً إلا المؤمِّلَ دُولاَتِي وأيامِي[1]

وقال عمرُ بن أبي ربيعة في مساعدة الصّديق: [من الوافر]

وخِلٍّ كنتُ عينَ النّصح منه إذا نظَرَتْ ومُستَمِعاً سميعَا

أطاف بِغَيّةٍ فنهيتُ عنها وقلتُ له أرَى أمراً شنيعَا[2]

أردتُ رشادَه جُهدِي فلمّا أبَى وعصَى أتيناها جميعا

وقال بعضُ الكوفيين: [من الوافر]

فإن يشرَبْ أبو فَرُّوخَ أشرَبْ وإن كانت مُعتَّقةً عُقارًا[3]

وإن يأكُلْ أبو فرّوخَ آكلْ وإن كانت خَنانِيصاً صِغارا[4]

وقال رجل من الأعراب لأخٍ له: أما والله، رُبَّ يومٍ كتَنُّور الطَّاهِي رَقّاصٍ بشَرارِه، قد رميتُ بنفسي في أجِيجٍ لَهيبه فأحتمِلُ منه ما أكرهُ لما تُحِبّ.

وأنشد ابن الأعرابيّ: [من الوافر]

أُغَمِّضُ للصديق عن المساوِي مخافةَ أن أعيشَ بلا صديقِ

وقال كُثيّر[5]: [من الطويل]

ومن لا يُغَمِّضْ عينَه عن صديقه وعن بعض ما فيه يَمُتْ وهو عاتبُ

---

(١) المؤمل دولاتي وأيامي: أي الحسود الذي يتأمل تغيُّر الأيام من يسرٍ إلى عسر.

(٢) الغيّة: الضلال والزانية.

(٣) العقار: الخمر العتيقه.

(٤) الخنانيص: جمع خنوص، وهو ولد الخنزير.

(٥) كثيّر: هو كثيّر بن عبد الرحمن بن أبي جمعة من خزاعة، كان رافضيّاً وهو صاحب عزّة التي عرف بها، شاعر مجيد عاصر الدولة الأمويّة.

وَمَن يَتَتَبَّـعْ جـاهِـداً كـلَّ عَـثـرةٍ[١] يَجِـدْها ولا يَسلَمْ لـه الدهـرَ صاحِبُ

وقال آخر: [من الطويل]

إذا مـا صـديقِي رابَنِي سُـوءُ فِعلِهِ ولم يَـكُ عمّـا سـاءني بمُفِيـقِ
صَبَرتُ على أشياءَ منه تَـرِيبُني مخـافـةَ أنْ أبقَى بغيـر صـديق[٢]

ومن المشهور في هذا قولُ النابغة: [من الطويل]

ولَستَ بـمُسْتَبْقٍ أخـاً لا تَلُمُّـهُ على شَعَثٍ أيُّ الرجالِ المهَذَّبُ[٣]

وكان يقال: مَنْ لكَ بأخِيك كُلِّه. وأنشدني الرِّياشيّ: [من مجزوء الكامل المرفل]

اقْـبَـلْ أخـاكَ ببـعـضـه قـد يُقْبَـلُ المعـروفُ نَـزْرَا[٤]
واقـبَـلْ أخـاك فـإنّـه إن سـاء عصـراً سـرَّ عصـرَا

ونحوه قولُ الآخر: [من الطويل]

أخٌ لِي كـأيـامِ الحيـاةِ إخـاؤه تَـلَوَّنُ ألـوانـاً علَى خُـطُوبُـهـا
إذا عِبتُ مـنـه خَلَّةً فـهجـرتُـه دعَـتْني إليـه خَـلَّةٌ لا أعِيبُـهـا

وقال عبدُ الله بن معاويةَ بنِ عبد الله بن جعفر: [منسرح]

اصْبِر إذا عَضَّـكَ الـزمـانُ، وَمَنْ أصبَـرُ عنـد الـزمـانِ مِنْ رَجُلِهْ
ولا تُـهِـنْ لِـلصَّـديـقِ تُـكْـرِمُـه نفسَـكَ حتى تُعَـدَّ مِنْ خَـوَلِـهْ[٥]
يَحمِـلُ أثقـالَـه عليـكَ كـمـا يـحمِـلُ أثـقـالَـه على جَـمَـلِهْ
ولستَ مُستبقيـاً أخـاً لـكَ لا تصفَـحُ عـمـا يكـونُ مـن زَلَلِهْ

---

(١) العثرة: الزلّة والخطأ.
(٢) تريبني: أي تجعلني أشك فيها.
(٣) لا تلمُّهُ: أي تجمعه، والشعث: التفرقة والتصدّع والفساد.
(٤) النزر: القليل.
(٥) الخول: العبد.

ليس الفتى بـالذي يَحـولُ عن الـ ـعهـدِ ويُؤتَى الصـديقُ من قِبَلِهْ[١]

وقيـل لخالـد بن صفوان: أيّ إخـوانِك أحبُّ إليـك؟ قال: الـذي يَغفِـرُ زَلَلِي، ويَقبَلُ عِلَلِي[٢] ويَسُدُّ خَلَلِي[٣].

وقال بشارٌ: [من الطويل]

إذا أنتَ لم تَشرَبْ مراراً على القَذَى ظَمِئْتَ وأيُّ الناس تَصفُو مَشَارِبُهْ[٤]

وقال الخُرَيْمي[٥] لأبي دُلَف: [من المتقارب]

تـملّك إن كـنـت ذا إربـةٍ من العـالمين لشيـخ وصيفِ[٦]

الإنصاف في المودّة

كان يقال: لا خير لك في صحبة من لا يرى لك مثل ما ترى له.

وقال جرير: [من الطويل]

وإنّـي لأستـحيـي أخِـي أن أرَى لـه عليّ من الحق الـذي لا يـرى لِيَا[٧]

وله أيضاً: [من الطويل]

إذا أنت لم تُنْصِف أخـاك وجدتَـه على طَرَفِ الهِجْرانِ إن كان يعقِلُ

ويركب حدّ السيفِ مِن أنْ تَضِيمَه إذا لم يكن عن شفرة السيف مَعْدِلُ[٨]

---

(١) يحول: يتغير وينقلب.

(٢) العلل: الأعذار.

(٣) والخلل: النقص.

(٤) القذى: ما يقع في الشراب من أذىً.

(٥) الخريمي: هو إسحاق بن حسّان، ويكنّى أبا يعقوب من العجم وكان مولى ابن خريم الذي يقال لأبيه خريم الناعم، أصيب بالعمى عندما كبر سنه شاعر مجيد.

(٦) كذا ورد بالأصل ولم نوفق إليه في مصدر آخر.

(٧) أستحيي: آنف.

(٨) المعدل: المحيد والتجنّب.

سَتَقْطَعُ في الدنيا إذا ما قطعتَنِي يمِينُك، فآنظر أيَّ كفٍّ تَبَدَّلُ

وقال آخر[١]: [من الكامل]

يا ضَمْرُ أخبِرني ولستَ بمُخبِرِي وأخوك نافِعُك الذي لا يَكذِبُ
هل في القضيّةِ إنْ إذا آستغنيتُمُ وأمِنتمُ فأنا البعيدُ الأجنبُ
وإذا الشدائدُ بالشدائدِ مرّةً أشْجينَكم فأنا المُحَبُّ الأقرب
عجباً لِتلك قضِيّةً وإقامتي فيكم على تلك القضيةِ أعجبُ
ولِما لكمْ طِيبُ البلادِ ورِعْيُها ولِي الثِّمادُ ورعيهن المُجدِبُ[٢]
وإذا تكونُ كريهةٌ أُدْعَى لها وإذا يُحاس الحَيْسُ يُدْعَى جُنْدَبُ[٣]
هذا لعَمْرُكُم الصَّغارُ بعينِه لا أُمَّ لي إن كان ذاكَ ولا أبُ[٤]

وقال آبن عُيينة: سئل عليّ كرم الله وجهه عن قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلعَدْلِ وَٱلإِحْسَانِ﴾[٥]، فقال: العدلُ: الإنصاف، والإحسان: التفضُّلُ.

وقال الشاعر: [من الكامل]

صَبَغَتْ أُمَيَّةُ في الدماء رِماحَنَا وطَوَتْ أُميّةُ دوننا دُنياها

ويقال: مَنْ سَنَّ سنة فَلْيَرْضَ أن يُحكَمَ عليه بها، ومَنْ سأل مسئلةً فلْيَرْضَ بأن يُعطَى بقدرِ بذله.

وقال أبو العتاهِية: [من الوافر]

إذا ما لم يكن لكَ حُسنُ فهمٍ أسأْتَ إجابةً وأسأتَ سمعاً

---

(١) جاء في اللسان أنّ هذه الأبيات لهني بن أحمر الكناني وقيل: هي لزرافة الباهلي.
(٢) المال: الإبل وغيرها، والثماد: الماء القليل.
(٣) الحيس: التمر والأقط يدقّان ويعجنان عجناً شديداً ثمّ تسوّى كالثريد.
(٤) الصغار: المذلّة والهوان.
(٥) سورة النحل الآية ٩٠.

ولَستَ الـدّهـرَ مُتَّسِعـاً بفضـلٍ ... إذا مـا ضِقتَ بـالإنصـاف ذَرْعَـا

وقال حمّادُ عَجْرد[١]: [مجزوء الرّمل]

لـيتَ شـعـري أيَّ حكم ... قـد أراكُـمْ تحـكُـمـونَـا

أن تكـونـوا غيـرَ مُعـطِـ ... ـينَ وأنـتـم تـأخـذُونَـا

وقال آخر: [من الطويل]

إذا كنتَ تـأتي المـرءَ تَعـرِفُ حَقَّـه ... ويَجهَـلُ منكَ الحقَّ فـالتـركُ أجمَـلُ

وفي العَيسِ مَنجاةٌ وفي الهجر راحةٌ ... وفي الأرضِ عَمَّن لا يُؤاتِيكَ مَرْحَلُ[٢]

وقال بشارُ: [من السّريع]

إنْ كنتَ حـاولتَ هَـوانـاً فـما ... هُنتُ وما في الهُونِ لي من مُقَامْ[٣]

فـي النـاس أبـدالٌ ولـي مَـرْحَـلٌ ... عن منـزلٍ نـاءٍ ومَـرْعىً وَخَـامْ[٤]

لا نـائِـلٌ مـنـكَ ولا مـوعِـدٌ ... ولا رَسـولٌ، فـعـليـكَ الـسـلامْ

وقال آخر[٥]: [من الوافر]

لـه حـقٌّ وليس عـليـه حـقٌّ ... ومهمـا قـال فـالحسنُ الجميـلُ

وقـد كان الـرسـولُ يَـرَى حقـوقـاً ... عليـه لغيـره وهـو الـرسـولُ

وقال أكثَم بنُ صَيْفِيّ: أحقُّ مَنْ يَشْرُكُكَ في النِّعَم شُركاؤُكَ في المكاره. أخذه دِعْبِلٌ[٦] فقال: [من البسيط]

---

(١) حماد عجرد: هو حمّاد بن عمر من أهلِ الكوفة، وكان معلّماً وشاعراً محسناً رُمي بالزندقة.

(٢) العيس: الناقة الكريمة، والمرحل: أي المكان الذي يرتحل إليه.

(٣) الهُون: الذل.

(٤) المرعى الوخام: الذي لا ينتجع كلؤه لسوئه.

(٥) هو عبد الله بن مصعب الزبيري، ويسمّى عائد الكلب، قاله في عبد الله بن حسن بن حسن.

(٦) دعبـل: هو دعبـل بن عليّ بن رزين من خزاعـة، ويكنى أبا عليّ شـاعر مجيـد عاصـر الدولـة العبّاسية.

وإنّ أولَى البـرايـا أن تُـوَاسِيَـهُ عنـد السرور لَمَنْ آسـاكَ في الحَـزَن
إنّ الكـرامَ إذا مـا أسهَـلُوا ذَكَـرُوا مَنْ كان يألُفُهم في المنزلِ الخَشِنِ[١]

وانشد ٱبنُ الأعرابيّ: [من الطويل]

فـإنْ آثـرَتْ بـالـوُدّ أهـلَ بـلادِهـا على نـازحٍ من أهلهـا لا ألـومُهـا[٢]
فـلا يَستـوِي مَنْ لا تَـرَى غيـرَ لَمَّـةٍ ومَنْ هـو ثـاوٍ عنـدهـا لا يَـرِيمُهـا[٣]

وقال رجلٌ لبعض السلطان: أحقُّ الناسِ بالإحسان مَنْ أحسنَ اللهُ إليه، وأولاهم بالإنصاف مَنْ بُسِطَتِ القدرةُ بين يـديه؛ فـٱستَدِمْ مـا أُوتيتَ من النعم بتأدية ما عليك من الحق.

قال المستهِلّ بنُ الكُمَيت لبني العباس: [من الطويل]

إذا نحن خِفنـا في زمـان عـدوِّكمْ وخِـفنـاكُـمُ إنّ الـبـلاءَ لَـراكِـدُ[٤]

مداراة الناس وحُسن الخُلُق والجِوار

قال حدّثنا الحسينُ بنُ الحسن قال حدّثنا عبدُ الله بن المبارك عن وُهيب قال: جاء رجل إلى وهب بن منبِّه[٥] فقال: إنّ الناس قد وقعوا فيما وقعوا فيـه، وقد حدّثتُ نفسي ألاّ أخالطَهُم؛ فقـال له وهبٌ: لا تَفعـلْ، فإنـه لا بدّ للنـاس منـك ولا بدّ لـك منهم؛ لهم إليكَ حـوائـجُ، ولـكَ إليهم حـوائـجُ، ولكن كُنْ فيهم أصمَّ سميعاً، وأعمى بصيراً، وسَكُوتاً نَطُوقاً.

(١) أسهلوا: أصبحوا في حالةٍ من اليسر.
(٢) النازح: البعيد.
(٣) اللمَّة: المرّة من الإلمام أي الزيارة التي يعقبها وقتٌ، ولا يريمها: أي لا يفارقها.
(٤) الرّاكد: المقيم.
(٥) هو وهب بن منبّه الصنعاني الذّماري، أبو عبد الله، مؤرخ كثير الأخبار عن الكتب القديمة عالم بأساطير الأولين ولا سيّما الإسرائيليات.

قال وحدّثنا حسينُ بن الحسن قال حدّثنا عبد الله بن المبارك[1] عن موسى بنُ عليّ بن رَبَاح قال: سمعت أبي يُحدّثُ عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: أربعُ خِلالٍ إن أُعطِيتَهُنَّ فلا يضرُّكَ ما عُدِلَ به عنكَ من الدّنيا: حُسْنُ خليقةٍ، وعَفَافُ طُعمَةٍ[2]، وصِدقُ حديثٍ، وحِفظُ أمانةٍ.

قال: وبلغني عن وَكيع عن مِسْعر عن حبيب بن أبي ثابت عن عبد الله ابن بَابَاهْ قال: قال عبد الله بن مسعود: خالِطُوا الناسَ وزَايِلوهُمْ[3].

عن وَكيع عن سفيانَ عن حبيب بن ميمون قال: قال صعصعةُ بنُ صُوحان لابن أخيه: إذا لقِيتَ المؤمنَ فخالِطه، وإذا لقيتَ الفاجرَ فخالِفْه، ودِينَك فلا تَكْلِمَنّه[4].

قال المسيحُ صلّى اللهُ عليه: كُنْ وَسَطاً وآمشِ جانباً.

وروى أبو معاويةَ عن الأحوص بن حكِيم عن أبي الزاهريّة قال: قال أبو الدَّرْداء: إنّا لَنَكْشِرُ[5] في وجوه أقوام وإنّ قلوبَنا لتلعنهم.

ودخل لبيدةُ العجليّ على عمرَ رضي الله عنه، فقال له عمرُ: أَقتلتَ زيداً؟ فقال: يا أمير المؤمنين، قد قتلتُ رجلاً يسمّى زيداً، فإن يكن أخاكَ فهو الذي أكرمه اللهُ بيدي ولم يُهنّي به؛ ثم لم يَرَ مِن عمرَ بعد ذلك مكروهاً.

قال محمدُ بن أبي الفضل الهاشميّ: قلتُ لأبي: لِم تَجلِسُ إلى فلانٍ

---

(١) هو عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي بالولاء التميمي المروزي، أبو عبد الرحمن، الحافظ شيخ الاسلام المجاهد التاجر صاحب التصانيف والأسفار.

(٢) الطعمة: وجه الكسب طيّباً أو خبيثاً.

(٣) المزايلة: المفارقة.

(٤) تكلمنه: تجرحنّه.

(٥) التكشير: إظهار الأسنان للضحك.

وقد عرفتَ عداوتَه؟ فقال: أُخْبِي[١] ناراً وأقدَحُ عن وُدٍّ. وقال المهاجِرُ بن عبد الله الكِلابيّ[٢]: [من الطويل]

وإنّي لأُقصِي المرءَ من غيرِ بِغْضَةٍ وأُدنِي أخا البغضاءِ مِنّي على عَمْدِ
لِيُحدِثَ وُدّاً بعد بَغْضَاءَ أو أرَى له مصرعاً يُردِي به اللهُ مَنْ يُرْدِي[٣]

وقال عِقَالُ بنُ شَبَّةَ: كنتُ رَدِيفَ أبي، فلَقِيه جريرٌ على بغلٍ فحيّاه أبي وألطفَه؛ فلمّا مضى قلتُ: أبَعْدَ ما قال لنا ما قال! قال: يا بُنيّ، أفَأُوسِّعُ جُرْحِي!.

قال ابنُ الحنفيّة: قد يُدفَعُ باحتمال مكروهٍ ما هو أعظمُ منه.

قال الحسنُ: حُسْنُ السؤالِ نصفُ العلمِ، ومُداراةُ الناسِ نصفُ العقلِ، والقصدُ في المعيشة نصفُ المؤونةِ.

مدح ابنَ شِهابٍ شاعرٌ فأعطاه، وقال: منِ ابتغى الخيرَ اتقَى الشرّ.

وفي الحديث المرفوع: «أوّلُ ما يُوضعُ في المِيزانِ الخلقُ الحسن».

وقال: «إنَّ حسنَ الخُلُقِ وحُسنَ الجِوارِ يُعْمِران الديار، ويَزِيدانِ في الأعمار».

وقال: «مَنْ حَسَّنَ اللهُ خَلْقَهُ وخُلُقَهُ كان من أهل الجنة».

قال الشاعر: [من الرّجز]

فَتىً إذا نبَّهتَه لم يَغْضَبِ أبيضُ بَسّامٌ وإن لم يَعْجَبِ

---

(١) أخبى ناراً: أي أطفئها.

(٢) هو المهاجر بن عبد الله الكلابي والي اليمامة والبحرين في خلافة هشام والوليد بن يزيد، كان جميل الصورة وهجاه الفرزدق في شعر له.

(٣) يردي: يميت من الرّدى.

مُـوَكَّـلُ النفسِ بـحفظ الـغُيَّـبِ أقصَى رفِيقَيْـهِ لـه كـالأجنَبِ[١]

وقرأتُ في كتب العجم: حُسْنُ الخُلُقِ خيرُ قرينٍ، والأدبُ خيرُ مِيراثٍ، والتَّوفيقُ خيرُ قائدٍ.

وقالت عائشةُ رضي الله عنها: ما تُبالي المرأةُ إذا نزلَتْ بين بيتنِ من الأنصار صالحين ألَّا تَنزِلَ مِنْ أبَويْها.

وقال جعفر بن محمد: حسنُ الجِوارِ عِمَارَةٌ للدار، وصَدقةُ السرِّ مَثْراةٌ للمال.

وقال عبدُ الله بن عمرو بن العاص: ثلاثةٌ من قريشٍ أحسنُها أخلاقاً وأصبَحُها وجوهاً وأشدُّها حياءً، إن حَدّثوكَ لم يَكذِبوكَ، وإن حدّثْتَهُمْ بحقّ أو باطل لم يُكَذِّبوك: أبو بكر الصدّيقُ، وأبو عبيدةَ بنُ الجرّاح، وعثمانُ بنُ عفّانَ رضي الله عنهم.

وقال يزيد بنُ الطَّثَرِيَّةِ[٢]: [من الطويل]

وأبيضَ مثـلِ السيفِ خـادمِ رُفقـةٍ أشمَّ تـرى سِـرْبَـاً لـهُ قـد تَقَـدَّدَا[٣]

كـريـمٍ على عِـلاَّتِـه لـو تَسُبُّـه لَفَـدَّاكَ رِسْلاً لا تراه مُـرَبَّـدَا[٤]

يُـجيـبُ بِـلَبَّـيْـهِ إذا مـا دعـوتَـه ويحسبُ ما يُدعَى له الدهـرَ أرشدَا[٥]

وقرأت في كتابٍ للهند: مَنْ تزوّد خمساً بَلَّغتهُ وآنسَتْهُ: كفُّ الأذى، وحسنُ الخُلُقِ، ومجانبة الرِّيَبِ، والنُّبل في العمل، وحسنُ الأدب.

---

(١) كالأجنب: أي الذي يسير إلى جنبه.

(٢) هو يزيد بن الطثريّة، والطّثريّة أمّه، وهي من طثر بن عنز بن وائل وقتلته بنو حنيفة يوم الفلج فرثته أخته بشعرٍ لها.

(٣) تقدّد: تقطّع وبلي.

(٤) على علاته: أي على كلّ أحواله، والرسل: التمهُّل. والمربد: المتجهّم وجهاً من الغضب.

(٥) بلبّيه: الأصل أن تضاف هذه الكلمة إلى ضمير المخاطب فيقال: لبّيك.

وقال المَرّار[١] في مداراة القرابة: [من الطويل]

ألا إنّما المولى كعَظْمٍ جَبرْتَه فلا يَخْرُقِ المولى ولا جابرُ العظمِ[٢]

وقال آخر في مداراة الناس: [من الطويل]

وأنزلَني طولُ النّوى دارَ غُربةٍ إذا شئتُ لاقيتُ آمرأً لا أُشاكِلُهْ[٣]

فحامقتُهُ حتى يُقالَ سَجِيَّةٌ ولو كان ذا عقلٍ لَكنتُ أعاقِلُهْ[٤]

وقال بشارٌ: [من الطويل]

خَلِيليّ إنّ العسرَ سوفَ يُفِيقُ وإنّ يساراً في غدٍ لَخَلِيقُ

وما أنا إلّا كالزمان إذا صحا صَحَوْتُ وإن ماقَ الزّمانُ أَمُوقُ[٥]

التلاقي والزيارة

حدّثنا محمد بن عُبيد قال حدّثنا الفضلُ بن دُكينٍ عن طلحةَ بن عمرَ عن عطاء عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «زُرْ غِبّاً تَزدَدْ حُبّاً»[٦].

وقال الأصمعيّ: دخل حبيبُ بنُ سُويدٍ على جعفر بن سليمانَ بالمدينة؛ فقال جعفر: حبيب بن سويد وادُّ الصّديقِ، حَسَنُ الثّناءِ، يَكره الزيارَةَ المُمِلَّةَ، والقَعْدَةَ المُنسِيَةَ.

وقرأت في كتاب للهند: ثلاثة أشياءَ تَزِيد في الأنس والثِّقة: الزيارةُ في الرَّحْل[٧]، والمؤاكلة، ومعرفة الأهلِ والحَشَم.

(١) هو المرّار بن سعيد الفقعسي من بني أسد، وكان يهاجي المساور بن هند، إسلامي كثير الشّعر.

(٢) الخرق: الجهل.

(٣) النوى: البعد، وأشاكلهُ: أشابهه.

(٤) السجية: الطبع والخلق.

(٥) الموق.

(٦) أي أن تكون الزيارة فترة بعد فترة بحيث لا تتواصل.

(٧) الرّحل: منزل الرجل ومسكنه وبيته.

وقال الطائيّ: [من الوافر]

وحَظُّكَ لَقْيَةٌ في كلِّ عامٍ مُوافقةً على ظهرِ الطريقِ

قال أخبرنا إسحاقُ بن إبراهيم الصّواف عن موسى بن يعقوب السَّدوسيّ عن أبي السِّنان عن عثمانَ بن أبي سَوْدةَ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ عاد مريضاً أو زار أخاً ناداه مُنادٍ من السماء: أن طِبتَ وطاب مَمْشاكَ تبوّأتَ من الجنة منزلاً».

كتب رجل إلى صديق له: مَثَلُنا، أعزَّك الله، في قرب تَجَاوُزِنا وبُعْدِ تَزاوُرِنا ما قال الأوّلُ: [من المنسرح]

ما أقربَ الدارَ والجِوارَ وما أبعدَ مع قُربِنَا تَلاقِينا

وكلُّ غفلةٍ منك محتمَلةٌ، وكل جَفوةٍ مغفورةٌ، للشّغفِ بك، والثِّقةِ بحسن نِيّتكَ، وسآخذ بقول أبي قيس[1]: [من الطويل]

ويُكرِمُهَا جاراتُها فيَزُرْنَها وتعتلُّ عن إتيانهنّ فتعذرُ[2]

وقال أعرابية: [من الطويل]

فلا تَحمَدُوني في الزّيارةِ إنّني أزورُكم إذا لم أجدْ متعلّلاَ

وكتب رجل إلى صديق له يستزيره: طال العهدُ بالاجتماع حتى كِدْنا نتناكرُ عند التلاقي، وقد جعلك الله للسّرور نِظاماً، وللأنس تماماً، وجعلَ المَشاهِدَ مُوحِشَةً إذا خلتْ منك.

وقال سهل بن هارون[3]: [من الطويل]

(١) أبو قيس: هو أبو قيس بن الأسلت، والأسلت لقب أبيه واسمه عامر بن جشم بن وائل.
(٢) تعتلُّ: أي تختلق العلل والأعذار.
(٣) سهل بن هارون بن راهبون، أبو عمرو الدستميساني. كاتب بليغٌ، حكيم، من واضعي القصص. يلقب «بزر جمهر الإسلام» فارسي الأصل.

ومـا العيشُ إلّا أن تَطُولَ بنـائـلٍ وإلّا لقاءُ المرءِ ذِي الخُلُق العَالي

وقال بشار: [من الخفيف]

تسقط الـطيـرُ حيث تَلتقطُ الحَـ ـبَّ وتُغشَى منـازلُ الكُـرَمـاءِ

قال رجل لصديق له: قد تَصدّيتُ للقائكَ غيرَ مرَّة فلم يُقْضَ ذلك، فقال له الآخرُ: كلُّ بِرٍّ تأتيه فأنت تأتي عليه.

قال ابن الأعرابيّ: [من الطويل]

وأُرْمي إلى الأرض التي من ورائكم لِتَـرْجِعَني يـومـاً عليـك الـرواجِـعُ[1]

وقال آخر: [من الطويل]

رأيتُ أخـا الـدنيـا وإن بـات آمنـاً على سفـرٍ يُسْرَى بـه وهـو لا يَـدْرِي

تثـاقَلْتُ إلّا عـن يـد أستـفيـدُهـا وزَوْرةِ ذي وُدٍّ أشُـدُّ بــه أزْرِي[2]

وقال آخر: [من الوافر]

أزورُ محـمـداً وإذا ٱلـتـقـينـا تكلمتِ الضمـائـرُ في الصـدورِ

فـأرجِـعُ لم أُلْمْـه ولـم يَلُمْـني وقـد رَضِيَ الضميـرُ عن الضميـرِ

كان سفيانُ بن عُيينةَ يقول: لا تعفِّرُوا[3] الأقدامَ إلا إلى أقدارها؛ وأنشد: [من الكامل]

نضـعُ الزيـارة حيث لا يُزْرِي بنا شَـرَفُ الملوكِ ولا تَخِيبُ الـزُّورُ

وكـان يقال: امْشِ مِيـلاً وعُدْ مـريضاً، وامش مِيلين وأصلِح بين اثنين. وآمش ثلاثةَ أميال وزُرْ أخاً في الله.

---

(١) أرمي إلى الأرض: أتطلع إليها، وترجعني: تردّني.

(٢) أشدّ به أزري: أي أتقوّى به.

(٣) التعفير: أي التمريغ بالتراب والغبار.

وقا بعض المحدَثين: [من الطويل]

إذا شِئتَ أن تُقْلَى فَـرُزْ متتـابِعـاً وإن شئت أن تـزدادَ حُبّاً فُـزرْ غِبّاً[٤]

وقال آخر: [مجزوء الكامل المرفّل]

أقْـلِلْ زيـارتـك الـصّـديـ ـقَ يـراك كـالثـوب آستجـدَّهْ[٢]

إنّ الـصـديـق يُـمِـلُّه ألَّا يـزالَ يـراك عـنـدَهْ

قال رجل لصديق له: ما أخلو وإن كان اللقاءُ قليلاً من سؤالٍ أو مُطَالعةٍ لكَ، فقلبي يقومَ مقام العِيانِ[٣].

وقال آخر لصديق له: قد جمعتْنا وإيـاكَ أحوالٌ لا يُـزْرِي بها بُعْـدُ اللقاءِ ولا يُخِلّ بها تَنازُحُ الديار[٤].

وقال آخر: لولا ما في بَديه اللقـاءِ من الحَيْرَةِ والتعـرّضِ به قبـل معرفـة العَينِ للجفوة، لم أتوقّف على مُطَالعةٍ حتى أصيرَ إليك.

وقال الشاعر: [من الطويل]

ومـاليَ وجـهٌ في اللئـام ولا يـدٌ ولكنّ وجهي في الكِرام عـريضُ

أصِـحُّ إذا لاقيـتـهُـم وكـأنّـني إذا أنـا لاقيتُ الـلئـامَ مـريضُ

وقال عليّ بن الجَهْم[٥]: [من البسيط]

أبْلَغْ أخا ما تـولّى اللهُ صحبتَنـا أنّـي وإن كنـتُ لا ألقـاهُ ألـقـاهُ

وأنَّ طَـرْفيَ موصـولٌ بـرؤيتـه وإن تبـاعـدَ عن مَثـوايَ مَثـواهُ

---

(١) القلي: البغض.

(٢) استجدّه: استحسنه لأنّه جديد.

(٣) العيان: المشاهدة والحضور.

(٤) تنازح الديار: بُعدها.

(٥) هـو عليّ بن الجهم بن بدر بن مسعـود بن أسيد يكنى أبا الحسن أصله من خـراسـان. كـان مبغضاً لأهل البيت وهوشاعر مطبوع عذب الألفاظ سهل الكلام.

اللهُ يعلَمُ أني لستُ أذكُرُهُ وكيف أذكره إذ لستُ أنساهُ

المعاتبة والتجنّي

قال حدّثنا محمدُ بن داود عن المَضَاءِ عن فرج بن فَضَالةَ عن لقمانَ بن عامر قال قال أبو الدَّرْداء: معاتبةُ الأخ خيرٌ من فقده، ومَنْ لك بأخيكَ كلِّه!.

وكان يقال: التجنّي وافدُ الصَّرْم(١).

وقرأت في الإنجيل: إن ظلمك أخوكَ فاْذهبْ فعاتِبه فيما بينك وبينه، فإن أطاعك فقد ربحتَ أخاكَ وإن هو لم يُطِعْك فاْستتبعْ رجلاً أو رجلين يشهدان ذلك الكلامَ، فإن لم يستمع فَأَنْهِ أمرَه إلى أهل البِيعةِ(٢)، فإن لم يستمعْ من أهل البِيعةِ فليكن عندكَ كصاحب المَكْس(٣).

وقال ابن أبي فَنَنٍ(٤): [من المتقارب]

إذا كنتَ تغضبُ من غير ذنبٍ وتعتِبُ من غير جُرمٍ عليّا
طلبتُ رضاك فإنْ عزّني عددتُكَ مَيْتاً وإن كنتَ حيّا
قنِعتُ وإن كنتُ ذا حاجةٍ فأصبحتُ من أكثر الناس شيّا
فلا تعجَبَنَّ بما في يديكَ فأكثرُ منه الذي في يدَيّا

وقال أبو نَهْشل(٥) يعاتب صديقاً له: [من الوافر]

عَدلتَ عن الرّحاب إلى المَضِيق وزرتَ البيتَ من غير الطريقِ

---

(١) الصرم: القطيعة والهجر.
(٢) البيعة: متعبّد النصارى.
(٣) المكس: الجباية والضريبة.
(٤) ابن أبي فنن: هو أحمد بن صالح بن أبي معشر مولى المنصور شاعر رقيق.
(٥) أبو نهشل: هو الأسود بن يعفر النهشلي الدارمي التميمي، أبو نهشل وأبو الجراح، شاعر جاهلي من سادات تميم، كان فصيحاً. جواداً.

وتَظلِمُ عند طاعتك المُوالي ... وليس الظلمُ من فعل الصديقِ
تجودُ بفضل عدلكَ للأقاصي ... وتمنعهُ من الخِلِّ الشفيقِ
أَمَا والراقِصاتِ بذات عِرقٍ ... وربِّ البيت والرُّكنِ الوثِيقِ[1]
لقد أطلَقْتَ لي تُهماً أراها ... ستَحمِلُني على مَضَض العُقوقِ[2]

وقال آخر: [من مجزوء الكامل المرفّل]

فدعِ العِتابَ فرُبَّ شَرٍّ هاجَ أوَّلُهُ العِتابُ

وقال الجَعْدِيّ[3]: [من المتقارب]

وكان الخليلُ إذا رابني ... فعاتبتُه ثم لم يُعتِبِ[4]
هَوايَ له وهَوَى قَلبِه ... سوايَ وما ذاكَ بالأصوب
فإنّي جَرِيءٌ على صُرْمِه ... إذا ما القرينةُ لم تُصْحِبِ[5]

قال رجلٌ لصديق له يعاتبه: ما أشكوكَ إلاّ إليكَ، ولا آستبطِئك إلاّ لكَ، ولا أستزيدكَ إلاّ بكَ، فأنا منتظرٌ واحدةً من آثنتين: عُتْبَى تكون منكَ، أو عُقْبَى الغِنَى عنك.

وقال آخرُ: قد حميتُ جانبَ الأمل فيكَ وقطعتُ الرجاء لك، وقد أسلمني اليأسُ منك إلى العَزاء عنك، فإن نَزعتَ من الآن فصفحٌ لا تَثْرِيبَ فيه[6]، وإن تماديتَ فهجرٌ لا وصلَ بعده.

---

(١) الراقصات: النّوق، لأنها ترقص في خببها، وذات عرق: مهل أهل العراق، وهو الحدّ بين نجد وتهامة.

(٢) المضض: الوجع والألم، والعقوق: أي جحود النعمة.

(٣) الجعدي: هو عبد الله بن قيس بن جعدة بن كعب بن ربيعة. كان يُكنّى أبا ليلى. هو جاهليٌ.

(٤) لم يعتب: لم يرض.

(٥) القرينة: النفس وأصبحت: انقادت.

(٦) لا تثريب: لا لوم.

وقال بعض الشعراء: [من الطويل]

ولا خيرَ في قُرْبى لغيرِكَ نفعُها ولا في صديقٍ لا تزالُ تُعاتِبُهْ
يخونُكَ ذو القربى مِراراً وربّما وفَى لكَ عند الجَهْد مَنْ لا تُناسِبُهْ

وقال آخر وهو أوسُ بنُ حَجَر: [من الطويل]

وقد أُعتِبُ آبنَ العمّ إن كان ظالماً وأغفرُ عنه الجهلَ إن كان أجهلا

وكتب رجل إلى صديق له: الحالُ بيننا تحتمِلُ الدَّالَّةَ[1]، وتُوجِبُ الأُنسَ والثِّقةَ، وتبسط اللسانَ بالاستزادة.

وكتب رجل آخرُ إلى صديق له: قد جعلك اللهُ ممن يحتمِل الدَّالَّةَ الكبيرةَ لذي الحُرمةِ اليسيرةِ، ورفعكَ عن أن تبلغ آستزادةَ المستزِيد بعُنْفِ الحَمِيَّة.

والعرب تقول لمن عُوتِب فلم يُعتِبْ: «لك العُتْبى بأن لا رضِيتَ»[2].

ونحوه قول بشر بن أبي خازم[3]: [من الكامل]

غَضِبَتْ تميمٌ أن تُقَتَّلَ عامِرٌ يوم النِّسارِ فَأُعتِبُوا بالصَّيْلَمِ[4]

وقال أوسُ بن حارِثةَ لابنه: العِتابُ قبل العِقاب. وهذا نحو قول الآخر: ليكن إيقاعُكَ بعد وعيدك، ووعيدُكَ بعد وَعْدك.

---

(١) الدّالة: الحظوة والأمل.

(٢) أي أنّ اعتابي إياك بقولي لك: لا رضيت، على وجه الدعاء أي لا رضيت أبدا.

(٣) بشر بن أبي خازم: وهو عمرو بن عوف الأسدي أبو نوفل شاعر جاهلي فحلٌ من الشجعان. من أهل نجد من بني أسد. هجا أوس بن حارثة الطائي.

(٤) يوم النِّسار: ذكره أبو عبيدة فقال: تحالفت أسدٌ وطيء وغطفان فغزوا بني عامر فقتلوهم قتالاً شديداً فغضبت بنو تميم لقتل بني عامر فتجمعوا يوم الفجار فقتلوا طيئاً أشدّ ما قتلت عامراً يوم النسار، والصيلم: السيف.

وقال إياسُ بن معاويةَ[١]: خرجتُ في سفرٍ ومعي رجل من الأعراب، فلمّا كان ببعض المناهل لقِيَه آبنُ عمّ له فتعانقا وتعاتبا وإلى جانبهما شيخٌ من الحيّ، فقال لهما الشيخ: أنعِمَا عيشاً، إنّ المعاتبةَ تبعَثُ التجنّي، والتجنّيَ يبعثُ المخاصمةَ، والمخاصمةَ تبعثُ العداوةَ، ولا خيرَ في شيء ثمرتُه العداوةُ، فقلت للشيخ: مَن أنتَ؟ قال: أنا آبن تَجرِبَةِ الدهرِ ومَنْ بَلاَ تلوُّنَه[٢]، فقلت له: ما أفادكَ الدّهرُ؟ قال: العلم به، قلت: فماذا رأيتَ أحمدَ؟ قال: أن يُبقِيَ المرءُ أحدوثةً حسنة بعده، قال: فلم أبرَحْ ذلك الماءَ حتى هلَك الشيخُ وصلّيت عليه.

وقال رجل لصديق له: أنا أُبقي على موّدتك من عارضٍ[٣] يغيِّرُه وعتابٍ يقدَح فيه، وأؤمّل نائياً من رأيك يُغني عن آقتضائكَ.

وقرأتُ في كتاب العتّابيّ[٤]: تأنّيْنا إفاقتَكَ من سكر غفلتِك، وترقَّبْنا آنتباهكَ من وسن رَقدتك، وصبرَنا على تجرّع الغيظ فيك حتى بان لنا اليأسُ من خيرك، وكشَف لنا الصبرُ عن وجه الغلطِ فيك، فها نحن قد عرفناكَ حقَّ معرِفتكَ في تَعَدّيكَ لِطويلِ حَقِّ مَنْ غَلِط في آختيارك.

وقال الشاعرُ: [من الطويل]

فأيُّهما يا لَيلَ إنْ تَفعلي بنا ... فآخرُ مَهجورٍ وأوَّلُ مُعتبِ

وكتب محمد بن عبد الملك إلى الحسن بن وهب[٥]: يَجِب على

---

(١) هو إياس بن معاوية بن قرّة المزني، أبو واثلة قاضي البصرة وأحد أعاجيب الدهر في الفطنة والذكاء، يضرب المثل بذكائه.

(٢) بلا تلوّنه: أي اختبر تغيُّراته.

(٣) العارض: أي ما يعرض للشيء ويطرأ عليه.

(٤) العتّابي: هو كلثوم بن عمر بن أيوب التغلبي سبق أن ترجمنا له.

(٥) هو الحسن بن وهب بن سعيد بن عمرو بن حصين الحارثي، أبو علي، كاتبٌ من الشعراء، عاصر أبا تمام واستكتبه الخلفاء.

المـرءوس إذا تجاوزَ بـه الرئيسُ حقَّ مـرتبته بعمله، وكـان تفضيلُه إنما وقـع له بخفته على القلب ومحلّه من الأدب، أن يقابل ذلك بمثله إن كان مُحامِياً على محلّه، وإلا لن يؤمَنَ عليه معنى بيتِ شريح : [من الطويل]

فإنّي رأيتُ الحبَّ في الصّدر والأذى إذا آجتمعـا لم يَلْبَثِ الحبُّ يـذهَبُ

باب الوَداع

قال حدّثني محمد بن خالد بن خِداش قال حدّثنـا مسلم حدّثنـا سَلْمُ بن قتيبة عن إبراهيمَ بن عبد الرحمن بن يزيدَ بن أمية عن نافـع عن آبن عمر: أنّ رسولَ الله ﷺ كان يقول «إذا ودّع رجلاً أُسْتَـودِعُ اللهَ دينَكَ وأمـانتكَ وخـواتيمَ[1] عملِكَ وآخر عمرِكَ».

قال وحدّثني محمـد بن عبد العـزيز قـال حدثنا مسلم بن إبراهيم عن سعيد بن إبي كعب الأزدِيّ عن موسى بن مَيْسرة عن أنس بن مالـك: أن رجلاً أتى النبيَّ ﷺ فقال: إنّي أُريدُ سفـراً غداً فقـال: «في حفظِ اللهِ وكنفه زوّدكَ اللهُ التقوى وغفر ذنبَكَ ووجّهكَ للخير حيثُ كنتَ».

المعتمِـرُ عن إيـاس بن دَغْفَـلٍ قـال: رأيت الحَسَنَ ودَّع رجــلاً وعينـاه تَهْمِلان وهو يقول: [من الطويل]

وما الدّهـرُ إلا هكذا فـآصطَبِـرْ له رَزِيئَـةُ مــالٍ أو فِـراقُ حـبيـبِ

قال وودّع رجلٌ صديقاً له وهو يقول: [من المتقارب]

---

(١) الخواتيم: أي أواخر العمل.

وَدَاعُـكَ مثـلُ وداع الـربيـعِ   وفقـدُكَ مثـلُ آفتقـاد الـدِّيَمْ(١)
عليـكَ السـلا مُ فكَمْ من وفـاءٍ   نُفَـارِقُـه منـكَ أو مـن كـرَم

وقال الطائي: :   [من الخفيف]

بيَّنَ البيـنُ فَقْـدَهـا، قَـلَّمـا تَعـ   ـرِفُ فقداً للشمسِ حتى تغِيبا(٢)

وقال جريرٌ:   [من الكامل]

يـا أختَ نـاجيـةَ السَّلام عليكُم   قبـلَ الرحيـل وقبلَ لَـوْمِ العُـذَّلِ
لـو كنتُ أعلم أنّ آخـر عهـدكُمْ   يـومُ الرحيـل فعلتُ ما لم أفعـلِ
أو كنتُ أرهبُ وَشْكَ بَيْنٍ عاجـلٍ   لقنِعتُ أو لسألتُ مـا لم يُسْـألِ

وبلغني عن بكر المازنيّ أنه قال: دخلتُ على الـواثق حين أمر بحملي، فقـال لي: ما آسمُـك؟ فقلت: بكـرٌ، قـال: مَنْ خلَّفت وراءكَ؟، قلتُ: بُنَيَّـةٌ، قال: ما قالت عند وداعك؟ قلتُ: قالت: [من المتقارب]

إذا غبـتَ عـنّـا وخَـلَّفـتَنـا   فَـإنّا سـواءٌ ومَنْ قـد يَتِمْ(٣)
أبَـانـا فـلا رِمْتَ مِنْ عنـدنـا   فـإنـا بخيـرٍ إذا لـم تَـرِمْ(٤)
أبـانـا إذا أضمـرتـكَ البِـلا   دُ نُجْفَى وتُقـطَعُ منّا الـرَّحِمْ(٥)

قال: فما قلتَ لها أنتَ؟ قال: قلت ما قال جرير: [من الوافر]

ثِقي بـالله ليس لـه شـريـكٌ   ومِنْ عنـدِ الخليفـةِ بـالنَّجـاحِ

كان لبني عُقَيلٍ عبدٌ رضيعٌ بِلِبَانِ بعضهم فباعوه، فقال حين شَخَص بـه مواليه شعراً:   [من الطويل]

(١) الدِّيم: جمع ديمة وهي مطر يدوم في سكون بلا رعدٍ ولا برق.
(٢) بيَّن البين: أي أظهر البعد والفراق الحاجة لها.
(٣) يتِم: من اليتم، أي تركتنا دون مُعيل.
(٤) لم ترم: لم تبرح وتفارق.
(٥) أضمرتك البلاد: أخفتك وأبعدتك.

أشوقاً ولمّا يُمْضَ بي غيرَ ليلةٍ فكيف إذا سار المطيُّ بنا شهرا

وقال مسلمُ بن الوليد: [من الطويل]

وإنّي وإسماعيلَ عند وَداعه لكالغِمْدِ يومَ الرَّوْعِ زايَله النَّصلُ[1]
فإن أغشَ قوماً بعدهم وأزورَهم فكالوحش يُدْنِيها من الأَنَسِ المَحْلُ[2]

وقال آخرُ عند توديعه: [من الطويل]

عجبتُ لتطويح النّوى مَنْ نُحِبُّهُ وتدنو بمَنْ لا يُستلَذُّ له قُربُ[3]

وقال آخر: [من البسيط]

مالتْ تُودّعني والقلب يَغْلِبُها كما يَمِيل نسيمُ الريح بالغُصُن
ثم آستمرتْ وقالتْ وهي باكيةٌ يا ليتَ معرفتي إيّاكَ لم تكنِ

وقال آخرُ لرجل ودّعه: بقي علينا أن نَكُفَّ من غَرْب الشُّؤونِ[4]، ونَستعينَ على فُرْقةِ الوَحْشة بالكُتُب، فإنها ألسُنٌ ناطقة، وعيونٌ رامقة[5].

وقال البُحتريّ: [من مجزوء الكامل المرفّل]

اللهُ جارُكَ في آنطِلاقِكْ تِلْقَاءَ شَامِكَ أو عِرَاقِكْ
لا تَعذُلَنِّي في مَسِيـ ـرِي يوم سِرتُ ولم أُلاقِكْ

---

(١) الغمد: جفن السيف والرّوع: الحرب، وزايله: فارقه، والنصل: السيف.
(٢) الأنس: الإنس، والمحل: الجفاف.
(٣) التطويح: الإبعاد والتفريق.
(٤) غرب الشؤون: الغرب: مسيل الدمع، والشؤون: الدموع.
(٥) الرامقة: الناظرة.

إنّــي خشِـيــتُ مَــوَاقِـفــاً ... لِلبَيْنِ تسفَحُ غَـرْبَ مـاقِـكْ[1]
وعـلـمـتُ مــا يَـلقَـى الــمــوَ ... دِّعُ عنـدَ ضمِّـكَ وآعتِنـاقِـكْ
فــتــركــتُ ذاكَ تَــعــمُّــداً ... وخَـرَجْتُ أهـرُبُ من فِـراقِـكْ

الهدايا

قال حدّثنا يزيدُ بن عمرو قال حدّثنا عُمير بن عِمْران قال حدّثنا الحـارث ابن عتبة عن العَلاَء بن كَثيرٍ عن مكحول قـال: قال رسـول الله ﷺ: «تصَافَحُوا فإنّ المصافحةَ تُذْهب غِلَّ الصدور، وتَهادَوْا فإنّ الهديّةَ تَذهَبُ بالسَّخِيمة»[2].

وحدّثني أبو الخطاب قال حدّثنا بِشْر بن المفضَّل عن يـونس عن الحسن قال قال رسـول الله ﷺ: «لو أُهـدِيَتْ لي ذِراعٌ لقَبِلت، ولو دُعيتُ إلى كُـرَاعٍ[3] لأجبتُ».

وفي حـديث آخر: «تهادَوْا تحابُّـوا فإن الهـدية تفتَـحُ البـابَ المُصْمَتَ[4] وتَسُلُّ سخِيمةَ القلب».

قال حدّثنـا عبد الـرحمن بن عبد الله عن الأصمعيّ قـال: سمعْتُ نافعـاً يحدث قال: كان ابن عمر يقول: الهدايا من أمراء الفتنة.

وروى الـزُّبيرُ بن بَكَّـار عن عمه قـال: كان الحـارث بن عبد الله بن أبي رَبيعة يجلس وعمرو بن عبيد الله بن صَفْوانَ، ما يكادان يفتـرقان، وكـان عمرو يبعثُ إلى الحارث في كلّ يـوم بِقرْبـةٍ من ألبان إبله، فـاختلَف ما بينهمـا فأتى

---

(١) تسفح غرب ماقك: أي تجعلك تذرف دموع عيونك.
(٢) السّخيمة: الضغينة والحقد.
(٣) الكُراع: يد الشاة.
(٤) المُصْمَت: المغلق.

عمرو أهلَه فقال: لا تبعَثُوا للحارث باللبَن فإنا لا نأمنُ أن يَـرُدَّه علينا؛ وانقلب الحارثُ إلى أهله فقال: هل أتاكم اللبنُ؟ قالوا: لا؛ فلما راح الحارثُ بعمـرو قال: يا هذا لا تجمعنَّ علينا الهجرَ وحبسَ اللبن؛ فقال: أمّـا [illegible] هذا فـلا يحملُها إليك غيري، فحملها من رَدْمِ[1] بني جُمَح إلى أجياد[2].

وبعث النضـرُ بن الحـارث إلى صـديق لـه يسكن عَبَّـادانَ بنعلين مخصُوفتين وكتب إليه: بعثتُ إليكِ بهما وأنا أعلمُ أنّ بكَ عنهمـا غِنىً، ولكني أحببتُ أن تعلمَ أنكَ مني على ذُكْرٍ.

وقال بعضُ الشعراء: [من مجزوء الكامل المرفّل]

إنّ الـهـديّـةَ حُـلوةٌ كـالسِّحـر تَجتَلِبُ القلوبَـا
تُـدني البغيضَ من الهـوى حـتـى تُـصَـيِّـرَه قـريـبَـا
وتُعيـدُ مُضـطغِنَ العَـدَا وةِ بعـد نُفْـرَتـه حبيبَـا[3]

أهدى رجلٌ إلى صديق له عبداً أسودَ؛ فكتب إليه: أمّا بعد، فلو علمتَ عـدداً أقلَّ من واحـد أو لونـاً شرّاً من الأسـود لبَعثْتَ به إليّ. وهـذا نظيـرُ قول الآخر وقد سُئلَ كم لك من الولد؟ قال: خبيثٌ قليل؛ قيـل: وكيف؟ فقال: لا أقلّ من واحد ولا أخبثَ من بنت.

أهـدى رجلٌ إلى بعض الأمـراء هـديـةً، فكتب إليـه الأميـرُ: قـد قبلتُها بالموقع ورددتُها بالإبقاء.

---

(١) ردم بني جمع: موضع بمكة سمّي بذلك لوقعةٍ كانت فيه بين بني جمح بن عمرو، وبين محارب بن فهر، رُدم فيه كثير من بني جمح.

(٢) أجياد: موضع بمكة يلي الصفا، واختلف في تسميته فقيل: سُمِّي بذلك لأن تُبَّعاً لما قدم مكة ربط خيله فيه، وقيل غير ذلك.

(٣) المضطغن: الحاقد، والنفرة: من النفور.

وكان ابن عباس يقول: مَنْ أُهدِيَتْ إليه هديّةٌ وعنده قومٌ فهم شركاؤه فيها؛ فأهدَى إليه صديقٌ ثياباً من ثياب مصرَ وعنده أقوام فأمر برفعها، فقال له رجل: ألم تُخبِرنا أنّ مَن أُهديَتْ له هديّةٌ وعنده قومٌ فهم شركاؤه فيها! فقال: إنّما ذلك فيما يؤكلُ ويُشْربُ ويُشم، فأمّا في ثيّاب مصر فلا.

وقال خلفُ الأحمرُ[1]: [من الطويل]

أتاني أخٌ من غَيْبةٍ كان غابها ... وكنتُ إذا ما غاب أنشُده رَكْبا[2]

فجاء بمعروفٍ كثيرٍ فدسّه ... كما دسّ راعي السَّوْءِ في حِضنه الوَطْبا[3]

فقلت له هل جِئتَني بهديّةٍ ... فقال بنفسي قلت أتحِفْ بها الكلبا

هي النفسُ لا أرثي لها من بليّةٍ ... ولا أتمنّى أن رأيتُ لها قُربا

أهدى رجل إلى صديق له وكتب إليه: الأُنس سهّل سبيلَ الملاطفة، فأهديتُ هديّةَ من لا يَحْتشِم، إلى من لا يَغْتنِم.

وحدّثنا أحمد بن الخليل قال حدّثنا أبو سَلَمة عن حُبَابة بنت عَجْلان عن أمّها أم حفص عن صفيّة بنت جرير عن أم حكيم بنت وَدَاع الخُزَاعيّة قالت: قلت للنبي ﷺ: ما جزاءُ الغنيّ من الفقير؟ قال: «النصيحة والدعاء قلت: يُكْرَه ردُّ اللَّطَف؟[4]. قال: ما أقْبَحَه، لو أُهدِيتْ إليّ ذِراع لقَبِلتُ، ولو دُعِيتُ إلى كُرَاع لأجبتُ، تهادَوْا فإنه يُضْعِفُ الحُبَّ[5] ويَذْهَب بغوائل القلوب»[6].

---

(١) خلف الأحمر: هو خلف بن حيّان أبو محرز، كان عالماً بالغريب والنحو والنّسب والأخبار، شاعر كثير الشعر جيّده، لم يكن في نظرائه من أهل العلم أكثر شعراً منه.

(٢) أنشده: أسأل عنه.

(٣) الوطب: سقاء اللّبن.

(٤) اللطف: اسمٌ من ألطفه، أي برّه وأعانه.

(٥) يضعف الحب: أي يجعله يتضاعف ويزداد.

(٦) غوائل القلوب: أحقادها وضغائنها.

وحدّثني محمد بن سَلّام الجُمَحيّ[١] قال حدّثني خلّاد بن يزيد الباهليّ قال: أُهدِيتْ ليزيد بن عمر بن هُبَيْرة في يوم المِهْرَجان هدايا وهو أمير العراق فصُفّت بين يديه؛ فقال خلف بن خليفة وكان حاضراً: [من المتقارب]

كأنّ شماميسَ في بِيعةٍ ... تسبِّح في بعض عِيداتِها[٢]
وقد حضرتْ رسلُ المِهْرجا ... نِ وصَفُّوا كريمَ هَدِيّاتِها
علوتُ برأسيَ فوق الرءوس ... فأشخصْتُهُ فوق هاماتها[٣]
لأكسِبَ صاحبتي صَحْفةً ... تغيظ بها بعضَ جاراتها

فأمر له بجامٍ[٤] من ذهب، ثم أقبل يفرِّق بين جلسائه تلك الهدايا ويُنشد: [من البسيط]

لا تبخَلَنّ بدُنيا وهي مقبلةٌ ... فليس يَنْقُصها التبذيرُ والسَّرَفُ[٥]
فإنْ تولّتْ فأَحْرَى أن تجودَ بها ... فالحمدُ منها إذا ما أدبرتْ خَلَفُ

كتب رجلٌ من أصحاب السلطان إلى بعض العلماء يَستهدِيه مِهارة[٦] من ناحية عمله. فكتب إليه العامل: أمّا المِهارُة فإن أهل عملنا يصونونها صيانةَ الأعراض، ويسترونها سَتْرَ الحُرَم، ويسومون[٧] بها مهور العقائل[٨]؛ وأنا مستخلِص لك منها ما يكون زينَ المَرْبِطَ وحُمْلانَ[٩] الصديق، إن شاء الله.

---

(١) هو محمد بن سلام الجمحي أبو عبد الله إمام في الأدب من أهل البصرة وصاحب كتاب طبقات الشعراء.
(٢) الشماميس: الرهبان من النصارى، والبيعة: مكان العبادة.
(٣) أشخصّه: رأيته وحدّقت به.
(٤) الجام: الإناء.
(٥) السّرف: من الإسراف وهو التبذير.
(٦) المهارة: جمع مُهر، وهو ولد الفرس.
(٧) يسومون: من السَّوم في المبايعة.
(٨) العقائل: المحصنات الكريمات.
(٩) حملان الصديق: ما يوهب من الدواب كالفرس ونحوه ممّا يحمل عليه.

وقال بعضهم: الهدّية إذا كانت من الصغير إلى الكبير، فكلّما لَطُفتْ ودقّت كان أبهى لها، وإذا كانت من الكبير إلى الصغير، فكلّما عَظُمتْ وجلّت كان أوقع لها وأنجع.

وكتب أبو السّمْط[١]: [من الوافر]

بدولةِ جعفرٍ حَسُنَ الزمانُ ... لنا بك كلَّ يومٍ مِهْرجان

ليومِ المهرجانِ بك آختيالٌ ... وإشراقٌ ونورٌ يُستبانُ

جعلتُ هديّتي لك فيه وَشْياً ... وخيرُ الوَشْي ما نَسَج اللسانُ[٢]

أهدى حُسَام بن مصَكّ إلى قَتَادةَ نعلاً رقيقة، فجعل قتادةُ يَزنها بيده، وقال: إنك تعرف سُخْفَ عقلِ الرجل في سخف هِدِيّته.

وقال الشاعر: [من الوافر]

سقى حُجّاجَنا نَوْءُ الثريّا ... على ما كان من بُخْلٍ ومَطْلِ[٣]

همُ جمعوا النعالَ وأحرزوها ... وسدُّوا دونها بابفا بقُفْلِ

فإنْ أهديتُ فاكهةً وجدياً ... وعشرَ دجائج بَعثُوا بِنعلِ

ومِسْواكَيْنِ طولُهما ذِراعٌ ... وعشرٍ من ردِىء المُقْلِ حُسْلِ[٤]

فإن أهديتُ ذاك ليحملوني ... على نَعْلٍ فدقّ الله رِجْلي

أُناس تائِهون لهم رُواءٌ ... تَغِيم سماؤهم من غير وَبِلِ

إذا آنتسبوا ففرعٌ من قريشٍ ... ولكنّ الفِعالَ فِعالُ عُكْلِ[٦]

(١) أبو السّمط: هو مروان بن يحيى «أبي الجنوب» بن مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة، ويلقب بغبار العسكر، وأبو السّمط كنيته شاعر ونديم قرّبه المتوكّل العباسي.

(٢) الوشي: المحبَّر من الثياب.

(٣) النوء: المطر، والمطل: التسويف وعدم الوفاء بالوعد.

(٤) المقل: ثمر الدّوم، وحُسْل: جمع حسيل، وهو رذال الشيء.

(٥) تائهون: من التيه وهو التكبّر، والرُّواء: المنظر، والوبل: المطر.

(٦) عكل: قبيلة فيهم غباءٌ وقلّة فهم، ولذلك يقال لكلّ من فيه غفلة وحمق: عكلي ..

كتب رجل إلى صديق له: لولا أنّ البضاعة قَصّرت بي عن بلوغ الهِمة لأتعبتُ المسابقين إلى بِرِّك. وكَرِهتُ أن تُطْوَى صحيفةُ البِرّ، وليس ليَ فيها ذِكر، فبعثت إليك بالمبتدأ بيُمنه وبركتِه، والمختوم بطيبه ورائحتِه: جرابِ مِلْح، وجراب أُشْنَان[١].

أهدى الطائيّ إلى الحسن بن وهب قلماً وكتب إليه: [من الخفيف]

قد بعثنا إليك أكرمك اللـ ـه بشيءٍ فكن له ذَا قَبُولِ
لا تَقِسْه إلى نَدَى كفّك الغَمْـ ـر ولا نَيْلِك الكثيرِ الجزيلِ[٢]
وآغتفر قِلّةَ الهديّةِ مِنّي إنّ جهدَ المُقِلِّ غيرُ قليلِ

وبعث أبو العَتَاهِيَة إلى الفضل بن الربيع بنعلٍ وكتب معها: [من الكامل]

نعلٌ بعثتُ بها لتلبَسَها تسعى بها قدمٌ إلى المجدِ
لو كان يمكن أن أُشَرِّكَها جِلْدِي جعلتُ شِراكَها خَدِّي[٣]

وقال بعض الشعراء في نحو ذلك: [من الكامل]

أَوَ ما رأيتَ الوردَ أتحفَنَا به إتحافَ مَنْ خَطَر الصديقُ ببالِهِ
لو كان يُهْدَى لامرىءٍ ما لا يُرَى يُهْدَى لعُظْم فِراقه وزِيالِهِ[٤]
لرددتُ تُحفتَه عليه وإنْ علتْ عن ذاك وآستهديتُ بعضِ خِصالِهِ

وقال المهديّ[٥]: [من السّريع]

تفّاحةٌ من عند تفّاحةٍ جاءتْ فماذا صنعتْ بالفؤادْ

(١) الأشنان: نبات وهو أجناس كثيرة وكلّها من الحمض وتغسل به الثياب وغيرها.
(٢) الغمر؛ الوفير.
(٣) أشرّكها: أي أجعل لها شراكاً، والشراك: سير النعل على ظهر القدم يربط به.
(٤) الزيال: الفراق.
(٥) المهديّ: هو المهدي الخليفة العباسي.

واللهِ مـا أدري أأبصـرتُـهـا يقظانَ أم أبصرتُها في الرّقادْ

قال: وكتب بعض العمال إلى صديق له: إنّي تصفّحتُ أحوالَ الأتْباع الذين يجب عليهم الهدايا إلى السّادة في مثل هذا اليوم والتأسّي بهم في الإهداء، وإن قَصّرتِ الحالُ عن قَدْرك، فرأيتُني إن أهديتُ نفسي فهي مِلكُ لك لا حظّ فيها لغيرك، ورميتُ بطَرْفي إلى كرائم مالي فوجدتُ أكثَرها منك، فكنت إن أهديتُ شيئاً منه كالمُهْدي مالَك إليك ومُنفِق نفقتِك عليك؛ وفَزِعتُ إلى مودّتي وشكري فوجدتُهما خالصَيْنِ لك قديمين غيرَ مستحدثَيْن، ورأيتُ إن أنا جعلتُهما هديّتي لم أُجَدِّد لهذا اليوم الجديد بِرّاً ولا لَطَفاً. ولم أَقِسْ منزلةً من شكري بمنزلةٍ من نعمتك إلاّ كان الشكر مُقصِّراً عن الحق، وكانت النعمةُ زائدةً على ما تبلُغه الطاقة؛ ولم أسلك سبيلاً ألتمِس بها برّاً أعتدّ به أو لَطَفاً أتوصّل إليه، إلا وجدتُ رِضاك قد سبقني إليه، فجعلتُ الإعتراف بالتقصير عن حقّلك هدّيةً إليك؛ وقد قلت في ذلك: [من السّريع]

إنْ أُهْدِ نفسي فهي من مِلْكِهِ أو أُهدِ مالي فهو من مالِهِ

لمّا قَدِم معاويةُ المدينةَ مُنصرِفاً من مكة، بعث إلى الحسن والحُسين وعبدِ الله بن جعفر وعبدِ الله بن عمر وعبدِ الله بن الزُّبَير وعبد الله بن صَفْوان ابن أُميّة بهدايا من كُسىً وطِيبٍ وصِلاتٍ من المال، ثم قال لرسله: ليحفَظْ كلُّ رجلٍ منكم ما يرى ويسمع من الردّ. فلما خرج الرُّسُلُ من عنده، قال لمن حضر: إن شئتم أنبأناكم بما يكون من القوم؛ قالوا: أخبِرْنا يا أمير المؤمنين؛ قال: أمّا الحسن فلعله يُنيل نساءَه شيئاً من الطِّيب ويُنْهِب[1] ما بَقي مَنْ حَضَره ولا ينتظر غائباً. وأما الحسين فيبدأ بأيتامِ من قُتِل مع أبيه بِصِفِّين،

(١) ينهِب: أي يجعله نهبا لهم وعطاءً.

فإن بقيَ شيء نَحَر به الجُزُ وسَقَى به اللبن. وأما عبد الله بن جعفر فيقول: يا بُدَيح(١)! أقْضِ به دَيْني، فإن بقي شيء فأنفِذْ به عِدَاتي(٢). وأما عبد الله بن عمر فيبدأ بفقراء عَدِيّ بن كعبٍ، فإن بقي شيء آدّخره لنفسه ومانَ(٣) به عيالَه. وأما عبد الله بن الزبير فيأتيه رسولي وهو يسبّح فلا يلتفت إليه ثم يعاوِده الرسولُ فيقول لبعض كُفَاته(٤): خذوا من رسول مُعاوية ما بعثَ به، وصَله الله وجَزَاه خيراً، لا يلتفت إليها وهي أعظم في عينه من أُحُدٍ، ثم ينصرِف إلى أهله فيَعْرِضُها على عينه ويقول: آرفعوا، لعلّي أن أعودَ على ابن هِند يوماً ما. وأما عبد الله بن صفوان فيقول: قليلٌ من كثير، وما كلّ رجلٍ من قريش وصل إليه هكذا، رُدّوا عليه؛ فإن رَدّ قَبلناها. فرجع رُسُله من عندهم بنحوٍ ممّا قال معاوية؛ فقال معاوية: أنا بنُ هند! أعلم بقريش من قريش.

قال يونس بن عُبَيد: أتيتُ آبنَ سِيرينَ(٥) فدعوتُ الجارية، فسمعتُه يقول: قولوا له: إنّي نائم ـ يريد: سأنام ـ؛ فقلت: معيَ خَبِيص(٦)؛ فقال: مكانَك حتى أخرج إليك.

قال رجل لأبي الدَّرْداء: إنّ فلاناً يُقْرِئك السلام؛ فقال: هدّيةٌ حسنة ومَحْمَل خفيف.

وبعث رجلٌ إلى جارية يقال لها «راح» براحٍ(٧)، وكتب إليها:

---

(١) بُديح: إسم حولى كان لعبد الله بن جعفر.
(٢) عداتي: جماعتي.
(٣) مان به عياله: أي جعله مؤنةً لهم.
(٤) كفاته: أي الذين يقومون على خدمته.
(٥) ابن سيرين: هو محمد بن سيرين إمام وقته في علوم الدين.
(٦) الخبيص: نوع من الحلواء يصنع في الطناجير وهو أنواع كثيرة.
(٧) الّراح: الخمر.

[من مجزوء الخفيف]

قُـلْ لـمـن يـمـلك الـمـلو ... كَ وإنْ كـان قـد مُـلِكْ

قـد شَـرِبنـاكِ فـآشـرَبي ... وبـعـثـنـا إلـيـكِ بِـكْ

أهدى رجل إلى عُبيد بن الأخطل شاةً مهزولة[1]، فكتب إليه عبَيد:

[من المتقارب]

وهبتَ لـنـا يـا أخـا مِنْقَـرٍ ... وعِـجْـلٍ وأكـرمَـهـا أوّلا[2]

عجـوزاً أضـرَّ بهـا دهـرُهـا ... وأنـزلـهـا الـذُّلُّ دارَ الـبِـلَى

سلوحاً حسِبتُ بـأن الـرِّعـاء ... سَقَوْها الغريقَوْن والحنظلا[3]

وأجـدبَ مـن ثـور زَرّاعـةٍ ... أصـاب على جـوعـه سُنْبُلا[4]

وأزهـدَ من جِيفـةٍ لم تَـدَعْ ... لها الشمسُ من مَفْصِلٍ مَفْصِلا

فـأهـوتْ يميني إلى جنبهـا ... فخلتُ حـراقِيقَهـا جَنْـدَلا[5]

وأهـوتْ يَسَاري لعُـرْقـوبهـا ... فخلتُ عَـرَاقيبَـهـا مِغْـزَلا[6]

فـقلت أبيـع فـلا مَشْـرَبـاً ... تُـؤَدِّى إلـيّ ولا مَـأْكَـلا

أمَ آجعـلُ من جلدهـا حَنْبَـلاً ... فـأقْـذِرْ بحنبلهـا حنبـلا[7]

إذا هي مـرّت على مـجلسٍ ... مـن العُـجْـبِ كـبّـر أو هـلّلا

رأوْا آيـةً خـلفـهـا سـائـقٌ ... يَـحُثّ وإن هـرولـتْ هـرولا

(١) المهزولة: الضعيفة.

(٢) منقر وعجل: من القبائل.

(٣) السّلوح: من السّلح، وهو ما يخرج من الطّير والبهائم والغريقون: ترياق للسّموم مفتح مسهل، والحنظل: نبات ثمره شديد المرارة.

(٤) الزراعة: موضع الزرع كالملاحة لموضع الملح.

(٥) الحراقيق: جمع حرقفة وهي رأس الورك، والجندل: الصخر الصلب.

(٦) العرقوب من الدابة: عصبٌ غليظ هو في رجلها كالرّكبة في يدها.

(٧) الحنبل: الفرو.

فكنتَ أمـرتَ بهـا ضَخْمـةً ... بشحمٍ ولحمٍ قـد اسْتُكمِـلا

ولـكـنّ رَوْحـاً عَـدَا طَـوْرَه ... ومـا كنتُ أحسب أن يفعـلاَ[١]

فعَضّ الـذي خـانني حـاجتي ... بـإستِ آمّه بَـظْرَها الا غـرَلاَ[٢]

فـلولا مكـانُـك خَضّبتُهـا ... وعَلّقتُ في جِيـدها جُلْجُـلاَ[٣]

فجـاءت لكيمـا تـرى حـالَهـا ... فـتـعـلمَ أنّـي بـهـا مُبـتـلَى

سـألتُـك لحمـاً لِصبيـانِنـا ... فـقـد زِدتَنـي فيـهمُ عَيِّـلاَ[٤]

فخـذْهـا وأنت بهـا مُحسِنٌ ... ومـا زلتَ بي مُحسِناً مُجْمِـلاَ

وبعث رجل إلى دِعْبِل بأُضحيّة[٥]، فكتب إليه: [متقارب]

بـعـثـتَ إلـيّ بـأُضـحـيّـةٍ ... وكنتَ حَـرِيّـاً بـأنْ تفعـلاَ

ولـكنّـهـا خـرجـتْ غَـثّـةً ... كـأنـك أرعيتَهـا حَـرْمَـلاَ[٦]

فـإن قَبِـل الله قُـرْبـانَـهـا ... فسبحـانَ ربِّـك مـا أعـدلاَ

قيل لرجل قَدِم من مكة: كيف أثمان النِّعال بمكة؟ قال: أثمان الجِدَاء[٧] بالعراق.

وقال مُسْلم بن الوليد: [طويل]

جَزَى الله من أهدَى التُّرُنْجَ تحيـةً ... ومَنَّ بمـا يهـوى عليـه وعَجّـلا[٨]

---

(١) عدا طوره: جاوز حدّه.

(٢) الأغرل: الذي لم يختن.

(٣) الجيد: العنق، والجلجل: واحد الجلاجل وصوته الجلجلة، يعلّق في عنق الحمار وغيره.

(٤) العيّل: أي ما يجب إعالته ومؤنته.

(٥) الأضحية: ما يضحّي به من شاة وغيرها.

(٦) الغثة: الهزيلة، والحرمل: حبُّ نباتٍ يمتنع عن الأكلة، ولا يأكله إلّا الماعز.

(٧) الجداء: جمع جدي.

(٨) التُّرنج: : ثمر شجر بستاني من جنس الليمون ناعم الورق والحطب.

أتتنا هدايا منه أشبهن رِيحَه وأشبَهَ في الحسن الغزالَ المكحّلا
ولو أنّه أهدَى إليّ وِصالَه لكان إلى قلبي ألذَّ وأوصلا

وكتب رجل إلى صديق له شَرِب دواءً: [وافر]

تأنّق في الهديّةِ كلُّ قومٍ إليك غداةَ شُربِكَ للدواءِ
فلمّا أنْ هَمَمتُ به مُدِلاًّ لموضِع حُرْمتي بك والإخاءِ
رأيتُ كثير ما أُهْدِي قليلاً لعبدك فاقتصرتُ على الدُّعاءِ

وكتب رجل إلى صديق له: وجدتُ المودّة مُنقطِعة ما كانت الحِشْمةُ عليها متسلِّطة، وليس يُزيل سلطانَ الحِشمة إلا المؤانسةُ، ولا تقع المؤانسةُ إلا بالبِرّ والملاطفةِ.

العيادة

قال حدّثنا يزيد بن عمرو قال حدّثنا يزيد بن هارون قال حدّثنا شَرِيك عن أبي نُصَيْر عن أنَس بن مالك، قال: عاد رسولُ الله ﷺ رجلاً من الأنصار من رَمَدٍ كان بعينه. ومن حديث أبي هُرَيرة عن النبيّ ﷺ: «ثلاثة لا يُعَادُون صاحبُ الدُّمَّل والرمد والضرس».

وحدّثني القاسم بن الحسن عن ابن الأصبهانيّ عن إسماعيل بن عيّاش عن أَرْطأةَ بن المُنْذِر: أن أبا الدرداء عاد جاراً له نصرانياً.

قال الشَّعْبيّ[1]: عِيادةُ النَّوْكَى[2] أشدّ على المريض من وجَعه.

(١) الشعبي: هو عامر بن شرحبيل بن عبد ذي كبار، الحميري أبو عمرو، راوية من التابعين يضرب المثل بحفظه، أرسله عبد الملك بن مروان رسولاً إلى الرّوم، نسبته إلى شعب بطن من همذان.

(٢) النّوكي: الحمقى.

وعن شَيْبان عن أبي هَدِيّة عن أبي هِلَال قال: قال بكر بن عبد الله لقوم عادوه فأطالوا عنده: المريضُ يُعاد، والصحيحُ يُزار.

عاد قومٌ عليلاً فأطالوا عنده، فقال لهم: إن كان لكم في الدار حقٌّ فخذوه وآنصرفوا.

عاد رجل رَقَبَةَ، فنعى رجالاً آعتلّوا مثلَ عِلّته، فقال له رقبة: إذا دخلتَ على مريضٍ فلا تَنْعَ إليه الموتى، وإذا خرجتَ من عندنا فلا تَعُدْ إلينا.

عاد أعرابيّ أعرابيّاً فقال: بأبي أنت! بلغني أنك مريض، فضاق واللهِ عليّ الأمرُ العريض، وأردتُ إتيانَك فلم يكن بي نهوض؛ فلما حملتْني رِجلان، وليستا تحمِلان؛ أتيتُك بجرزةِ[1] شيح ما مسّها عِرْنين قطّ[2]، فآشْمُمْها وآذكر نجداً، فهو الشفاء بإذن الله.

قال كُثَيّر: [متقارب]

ألَا تلك عزَّةُ قد أقبلتْ ... تقلّبُ للبين طَرْفاً غَضِيضَا[3]

تقول مَرِضتُ وما عُدْتَنا ... فقلتُ لها لا أُطِيق النهوضا

كلانا مَريضان في بلدةً ... وكيف يعود مريضٌ مريضا[4]

وقال آخر[5]: [بسيط]

إذا مَرِضْنا أتيناكم نعودكُمُ ... وتُذْنبون فنأتيكم فنعتذِرُ

---

(١) الجرزة: الحزمة.

(٢) العرنين: الأنق.

(٣) الطرف: العين، والغضيض: الفاتر.

(٤) يعود: يزور.

(٥) هو المؤمّل بن أميل بن أسيد المحاربي، شاعرٌ من أهل الكوفة، إنقطع إلى المهتدي العباسي.

وقال بشّار: [سريع]

لـو كـانت الفِـدْيـةُ مقبـولـةً لـقلتُ بي لا بـكَ حُـمّـاكـا[١]

وكتب آخر إلى عليل: [بسيط]

نُبِّئتُ أنّـك معتـلٌّ فقلتُ لـهم نفسِي الفِـداءُ له من كـلّ محذورِ
يـا ليتَ علّته بي غير أنّ لـه أجـرَ العليـلِ وأنّي غيـرُ مأجـورِ

وكتب آخر إلى عليل: [طويل]

أقـولُ بحقٍّ واجـبٍ لـك لازمٍ وإخـلاصِ شكرٍ لا يغيّره الدهـرْ
بيَ السوءُ والمكروهُ لا بـك كلّما أراداك كـانا بي وكـان لك الأجـرُ

وقال آخر في مثله: [طويل]

فـإنْ تـكُ حُمَّى الغِبِّ شَفّك وِرْدُهـا فعُقْبـاكَ منها أن يـطولَ لك العمـرُ[٢]
وَقيناكَ! لو نُعْطَى المُنَى فيك والهَوَى لكـان بي الشكوَى وكـان لك الأجـرُ

وفي الحديث المرفوع «حَصِّنوا أموالكم بالزكاة، وداوُوا مَرْضاكم بالصدقة، واستَقْبلوا البلايا بالدعاء». وفي آخر أنه ﷺ قال يوماً لأصحابه: «مَنْ أصبح منكم صائماً؟ قال عمر: أنا، قال: فمن شَيّع جنازةً؟ قال عمر: أنا؛ قال: فمن عاد مريضاً؟ قال عمر: أنا؛ قال: فمن فيكم تصدّق بصدقة؟ قال عمر: أنا؛ فقال ﷺ: «وجبتْ وجبتْ وجبتْ». وفي حديث آخر: أنه ﷺ قال: إتمامُ عيادتكم المريضَ أن يَضع أحدكم يده على جَبْهته أو على رأسه، أو يده، «في يده ويسأله كيف هو، وتمامُ تحياتكم المصافحة».

---

(١) حمّاك: أي الحمّى مضافة إلى خمير المخاطب.
(٢) حمّي الغب: أي التي تنوب المريض يوماً بعد يوم، وشفّك: أهزلك وآلمك، والورد: من أسماء الحمّى، وقيل هو يومها الذي تأخذ فيه صاحبها.

وقال الشاعر: [طويل]

إنْ كنتُ في تـركِ العِيـادةِ تـاركـاً ... حَـظّي فإني في الـدُّعاءِ لجـاهـدُ
فلربمـا تـرَكَ الـعيـادةَ مُـشفِـقٌ ... وأتى على غِلِّ الضمِيرِ الحـاسدُ[١]

أبو حاتم قال حدّثنا العُتْبيّ عن أبيه قال: كان يقـال: إذا آشتكى الرجـلُ ثم عُوفي ولم يُحْدِث خيـراً ولم يَكُفّ عن سُوء، لقيتِ المـلائكةُ بعضُهـا بعضاً وقالت: إن فلاناً داويناه فلم ينفعْه الدواء.

وقال أبو حاتم[٢] حدّثنا القحذميّ قال: أَطْلع[٣] معاويةُ في بئر بالأَبْواء[٤] فأصابتْه لَقْوة[٥]، فآعتمّ بعمامـةٍ سوداء وسـدَلها على الشقّ الـذي أُصيب فيه، ثم أذِن للنـاس فقال: أيّهـا الناس؛ إنّ ابن آدم بعَـرَض بلاء: إمّـا مُعاتَبٌ ليُعْتب، وإمّا مُعاقَب بذنب، أو مبتلىً ليؤجَر، فإن عُوتبتُ فقد عُوتب الصـالحون قبلي، وإنّي لأرجو أن أكون منهم؛ وإن عُوقبتُ فقد عوقب الخَطّاءُون قبلي، ومـا آمن أن أكون منهم؛ وإن مَرِض عضو منّي فما أُحْصي صحيحي ولَمَا عُوفيتُ أكثر، ولو أن أمري إلى ما كان لي على ربّي أكثرُ مما أعطاني. وإنّي وإن كنتُ عاتبـاً علىَ خاصّ منكم فإنّي حَدِب[٦] على جماعتكم، أُحبّ صلاحكم. وقد أُصبتُ بما ترون، فرحم الله آمرأً دعا ليَ بعافية! فرفعوا أصواتهم بالبكاء والدعاء.

(١) الغلّ: الغش والحقد.
(٢) أبو حاتم: هو سهل بن محمّد بن عثمان الجشني السجستـاني من كبار العلمـاء باللغـة والشعر من أهل البصرة.
(٣) أطلع: أشرف.
(٤) الأبـواء: قريـة من أعمال الفـرع من المدينـة بينها وبين الجحفة مما يلي المـدينـة ثـلاثـة وعشرون ميلاً، وقيل: الأبواء: جبل عن يمين آره ويمين الطريق للمصعد إلى مكة.
(٥) اللقوة: داءٌ يصيب الوجه يعوج منه الشدق إلى أحد جانبي العنق.
(٦) الحدب: الشفوق العطوف.

مَرِض أبو عمرو بن العَلَاء[1] مَرْضةً، فأتاه أصحابه وأبطأ عنده رجل منهم؛ فقال: ما يُبْطِىء بك؟ قال: أُريد أن أُسَاهِرَك؛ قال: أنت مَعافىً وأنا مبتلىً، فالعافية لا تدعُك تسهرَ والمرض لا يدعني أنام، فآسأل اللهَ أنْ يسوق إلى أهلِ العافية الشكر، وإلى أهل البلاء الصبرَ والأجر.

حدّثني عبد الرحمن عن الأصمعيّ قال: اشتكى رجل من الأعراب، فجعل الناسُ يدخلون عليه فيقولون: كيف أصبحت وكيف كنت؟ فلما أكثروا عليه قال: كما قلتُ لصاحبك.

قال: وقَع رجل من أهل المدينة فوَثِئتْ[2] رِجلاه، فجعل الناسُ يدخلون عليه ويسألونه، فلما أكثروا عليه وأُضْجِر كتب قصّته في رُقعةٍ، فكان إذا دخل عليه عائد وسأله دفع إليه الرقعة.

الهَيْثم بن عَدِيّ قال: كان رجل من أهل السَّوَاد محدوداً[3] لا يَقْصِد في شيء إلا آنصرف عنه، فغاب مرّةً فأطال، فلما قَدِم أتاه الناس فجعلوا يسألونه عن حاله وما كان فيه، وكان فيه بَرَمٌ[4]، فأخذ رُقعةً فكتب فيها: [متقارب]

وما زلتُ أقطعُ عُرْضَ الفلاةِ ... من المَشْرِقيْنِ إلى المَغْرِبَيْنِ
وأطوي الفيافيَ أرضاً فأرضاً ... وأستمطر الجَدْيَ والفَرْقَدينِ[5]
وأطوي وأنشرُ ثوبَ الهمومِ ... إلى أن رجعتُ بخُفَّي حُنَينِ[6]

---

(١) أبو عمرو بن العلاء: هو زيّان بن عمّار التميمي المازني البصري من أئمة اللغة والأدب وأحد القرّاء السبعة، ولد بمكّة، ومات بالكوفة.

(٢) وثئت: أصابها وهن لا يبلغ أن يكون كُسراً.

(٣) المحدود: الذي لا يوفّق إلى الصواب.

(٤) البرم: الضيف.

(٥) القيافي: المهامه والصحارى، والجدي والفرقد ين: من الكواكب.

(٦) خفَّي حنين: مثلٌ يضرب لمن يسافر ويعود خائباً من سفره.

فقيراً وَقِيراً أخاً عُسْرةٍ بعيداً من الخير صِفرَ اليدينِ[١]
كئيبَ الصّديق بهيجَ العدوِّ طويلَ الشّقا زانيَ الوالدينِ

وطرحها في مجلسه، فكلّ من سأله عن حاله دفع إليه الرقعة.

قال حدّثنا عبد الرحمن عن عمه أن نَبطيّاً[٢] وقع من موضع عالٍ، فدخلوا يسألونه، كيف وقعت؟ فلما أكثروا عليه أخذ جَرّةً وألقاها من يده وقال: هكذا وقعتُ.

أبو الخطاب قال: كان عندنا رجلٌ أحدبُ فسقَط في بئر فذهبت حَدَبته فصار آدر[٣]، فدخلوا يسألونه ويهنئونه بذهاب حَدَبته، فجعل يقول: الذي جاء شرٌّ من الذي ذهب.

المدائنيّ قال: سقط ابن شُبْرُمة القاضي عن دابّته فوَثِئتْ رِجلهُ، فدخل يحيى بن نوفل الحِمْيريّ عليه فقال: [متقارب]

أقول غداةَ أتاني الخبير فدسّ أحاديثه الهَيْنَمهْ[٤]
لك الويلُ من مُخبِرٍ ما تقول؟ أبِنْ لي وعَدِّ عن الجَمْجَمَهْ[٥]
فقال خرجتُ وقاضي القضا ة مُشتَقلةٌ رِجلهُ مُؤلَمهْ
فقلت وضاقت عليّ البلادُ وخِفتُ المُجَلِّلة المُعظِمَهْ
فغَزْوانُ حرٌّ وأمّ الوليد إنِ اللهُ عافى أبا شُبْرُمهْ
جزاءً لمعروفه عندنا، وما عِتقُ عبدٍ له أو أمَهْ؟

---

(١) الوقير: الذليل المهان.
(٢) نبطيّاً: : نسبة إلى النّبط.
(٣) الآدر: المصاب بانتفاخ من إحدى خصيتيه.
(٤) الهينمة: الصوت الخفيّ.
(٥) الجمجمة: عدم الإبانة في الكلام.

قال: وفي المجلس جار ليحيى بن نوفل يعرف منزلَه، فلما خرج تبِعه وقال: يا أبا معمر، مَنْ غزوان وأم الوليد؟ فضحك وقال: أوَ ما تعرفهما؟ هما سِنَّوْرانِ في البيت.

قال حدّثنا الرِّيَاشيّ عن أبي زيد قال دخلنا على أبي الدُّقَيش وهو شاكٍ[1]، فقلنا له: كيف تجدُك؟ قال: أجِدُني أجِد ما لا أشتهي وأشتهي ما لا أجِد، ولقد أصبحتُ في شرّ زمانٍ وشرّ أُناسٍ: مَنْ جاد لم يَجِدْ ومن وَجَد لم يَجُد.

قيل: لعمرو بن العاص وقد مَرِض مرةً: كيف تجِدُك؟ قال أجِدني أذوب ولا أثوب، وأجد نَجْوي[2] أكثرَ من رُزْئي[3]، فما بقاءُ الشيخ على هذا!.

سئل عليلٌ عن حاله فقال: أنا مُبِلٌّ[4] غير مُستقِلّ، ومتماثِلٌ غير متحامِل.

وقيل لآخر: كيف تجدك؟ قال أجِدُني لم أرض حياتي لموتي.

وقيل لرجل من العجم: ما حالكم؟ قال: ما حال منْ يريد سفراً طويلاً بلا زادٍ! وينزل منزِلاً مُوحِشاً بلا أنيس! ويَقْدَم على جَبّار قد قدّم العذرَ بلا حجّة!.

قيل لِعِكْرِمة: كيف حالك؟ قال: بِشرٍّ، أصبحت أجرَبَ مبسوراً[5].

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال: قيل لشيخ من العُبّاد: كيف أنت، وكيف أحوالُك؟ فقال: ما كلُّها كما أشتهي.

---

(١) شاك: أي متألِّم من مرض.
(٢) النجو: ما يخرج من البطن من ريح أو غائط.
(٣) الرزء: ما يناله الإنسان من طعام.
(٤) المبلّ: الثابت.
(٥) المبسور: الذي أصابه داء البواسير.

قيل لآخر: ما تشتكي؟ قال: تمامَ العِدّة وآنقضاءَ المدّة.

وبلغني عن مُعاوية بن قُرّة قال: مَرِض أبو الدَّرْداء، فعاده صديقٌ له فقال: أيَّ شيء تشتكي؟ قال: ذُنوبي؛ قال: فأيَّ شيءٍ تشتهي؟ قال: الجنّة؛ قال: فندعو لك بالطبيب؟ قال: هو أمرضني.

سئل رجلٌ عن حاله فقال: [رجز]

كنّا إذا نحن أردنا لم نَجِدْ حتى إذا نحن وجدنا لم نُرِد

أَرْجف[1] الناسُ بعلّة معاوية وضعفِه، فدخل عليه مَصْقَلة بنُ هُبَيرة، فأخذ معاوية بيده ثم قال يا مَصْقل: [مجزوء الكامل المرفّل]

أبقى الحوادثُ من خليـ ـلك مثل جَنْدلة المَرَاجِمْ[2]
قد رامني الأقوامُ قبـ ـلك فآمتنعتُ من المظالمْ

فقال مَصْقَلة: أمّا قولُ أمير المؤمنين: «أبقى الحوادث من خليلك»، فقد أبقى الله منك جبلاً راسياً وكَلاً مَرْعياً لصديقك وسمّاً ناقعاً لعدوّك. وأما قولك: «قد رامني الأقوام قبلك»، فمن ذا يَرُومك أو يظلمك! فقد كان الناس مشركين فكان أبو سفيانَ سيّدَهم، وأصبح الناس مسلمين وأصبحتَ أميرَهم؛ فأعطاه معاوية فخرج؛ فسئل عنه فقال: والله لغَمَزني غمزةً[3] كاد يَكسِر منها يدي وأنتم تزعُمونه مريضاً.

وقال المَدَائنيّ: دخل كُثَيِّر عَزّة على عبد الملك بن مروان، فقال: يا أمير المؤمنين، لولا أنّ سرورك لا يتمّ بأن تَسْلَمَ وأسقَم لدعوتُ الله أن يَصْرِف

(١) أرجف: من الإرجاف، وهو الخوض من الأخبار والأحاديث.
(٢) الجندلة: الحجارة الصلبة، والرّجام من الحجارة أي الضخمة التي تجمع على القبر ليسنَّم.
(٣) الغمزة: من غمز الشيء، أي شدّ بيده عليه.

ما بك إليّ، ولكن أسألُ الله لك أيها الأمير العافيةَ ولي في كَنَفك النعمةَ؛ فضحك وأمر له بمال؛ فقال: [كامل]

ونعودُ سيِّدَنا وسيِّدَ غيرِنا ... ليت التَّشَكِّيَ كان بالعُوّادِ
لو كان يُقْبَلُ فِديةٌ لفديتُه ... بالمصطفى من طارِفي وتِلادي[1]

وقال آخر: [منسرح]

لا تَشكُوَنْ دهراً صَحَتَ به ... إنّ الغِنَى في صحة الجسمِ
هَبْكَ الخليفةَ، كنتَ منتفعاً ... بلذاذة الدنيا مع السُّقْمِ؟

إعتلّ المِسْوَر[2] فجاءه آبنُ عباس يعوده نصفَ النهار؛ فقال المسور: يا أبا عباس[3] هَلاّ ساعةً غيرَ هذه! قال آبن عباس: إنّ أَحَبَّ الساعاتِ إليّ أنْ أُؤدِّيَ فيها الحقَّ أشقُّها عليّ.

وكتب رجل إلى صديق له: كيف أنت؟ بنفسي أنت! وكيف كنت؟ لا زلت! وكيف قوتُك ونشاطك؟ لا عَدِمتهما ولا عَدِمْناهما منك، وأعادك الله إلى أحسنِ ما عوّدك! لولا عوائقُ يُوجب العذرَ بها تَفَضُّلُك لم أدَعْ تعرّفَ خبرك بالعين، فإنها أشفى للقلب وأنقع للغليل[4] وأشدُّ تسكيناً للأعج الشوق[5].

وقرأت فصلاً في كتاب: لئن تخلّفتُ عن عيادتك بالعذر الواضح من العلّة لما أغفل قلبي ذكرَك ولا لساني فحصاً عن خَبَرك في مُمْساك ومُصْبَحك

(١) المصطفى: المنخوب، والطارف والتليد. المال المستحدث والموروث.
(٢) هو المسور بن مخرمة بن نوفل القرشي الزهري. أبو عبد الرحمن من فضلاء الصحابة وفقهائهم. أدرك النبي ﷺ وهو صغير السن وسمع منه.
(٣) أبو العباس: هي كنية عبد الله بن عباس.
(٤) أنقع للغليل: أروى للظمأ.
(٥) لأعج السوق: شدّته وحرارته.

وتنقّل الحال بك تبعث من تقسم جوارحه وصبك[١] وزاد في ألمها ألمك ومن تتصّل بك أحواله في السراء والضراء. ولما بلغتني إفاقتك كتبت مهنئاً بالعافية مخبراً بالعذر، معفياً من الجواب إلا بخبر السلامة إرسالاً.

وقال عبد بني الحَسْحَاس[٢]: [طويل]

تَجَمَّعْنَ من شَتَّى ثلاثٌ وأربعٌ ... وواحدةٌ حتّى بلغْنَ ثمانيَا

سُلَيْمى وسَلْمَى والرَّبابُ وزينبٌ ... وهندٌ ودَعدٌ والمُنَى وقَطَامِيَا

وأقبلنَ من بعض الخيام يَعُدْنَني ... ألَا إنّ بعضَ العائداتِ دوائيَا

وقال عبد الله بن مُصْعَب الزُّبَيريّ: [كامل]

ما لي مَرِضتُ فلم يَعُدْني عائدٌ ... منكم ويمرَضُ كلبُكُمْ فأعودُ

فسُمِّي «عائدَ الكلب» وولدُه الآن يسمَّوْن «بني عائد الكلب».

التعازي وما يُتَمَثَّلُ به فيها

وحدّثني محمد بن داود عن غسّان بن الفَضْل قال قال عبد الوهاب الثّقفيّ: أتاني ابن جُرَيج بمكة يُعَزِّيني عن بعض أهلي، فقال: إنه مَنْ لم يَسْلُ[٣] أهلَه إيماناً واحتساباً سلا كما تسلُوا البهائم.

كتب إبراهيم بن يحيى الأَسْلميّ[٤] إلى المهديّ يعزِّيه عن آبنته: أما بعد، فإن أحقَّ مَنْ عرَف حقَّ اللهِ فيما أخَذ منه من عَظّم حقَّ الله عليه فيما

(١) الوصب: المرض.

(٢) عبد بني الحسحاس: إسمه سحيم وكان حبشياً قبيحاً وشاعراً محسناً، قتل في أيام عمر بن الخطاب لاتّهامه في آخلاقه.

(٣) لم يسلُ: من السلوان وهو الصبر والنّسيان.

(٤) هو ابراهيم بن يحيى الأسلمي؛ أحد رواة الحديث قيل: إنّه كان من المعتزلة وله كتاب الموطأ «راجع شذرات الذهب ٣٠٦ جـ ١».

أبْقى له. وآعلم أنّ الماضي قَبلَك هو الباقي بعدك، وأنّ أجر الصابرين فيما يُصابون به أعظم عليهم من النعمة فيما يُعافَوْن منه.

ونحوه قول سهل بن هارون: التهنئةُ على آجل الثواب، أولَى من التَّعْزية على عاجل المصيبة.

وقال بعض الشعراء: [كامل]

كَمْ مِنْ يدٍ لا يُسْتَقلُّ بشكرها لِلهِ في ظِلِّ المَكارهِ كامِنهْ

وسقطت مَقادِيمُ فم معاوية فشَقَّ ذلك عليه، فقال له يزيد بن مَعْمَر السّلَميّ: والله يا أمير المؤمنين، ما بلغ أحدٌ سِنَّك إلا أبغض بعضُه بعضاً، ففُوك أهونُ علينا من سمعك وبصرك.

وقال صالح المُرِّيُّ[1] لرجلٍ يعزِّيه: إن لم تكن مصيبتُك أحدثتْ في نفسك مَوْعِظةً فمصيبتُك بنفسك أعظم. ونحوه: شرٌّ من المَرْزِئةِ سوءُ الخلف عنها. ومثله قول الشاعر: [خفيف]

إن يكن ما به أُصبتَ جليلاً فَلَفَقْدُ العزاء فيه أجلُّ

عَزَى شَبِيبُ بن شَيْبة المَهْدِيَّ عن بانُوقة[2]، فقال: يا أمير المؤمنين، ما عند الله خير لها مما عندك، وثوابُ الله خيرٌ لك منها.

عزَّى رجلٌ عبدَ الله بنَ طاهر[3] عن آبنته فقال: أيها الأمير، ممّ تجزَع؟: [بسيط]

---

(١) هو صالح المرّي الزّاهد، واعظ البصرة من رواة الحديث «راجع شذرات الذهب ص ٢٨١ ج ١».

(٢) بانوقة: بنتٌ كانت للمهدي.

(٣) هو عبد الله بن طاهر بن الحسين بن زريق الخزاعي بالولاء. أبو العبّاس أمير خراسان ومن اشهر الولاة في العصر العبّاسي أصله من «باذ غيس» بخراسان.

الـمـوتُ أكـرمُ نَـزّالٍ عـلى الـحُـرَمِ

وقال جرير: [طويل]

وأهـونُ مفقـودٍ إذا المـوتُ نـالـه على المـرء مِنْ أصحـابِـه من تَقَنَّعـا

وقال آخر: [من الوافر]

ولم أر نعمةً شملت كريماً كنعمـة عـورة سترت بقبـر

وعزّى رجل رجلاً فقال: لا أراك الله بعد هذه المصيبة ما يُنسِيكَها.

وقال رجل لعمر بن عبد العزيز: [طويل]

تَـعَـزَّ أميـرَ المؤمنيـن فـإنّـه لِمَا قد ترى يُغْذَى الصغيرُ ويولَـدُ

هَـل آبنُـك إلاّ من سُـلالـةِ آدمٍ لكـلٍّ على حـوض المنّيـةِ مَـوْرِدُ

عزّى أبو بكر عمرَ رضي الله عنهما عن طفل أُصِيب به، فقال: عـوّضك الله منه ما عوّضه منك.

وقال محمودُ الوراق [1]: [متقارب]

يُـمـثِّـل ذو اللبّ في نـفـسـه مـصـائـبَـه قـبـل أن تَـنْـزِلاَ

فـإن نـزلتْ بغتـةً لم تَـرعْـهُ لِـمَـا كـان في نـفـسـه مـثَّـلاَ

رأى الـهَـمَّ يُـفْـضِـي إلـى آخـرٍ فـصـيَّـر آخِـرَه أوّلاَ

وذو الـجـهـل يـأمَـنُ أيـامَـه ويَنْسَى مصـارعَ من قـد خـلاَ [2]

فـإن بـدَهَتْـهُ صـروفُ الـزمـانِ بـبـعض مـصـائـبـه أَعْـوَلاَ [3]

ولـو قـدَّم الـحـزمَ في أمـره لـعلّمـه الـصبـرَ عـنـد الـبَـلاَ

عـزَّى موسى بنُ المهـديّ سليمـانَ بنَ أبي جعفـر عن ابنٍ لـه، فقـال: أَيَسُرُّك وهو بليَّة وفتنة، ويُحْزِنك وهو صلاة ورحمة!.

---

(١) هو محمود بن حسن الورّق، شاعرٌ أكثر شعره في المواعظ والحكم له ديوان شعرٍ مطبوع.

(٢) المصارع: الحتوف: خلا: ؛ سبق.

(٣) بدهته: فاجأته على غرّة منه، وأعول: أي بكى وناح.

وعزّى رجل موسى بنَ المَهْدِيّ عن آبن له فقال: كان لك من زِينة الحياةِ الدنيا، وهو اليومَ من الباقياتِ الصالحات.

توفّي سُهَيل بن عبد العزيز بن مروان، فكتب إلى عمرَ بنِ عبد العزيز بعضُ عمّاله وأَطْنب في كتابه؛ فكتب إليه عمر: [طويل]

حَسْبي حياةُ الله من كلّ ميّتٍ وحسبي بقاءُ الله من كلّ هالك
إذا ما لقِيتُ اللهَ عنِّيَ راضياً فإنّ شفاءَ النفس فيما هنالك

كتب آبنُ السَّمَّاك[1] إلى الرشيد يعزِّيه بآبنٍ له: أما بعدُ، فإن آستطعتَ أن يكون شكرُك لله حينَ قَبضه أكثرَ من شكرِك له حينَ وهَبه، فإنّه حينَ قبضه أحرَز لك هِبتَه، ولو سلِم لم تَسْلَم من فِتْنتِه؛ أرأيتَ حزنَك على ذهابه وتلهُّفَك لِفراقه! أَرضِيتَ الدارَ لنفسك فترْضَاها لابنك! أمّا هو فقد خلَص من الكدر، وبقِيتَ أنت معلَّقاً بالخَطَر. وآعلم أن المصيبةَ مصيبتان إن جزِعْتَ، وإنما هي واحدة إن صبرَت، فلا تَجْمِعَ الأمرين على نفسِك.

كتب عبدُ الله بن طاهر إلى أبي دُلَف[2]: المصائب حالَّةٌ لا بدّ منها، فمنها ما يكون رحمة من الله ولطفاً بعبده، وآيةُ ذلك أن يوفِّقه للصبر ويُلْهِمَه الرضا ويَبْسُطَ أملَه فيما عنده من الثواب الآجِل والخَلَف العاجل. ومنها ما يكون سُخْطاً وآنتقاماً، أوّله حُزْن وأوسطُه قُنُوط وآخرهُ ندامة، وهي المصيبةُ حقّاً الجامعةُ لخُسْران الدنيا والآخرة. ولم تَزَلْ عادةُ الله عندك الإخلافَ والإتلاف. وإن يَكُ ما نالك الآن أعظمَ مما أتى عليك في مَوَاضِي الأيام،

(١) ابن السّماك: هو محمدّ بن صبيح، أبو العباس، فقيه محدّث واعظ حكيم كوفي قدم بغداد أيّام الرشيد ووعظه، مواعظه مشهورة.

(٢) أبو دلف: هو القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل من بني عجل أمير الكرخ وسيّد قومه، أخبار أدبه وشجاعته كثيرة، مدحه الشعراء.

فالأجرُ المأمولُ على قدر ذلك.

وكتب أبو دُلَفَ إليه: إن تكن المصيبةُ جلَّتْ، فإنّ فيما أكرمني الله به مِنْ جَمِيل رأي الأمير وما وضَح للناس من فضل عنايته وآبتدائه إيّاى بكُتُبه، ما عجَّل العِوضَ من المفقود.

وفي كتاب آخر: لئن كانت المصيبة جلّت، إن فيما أبقى اللهُ ببقاء الأمير عوضاً وافياً وخَلَفاً كافياً. وحقيقٌ بمن عظُمت النعمةُ عليه فيما أبقى اللهُ أن يَحْسُن عَزَاؤه عما أُخِذ منه. وأحقُّ ما صُبِر عليه ما لا يُستطاع دفعُه.

وقرأت في كتاب لبعض الكتّاب في تَعْزيةٍ: أسأل الله أن يَسُدّ بك ما ثلمَتِ(١) الأيامُ من مكانه، ويعمِّر ما أَخْلتْ من مَشَاهِده وأوطانه حتى لا يَعْفُوَ الداثِر(٢)، وأن يَسْتقبِلَ لكم أيّامَكم بأحسنِ ما أَمْضاها لمن مضَى منكم، فيجعلَكم الخَلَفَ الذي لا وحشةَ معه ولا وحشةَ عليه، ويتولّاكم ويتولانا فيكم بما هو أهله ووليُّه.

وقرأت في كتابِ تَعْزيةٍ: لا لومَ على دمعةٍ لا تُملَك أن تَسْفَحها(٣)، ولا على ألمٍ في القلب لا يُدْفع أن يظهرَ فيك، ولا عذر في سواهما مما أَحْبَط أجرَك وأشمت عدوَّك وضعَّف رأيَك، ولم يرجع إليك فائتاً ولا إلى شقِيقك بمكانِه رُوحاً ولا إلى من خلَّف حفظاً. واعلم أن فرقَ ما بين ذي العقلِ وذي الجهل في مصيبتيهما تعجُّل العاقلِ من الصبر ما يتأجَّل الجاهلُ.

وقرأتُ في كتاب تعزية: لو كانت النوائب مدفوعة عن أحدٍ بكثرة مَنْ يَقِيه ذلك من إخوانه ويَفْدِيه منه بالأخَصّ من أَعِزّته والأنفَسِ من ماله، سلِمْتَ

(١) ثلمت: انتقصت.

(٢) يعفو الداثر: أي يمحى فلا يبقى له أثر.

(٣) تسفحها: تذرفها حزناً.

من مُلِمِّها، وكان سَبْقي إلى ذلك أبرزَ سَبْق، وحظّي بالتقدّم فيه أوفرَ حظّ.

وقرأت في كِتَاب: مصيبتُك لي مصيبةٌ، وما نالك من ألمِها لي مُوجِع. ولو كانَ في الوُسْع أن أعلم كُنْهَ ما خامر قلبَك من ألمِها لحَملتُ مثلَه على نفسي، فإني أُحِبّ أن أكون أُسْوَتك في كل سارٍّ وغامٍّ، وألاّ أتمتَّعَ بأيام غُمُومِك، ولا أقصِّرَ فيها عن مقدار حالك.

وقرأت في كتاب: نسأل اللهَ حسنَ الاستعدادِ لما نتوكَّفُه[1] ونتوقَّع حلولَه، وألاّ يَشْغَلَنا بما يَقِلُّ الانتفاعُ به وتَعْظُمُ التَّبِعةُ فيه عمّا نحتاجُ إليه يومَ تجد كلُّ نفس ما عَمِلت من خيرٍ مُحْضَراً، وما عمِلتْ من سُوءٍ تَودّ لو أنّ بينَها وبينَه أمداً بعيداً، وأن يجعل ما وهب لنا من الصبر والعزاء إيماناً وإيقاناً، ولا يجعلَه ذُهُولاً ونِسْياناً.

قال أسماءُ بنُ خارِجة إذا قَدُمتِ المصيبةُ تُرِكت التعزية، وإذا قدُم الإخاء قَبُح الثناء.

قيل لأعرابية مات ابنها: ما أحسن عزاءَك! فقالت: إن فَقْدي إياه أمّنني من المصيبةِ بعده. ونحوه قول الشاعر[2]: [طويل]

وكنتُ عليه أحذَر الموتَ وحدَه فلم يبق لي شيءٌ عليه أحاذِرُ

ومثله: [طويل]

وقد كنتُ أستعفي الإلـه إذا اشتكَى من الأجرِ لي فيه وإن سرَّني الأجرُ

وقال أبو العَتَاهِيَة: [كامل]

(١) نتوكّفه: نتوقعه.

(٢) هو أبو نواس الحسن بن هانىء، وهذا البيت من أبيات قالها في رثاء محمّد الأمين الخليفة العباسي.

وكمـا تَبْـلى وجـوهٌ فـي الثَّـرَى فكـذا يبـلَى عـليـهـنَّ الـحَـزَنْ

وفي الحديث: «مَنْ يُرِدِ اللهُ به خيراً[١] يُصِبْ منه».

ويقال: المصيبة المُوجِعة تُدِرّ[٢] ذكرَ الله في قلب المؤمن.

قال الأصمعيّ: مررتُ بأعرابيّة وبين يديها فتىً في السِّيَاق[٣]، ثم رجعتُ ورأيتُ في يدها قدَح سَويق[٤] تشربه، فقلت لها: ما فعل الشابّ؟ فقالت: وارَيْناه؛ فقلت: فما هذا السَّوِيق؟ فقالت: [طويل]

على كلِّ حالٍ يأكل القومُ زادَهم على البؤس والبَلْوَى وفي الحدثانِ

قيل لأعرابيّ: كيف حزنُك اليوم على ولدك؟ فقال: ما ترك حبُّ الغَدَاء والعَشَاء لي حزناً.

وقال عمر بن عبد العزيز: إنما الجَزَعُ قبلَ المصيبة، فإذا وقعتْ فاَلْهُ عمّا أصابك.

اشتكى بعضُ أهل محمد بن عليّ بن الحسين فَجزِع عليه، ثم أُخبِر بموته فسُرِّيَ[٥] عنه؛ فقيل له في ذلك، فقال: ندعو اللهَ فيما نحبّ، فإذا وقع ما نكره لم نخالف الله فيما أَحَبّ.

لما مات عُتْبة بن مسعود قال عبد الله: إذا ما قضَى اللهُ فيه ما قضى فما أُحبُّ أنّي دعوتُه فأجابني.

قال رجل من طيِّء: [طويل]

---

(١) يصب منه: أي يبتليه بالمصائب ليثيبه عليها.
(٢) تدرّ: تكثر، والدرّ: الحلب.
(٣) السِّياق: نزع الروح كأن روحه تساق لتخرج من بدنه.
(٤) السّويق: نوع من الشراب.
(٥) سرِّي عنه: أي خف حزنه وزال.

فلولا الأُسَى[١] ما عِشتُ في الناس ساعةً ولكن إذا ما شئتُ أسعدَني مثلي

وقال آخر: [طويل]

إذا أنت لم تَسْلُ آصطباراً وحِسْبَةً سلوتَ على الأيام مثلَ البهائمِ[٢]

عزّى محمدُ بن الوليد بن عُتْبة الوليدَ بن عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين، لِيَشْغَلْكَ ما أقبل من الموت إليك، عمّن هو في شُغُل مما دخل عليك، وأَعِدْ لنزوله عُدّة تكون لك حجاباً من الجَزع وسِتْراً من النار. فقال يا محمد، أرجو ألا تكون رأيتَ غَفْلة تُنبّه عليها ولا جزعاً يُستتَر منه، وما توفيقي إلا بالله. فقال محمد: يا أمير المؤمنين، إنه لو آستغنى أحدٌ عن مَوْعظةٍ بفضل لكُنْتَه، ولكنّ اللهَ يقول: ﴿وَذَكِّرْ فإنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ المُؤْمِنِينَ﴾[٣].

وقال الطائي: [طويل]

ويفرحَ بالشيء المُعَارِ بقاؤه ويحزن لمّا صار وهو له ذُخُرُ
عليك بثوب الصبر إذْ فيه ملبَسٌ فإنّ ابنَك المحمودَ بعد آبنِك الصَّبرُ

وقال أيضاً: [طويل]

أُمالِكُ إنّ الحزنَ أحلامُ نائمِ ومهما يَدُمْ فالوجدُ ليس بدائمِ
تأمَّلْ رُوَيْداً هل تَعُدَّنَّ سالماً إلى آدمٍ أم هل تَعُدُّ آبنَ سالم

وقال آخر: [كامل]

اصبِرْ لكلِّ مصيبةٍ وتجلَّدِ وآعلم بأن الدهر غيرُ مخلّدِ
أوَ ما ترى أنّ الحوادثَ جمّةٌ وترى المنية للعباد بمَرْصَدِ
وإذا أتتْك مصيبةٌ تَشْجَى بها فآذكُرْ مُصَابَك بالنبيّ محمّدِ

---

(١) الأسى: جمع أُسوة، وهي ما يتعزّي ويتأسّ به الحزين.
(٢) الحسبة: طلب المثوبة والأجر.
(٣) سورة الذرايات الآية ٥٥.

عزَّى رجل الرشيد فقال: يا أمير المؤمنين، كان لك الأجرُ لا بك، وكان العزاءُ منك لا عنك.

يعزِّى أهلُ نَجْرانَ بعضُهم بعضاً بهذا الكلام: لا يُحْزِنْكم الله ولا يَفْتِنْكم، أثابكم الله ثوابَ المتَّقين وأوجب لكم الصلاة والرحمة.

عزَّى بعضُ الزُّبَيْرِيِّين رجلاً فقال: لا يَصْفَرْ رَبْعُك[1]، ولا يُوحِشْ بيتك، ولا يَضِعْ أجرُك، رحِم الله متوفَّاك، وأحسن الخلافةَ عليك.

قال بعض الشعراء: [طويل]

أسُكَّان بطنِ الأرض لو يُقْبَل الفِدَى	فَدَيْنا وأعطينا بكم ساكنَ الظهرِ[2]
فيا ليتَ مَنْ فيها عليها وليت مَنْ	عليها ثَوى فيها مقيماً إلى الحَشْرِ
وقاسمني دهري بَنيَّ بشَطْرِه	فلما توفَّى شطرَه مال في شَطْري[3]
فصاروا ديوناً للمنايا ومن يكن	عليه لها دينٌ قضاه على عُسْر
كأنّهمُ لم يعرِفِ الموتُ غيرَهم	فثُكْلٌ على ثُكْلٍ وقبرٌ على قبرِ
وقد كنتُ حيَّ الخوفِ قبلَ وفاتهم	فلما تُوُفُّوا مات خوفي من الدهرِ[4]
فلله ما أعطَى ولله ما جزَى	وليس لأيام الرَّزيَّة كالصبرِ
فحَسْبُك منهم مُوحِشاً فقدُ بِرِّهم	وحَسْبُك منهم مُسْلِياً طلبُ الأجرِ

عزَّى شَبيبُ بن شَيْبة[5] رجلاً من اليهود فقال: أعطاك الله على مُصيبتك أفضل ما أعطى أحداً من أهل مِلّتك.

---

(١) لا يصفر ربعك: أي لا يخلو.
(٢) سكان بطن الأرض: أي الموتى، وسكان ظهرها: الأحياء.
(٣) الشطر: النصف، يعني عندما استوفى الدّهر شطره مال إلى شطري يتقاسمني فيه.
(٤) حيّ الخوف: أي أن حياتي كانت في خوفٍ عليهم.
(٥) شبيب بن شبية بن عبد الله التميمي المنقري، أبو معمر أديب الملوك، وجليس الفقراء وأخو المساكين، من أصل البصره.

وقال العُتْبيّ: [منسرح]

ما عالج الحزنَ والحرارةَ في الْـ ـأحْشاءِ مَنْ لم يَمُتْ له ولَدُ[1]
فُجِعتُ بابنيَّ لس بينَهما إلّا ليالٍ ليستْ لها عِدَدُ[2]
وكلُّ حزنٍ يَبْلَى على قِدمِ الـ ـدَّهرِ وحُزني يُجِدُّه الأبدُ[3]

وقال أيضاً: [متقارب]

لا يَزْجُرُ الدهرُ عنا المَنُونا يُبَقِّي البناتِ ويُفْني البنينَا[4]
وأنْحَى عليّ بِلا رحمةٍ فلم يُبْقِ لي في جُفوني جفونَا[5]
وكنتُ أبا سبعةٍ كالبدورِ أُقَفِّي بهم أعينَ الحاسدينا
فمَرُّوا على حادثاتِ الزمان كمَرِّ الدراهمِ بالناقدينا
فأفْنَتْهمُ واحداً واحداً إلى أنْ أبادتهمُ أجمعينا
وأَلْقَيْن ذاك إلى ضارِحٍ[6] وأَلْقَيْن هذا إلى دافِنينا
وما زال ذلك دَأْبَ الزما ن يُفْني الأوائلَ فالأوّلينا
وحتّى بكى لي حُسّادُهم فقد أقْرحُوا بالدموعِ الجفونا
وحَسْبُك من حادثٍ بامرئٍ تَرَى حاسِديهِ له راحمينا
وكانوا على ظهرها أنجماً فأَضْحَوْا إلى بطنها يُنْقَلونا
فمن كان يُسْلِيه مَرُّ السنين فحُزْني يجدِّده لي السّنونا
وممّا يسكِّنُ وجدي بهم بأنّ المَنُون ستَلْقَى المنونَا

كان أبو بكر رضي الله عنه إذا عزَّى رجلاً قال: ليس مع العزاء مصيبةٌ

---

(١) عالج: أي ذاق وأحسّ.
(٢) والعِدد.
(٣) يجدُّه الأبد: أي أنّ حزني متجدّد بلا نهاية.
(٤) يزجر: من زجر بمعنى منع وردّ. - (٥) أنحى عليه: رماه وقصده.
(٦) الضارح: وصفٌ من ضرح للميت: إذا حفر له والضريح: القبر.

ولامع الجزع فائدة؛ الموت أهون مما قبله وأشدُّ مما بعد؛ اذكروا فقدَ رسول الله ﷺ تَصْغُرْ مصيبتُكم؛ وعظَّم الله أجركم.

وكان علي رضي الله عنه إذا عزَّى رجلاً يقول: إن تَجْزَعْ فأهلُ ذلك الرَّحِمُ، وإن تصبر ففي الله عِوَضٌ من كل فائتٍ؛ وصلى الله على محمد، وعظّم الله أجرَكم.

وقال أعرابيّ: [طويل]

أَيُغسَل رأسِي أو تَطِيبُ مَشَارِبي ووجهُك معفورٌ وأنت سَليبُ
نَسيبُك من أمسى يُناجِيك طرفُه وليس لمن وارَى التراب نَسيبُ
وإني لأستحيي أخي وهو ميّتٌ كما كنتُ أَسْتَحِييه وهو قريبُ

وقال أعرابيّ: [طويل]

وما نحن إلا مثلُهم غيرَ أننا أقمنا قليلاً بعدهم وتقدّموا

وقال آخر: [طويل]

وقد كنتُ أستعفي الإله إذا اشتكى من الأجرِ لي فيه وإن سَرَّني الأجرُ
وأجزَع أن يَنْأَى به بَيْنُ ليلةٍ فكيف ببَيْنٍ صار مِيعادَه الحشرُ

وقال آخر: [طويل]

وإنّا وإخواناً لنا قد تتابعوا لكالمغتدِي والرائحِ المتهجِّرِ[1]

وقال سليمان الأعجميّ: [مديد]

ربّ مغروسٍ يُعاشُ به عَدِمْته كفُّ مغترسهْ[2]

---

(١) الغدوّ والرّواح: الغدو: الصباح، والرواح: المساء والمعنى أنّ حياة الناس تشبه مسيرة النهار وشمسه فهي تبدأ بالولادة التي هي الإشراق وتنتهي بالموت الذي هو المغيب.

(٢) عدمته: افتقدته.

وكــذاك الــدّهــر مــأتــمُــه أقــربُ الأشيـاءِ من عُــرُسِــهْ

وتمثّل معاويةُ بن أبي سفيان يوماً فقال: [طويل]

إذا سـار مَنْ خلفَ آمرىءٍ وأمـامَه وأَوْحش من جيـرانـه فهـو سـائـرُ

وقال آخر: [خفيف]

وإذا قيــل مــات يــومــاً فــلانٌ راعنــا ذاك ساعــةً ما نُحِيــرُ[1]

نـذكُـر المـوتَ عنـد ذاك ونَنْسـا إذا غــيَّبتْــه عــنّا الــقـبــورُ

وقال آخر: [وافر]

نُــراع من الجنــائــز قــابلتنــا ونـلهــو حيـن تَخْـفَى ذاهبــاتِ

كَــرَوْعــةِ ثَــلَّةٍ لـمُــغَــارِ سبــع فـلمــا غــاب ظلّت راتعــاتِ[2]

وقال أبو نواس: [مجزوء الخفيف]

سـبـقــونـا إلـى الـرَّحـيــ ـلِ وإنّـا لــبـالأَثَــرْ

وكتب رجل إلى بعض الأمراء في تعزية: الأميرُ أَذْكَرُ للهِ من أي يُذَكَّر به، وأعلَمُ بما قَضَاه على خلقِه من أن يُدَلَّ عليه، وأسلَكُ لسبيل الراشدين في التسليم لأمـره والصبر على قَـدَرِه والتنجُّز لـوعـدِه، من أن يُنَبَّـه من ذلـك على حظِّه، أو أن يَحْتاج معزِّيه عند حادثِ المصيبـة إلى أكثرَ من الـدعاء في قضـاء حقّه. فزاده الله توفيقاً إلى تـوفيقه، وأَحْضـره رشدَه، وسـدّد للصواب غـرضَه، وتولّاه بالحُسْنى في جميع أموره، إنه سميعٌ قريب. وقد كان من حادث قضـاء الله في المتوفَّى ما أَنْقضَ وأَرْمض[3]، وفجعَ وأَوْجع، علماً بما دخل على الأمير

(١) راعناً: من الروع وهو الخوف والوجوم، ونحير: أي لا ندري ماذا نفعل أو نجيب.

(٢) الثَّلّة: جماعة الغنم الكثيـرة، والثُّلة بالضم: جماعة النـاس، ومنهـا قـولـه تعـالى في سـورة الـواقعة: ﴿ثلّة من الأوّلين وقليـلٌ من الآخـرين﴾ الآيـات ١٣ و ١٤، والـرّاتعـات: من رتعت الماشية أي أكلت ما شاءت.

(٣) أنقض: أثقل، وأرمض: أوجع.

من النقص، وعلى سروره من اللوعة، وعلى أُنسه من الوحشة، إلى ما خصَّني منه بماسِّ الرَّحِم وأوشَجِ القَرَابة. فأَعْظم اللهُ للأمير الأجر، وأَجْزل له الذُّخْر، وعصَمه باليقين، وأنجز له ما وعد الصابرين؛ ورحِم المتوفَّى ولقَّاه الأمنَ والرَّوْحَ، وفسَح له في المَضْجَع، وجمَعه وإيّاه بعد العمر الطويل في الدار التي لا خوفَ عليهم فيها ولا هم يحزنونُ.

وفي كتاب: نحن نحمَدُ اللهَ أيّها الأمير إذ أخَذ على ما أَبْقَى منك، وإذ سلَب على ما وَهب بك؛ فأنت العِوَضُ من كل فائت، والجابِر لكلِّ مِصِيبة، والمُؤنِسُ من وَحْشة كلِّ فَقْد؛ وحقٌّ لمن كنت له وليّاً وعَضُداً أن يَشْغَله حمدُ الله على النعمة بك عن الجزع على غيرك.

وكتب سَعيد بن حُميد إلى محمد بن عبد الله: ليس المعزَّى على سلوكِ السبيل التي سلَكها الناسُ قبله والمُضِيّ على السنّة التي سنّها صالحو السلف له؛ وقد بلغني ما حدث من قضاء الله في أمّ الأمير، فنالني من ألم الرَّزِيّة وفاجع المصيبة ما ينال خَدَمَه الذين يخصُّهم ما خصّه من النعم، ويتصرفون معه فيما تناوله اللهُ به من المِحَن. فأعظم الله للأمير الأجر، وأجزل له المثوبة والذخر، ولا أراه في نعمةٍ عنده نقصاً، ووفّقه عند النعم للشكر الموجِب للمزيد، وعند المِحَن للصبر المحرِز للثواب، إنه هو الكريم الوهاب. ورحم الله الماضيةَ رحمةَ مَن رِضَى سعيَه وجازاه بأحسن عمله. ولو كانت السبيل إلى الشخوص[1] إلى باب الأمير سهلة، لكان الله قد أجلّ الأميرَ عن أن يعزّيه مثلي بالرسول دون اللقاء، وبالكتاب دون الشِّفَاه، ولكن الكتابَ لقاءُ مَنْ لا سبيل له إلى الحركة، وقبول العذر عمَّن حِيل بينه وبين الواجب.

ولابن مكرم: ومّما حرّكني للكِتَاب تعزيتُك بمن لا ترميك الأيامُ بمثل

(١) الشخوص: الحضور.

الحادث فيه، ولا تعتاض ممّا كان الله جمعه لك عنده من الميل إليك والصبر على مكروه جفائك، مع ما كان اللهُ أعاره من قوّة العقل وأَصَالة الرأي، ومَدّ له من عِنانِه[١] إلى قُصْوى الغايات، فإنا لله وإنا إليه راجعون على ما أفاتتنا الأيامُ منه حين تَمّ واستوى، وغالَى في المروءة وتناهى، وعند الله يُحتسب المصاب به؛ وعظّم الله لك فيه الأجر، ومهَّل[٢] لك في العمر، وأجزل لك العوض والذّخُر. فكلّ ماضٍ من أهل فأنت سِدَادُ ثُلْمِه[٣] وجابر رزيّته. وقد خلّف من أنت أحقُّ الناس به من عجوزٍ ولِيتْ تربيتَك وحِيَاطتَك في طبقات سِنِّك، ووَلَدٍ رُبُوا في حِجْرك ونَبتوا بين يديك، ليس لهم بعد الله مرجع سواك، ولا مَقِيل[٤] إلا في ذَرَاك؛ فأَنْشُدك اللهَ فيهم فإنه أَخْرب أحوالَهم بعمارة مروءته، وقطَعهم بصلة فضله، والله يَجْزيه بجميل أثره ويُخلِفه فيهم بما هو أهله.

وفي فصل من كتاب: وقد جرى قضاءُ الله في هذه النازلة[٥] ما نطق عمّا نالك وأَبْقَى عندك، وهو حقُّ مِثْلِها وقَدْرُ مُلِمِّها[٦].

وفي فصل آخر: لو كان ما يَمَسُّك من أذى يُشترى أو يُفتدى، رجوتُ أن أكون غيرَ باخلٍ بما تَضَنُّ به النفوس، وأن أكون سِتْراً بينك وبين كل مُلِمٍّ ومحذورٍ. فأَعْظم الله أجرَك، وأَجْزل ذُخْرك، ولا خذَل صبرك ولا فتَنك؛ ولا جعل للشيطان حظّاً فيك ولا سبيلاً عليك.

المدائني قال: قدِم رجل من عَبْسٍ، ضَريرٌ محطوم الوجه[٧]، على

---

(١) العنان: الزمام.

(٢) مهّل لك في العمر: أي أطاله ومدّه.

(٣) سداد ثلمته: أي يعوّض وجودك النقص الذي حلّ بغيابه.

(٤) المقيل: المقام والراحة.

(٥) النازلة: المصيبة.

(٦) ملّمها: أي مصابها.

(٧) محطوم الوجه: أي في وجهه آثار لطم.

الـوليد؛ فسـأله عن سبب ضُـرِّه، فقـال: بِتُّ ليلةً في بـطن وادٍ ولا أعلم على الأرض عبسيّاً يزيد مالُه على مالي، فطرَقنا سيـلٌ فأذهب مـا كان لي من أهـلٍ ومالٍ وولد إلا صبياً رضيعاً وبعيـراً صعباً، فنَـدّ[1] البعيرُ والصبيُّ معي فـوضعتُه وآتَّبَعْتُ البعيرَ لأحبسه، فما جاوزتُ إلّا ورأسُ الذئب في بطنه قد أكله، فتركتُه وأتْبعْتُ البعيـرَ، فـآستـدار فـرمَحني رَمْحـةً حـطَم بهـا وجهي وأذهب عيني، فأصبحت لا ذا مالٍ ولا ذا ولد. فقال الوليد: اذهبوا به إلى عُرْوة ليعلمَ أنّ في الناس من هو أعظم بلاءً منـه؛ وكان عـروة بن الزُّبَيـر أُصِيب بابنٍ لـه وأصابـه الداء الخبيث في إحدى رجليه فقطعها، فكان يقول: كانوا أربعة ـ يعني بنيـه ـ فأبقيتَ ثلاثة وأخذتَ واحداً، وكُنَّ أربعاً ـ يعني يديه ورجليـه ـ فأخـذتَ واحداً وأبقيتَ ثلاثاً. أحمَدُك،لئن كنت أخذت لقد أبقيت، ولئن كنتَ أبقيت لقد عافَيت. وشخِص إلى المدينة فأتاه الناس يَبْكون ويتوجّعون؛ فقال: إن كنتم تُعِدُّونَني للسِّباق والصِّراع فقد أُوْدَى[2]، وإن كنتم تُعِدُّونني للّسان والجاه فقد أبقى الله خيراً كثيراً.

وقال عليّ بن الجَهْم: [سريع]

مَـنْ سبَـق الـسَّـلوةَ بالصبـرِ ... فـاز بفضـل الحمـدِ والأجـرِ

يـا عَجَبـاً من هَلِعٍ جـازعٍ ... يُـصبـح بـين الـذمّ والـوِزْرِ

مصيبـةُ الإنسـان فـي دِينـه ... أعـظمُ من جـائحـة الـدهـرِ[3]

وقال بعض الشعراء[4]: [مجزوء الرمل]

لـيـتَ شـعـري ضَـلَّةً ... أيُّ شـيءٍ قَـتـلَكْ[5]

(١) ندّ البعير: شرد.

(٢) أودى: ذهب وانقضى.

(٣) جائحة الدهر: مصيبته وصروفه.

(٤) قيل: إن هذه الأبيات لأمّ تأبّط شرّاً، وقيل؛ لأم السليك بن السلكة.

(٥) ضلّةً: عدم التوفيق والرّشاد.

والــمــنــايــا رَصَــدٌ لــلفتــي حيـث سلَكْ
كــلُّ شــيءٍ قــاتــلٌ حـيـن تـلقَـى أجـلَكْ
لـيـت نـفـسـي قُـدِّمـتْ لـلمـنـايـا بَـدَلَـكْ
أيُّ شـيءٍ حَـسَـنٍ لـلفتـى لـم يَـكُ لـكْ

وقال آخر: [مجزوء الكامل المرفّل]

غُــرَّ امــرؤٌ مَــنَّــتْــه نــفــ سُ أن تــدومَ لـه الســلامَــهْ
هــيــهــاتَ! أعــيــا الأوّلِـيـ ـن دواءُ دائـك يـا دِعـامـه

وقالت صفيّة الباهليّة في أخيها: [بسيط]

كنّا كغصنينِ في جُرْثـومةٍ سَمَـوَا حِيناً بأحسنِ ما تسمُو له الشجرُ[1]
حتّى إذا قيل قد طالتْ فرزعُهما وطاب قِنْواهما وآستُنْظِرَ الثمرُ[2]
أخنى على واحدي ريبُ الزمانِ ولا يُبقي الزمانُ على شيءٍ ولا يَـذَرُ[3]
كنّا كأنجمِ ليلٍ وَسْطَنا قمرٌ يجلو الدُّجى فهَوَى من بينِنا القمرُ

ومن هذا أخذ الطائيّ قوله: [طويل]

كـأنّ بني نَبْهـانَ يـومَ وفـاتـه نجومُ سماءٍ خَرّ من بينها البدرُ

وقال آخر: [طويل]

لـكـلِّ أُنـاسٍ مَقْبَـرٌ بِفنـائهـم فهم ينقصُون والقبورُ تَزِيدُ[4]
ومـا إن يـزالُ رسمُ دارٍ قَـدَ اخلقَتْ وبيتٌ لمَيْتٍ بالفِناء جديدُ
هُمُ جِيرةُ الأحياءِ أمّا جِوارُهم فدانٍ وأمّا الملتقَى فبعيدُ

---

(١) الجرثومة: الأصل.
(٢) القنو: العذق، وهو من النخل كالعنقود من العنب.
(٣) أخنى عليه الزمن: أهلكه وأتى عليه.
(٤) مقبر: موضع القبور، والفناء: الجانب، وفناء الدار: ما امتدّ من جوانبها.

وقال آخر: [بسيط]

لا يُبْعِدِ اللهُ أقواماً لنا ذهبُوا ... أفناهمُ حَدَثانُ الدهرِ والأبدُ

نَمُدُّهمْ كلَّ يومٍ من بقيَّتنا ... ولا يَؤوبُ إلينا منهمُ أحدُ[1]

وقال النابغة: [بسيط]

حَسْبُ الخليلَينِ أنّ الأرضَ بينهما ... هذا عليها وهذا تحتها بالي

وقال آخر: [طويل]

وقد كنتُ أرجُو أن أُمَلَّاكَ حِقْبَةً ... فحال قضاءُ الله دون رجائيَا[2]

ألا لِيَمُتْ مَنْ شاءَ بعدَك إنما ... عليك من الأقدارِ كان حِذارِيَا

وقال آخر: [طويل]

لَعَمْرُك ما وارَى الترابُ فِعالَهُ ... ولكنه وَارَى ثياباً وأعظُما[3]

فَضَالةُ بن شَرِيك: [وافر]

رمى الحِدْثانُ نِسوةَ آلِ حربٍ ... بفادحةٍ سَمَدْنَ لها سُمُودا[4]

فردّ شعورَهنّ السودَ بِيضاً ... وردّ وجوهَهن البِيضَ سُودا

وقال آخر: [كامل]

أمّا القبورُ فإنّهنّ أوانِسٌ ... بِجوارِ قبرِك والديارُ قبور

عمّتْ مصيبتُه فعمَّ هلاكُه ... فالناسُ فيه كلُّهم مأجورُ

ردّتْ صنائعُه عليه حياتَه ... فكأنه من نَشْرِها منشورُ[5]

---

(١) يؤوب: يرجع.

(٢) أملّاك: أمتع بك، والحقبة: المدّة من الزمن.

(٣) وارى التراب: أي أخفى، كناية عن الموت والفناء.

(٤) السمود: الغفلة وذهاب القلب، ومنه قوله تعالى: ﴿وأنتم سامدون﴾، أو هو تغيّر الوجه من الحزن، وقيل معناه: رفعن رؤوسهنّ ينحني.

(٥) الصنائع: الأعمال الكريمة، والنشر: الطيب، ومنشور: مبعوث وحيّ.

منصور النَّمَرِيّ[١]: [طويل]

فـإنْ يَكُ أفنتْه الليالي فـأوشكتْ فـإنّ لـه ذكـراً سيُفْني الليـاليَـا

وقال طُفَيْلٌ[٢] يذكر الموت: [طويل]

مَضَـوْا سَلفاً قصـدُ السبيل عليهمُ وصَـرْفُ المنايا بـالـرجـال تَقَلَّبُ

وقال هشام أخو ذي الرُّمَّة: [طويل]

تَعَـزَّيتُ عن أوفى بـغَيْـلانَ بـعـدَه عـزاءً وجفنُ العينِ مَـلآنُ مُتْـرَعُ[٣]

ولم تُنْسني أوفَى المصيبـاتُ بعـدَه ولكنَّ نَـكْءَ القَرْحِ بـالقرح أوجعُ[٤]

وفي فصـل من كتاب لبعض الكتّـاب: لست أحتاج مـع علمك بمـا في الصبـر عند نـازل المصيبة من الفضيلة، ومـا في الشكر عن حـادث النعمة من الحظ، إلى أكثر من الدعـاء في قضاء الحقَّيْن، ولا إلى إخبـارك عمّا أنـا عليه من الارتماض[٥] لضرّائك والجَذَلِ[٦] بسرائك، لمعرفتك بشـركتي لك واتصـال حالِك بي في الأمرين.

التهاني

حدّثني زيد بن أَخْزَم قال حدّثنا أبو قُتَيبة قال حدّثنا ميمون قال حدّثنا أبو عبد الله النَّاجِي قال: كنت عند الحسن، فقال رجل: لِيَهْنِئْك الفارسُ؛ فقـال:

---

(١) منصور النمري: هو منصور بن سلمة بن الزّبرقان من النّمر بن قاسط وكان مع الرشيد مقدّماً، يمتّ إليه بأمّ العباس بن عبد المطلب التمرية، شاعر جيد.

(٢) هو طفيل الغنوي بن عوف بن كعب من بني غنيّ من قيس عيلان. شاعـر جاهلي فحـلٌ. وهو أوصف العرب للخيل وربما سميّ طفيل الخيل لكثرة وصفه لها.

(٣) غيلان: ذو الرّمة وأوفى أخوه، ومترع: ممتلىء بالدموع.

(٤) النكء: مصـدر نكأ، ونكأ القرحة إذا قشرها قبل أن تبرأ.

(٥) الإرتماض: الحزن والألم.

(٦) الجذل: الفرح والمسرور.

لعله يكون بَغّالاً[1]، ولكن قال: شكرتَ الواهبَ، وبُورك لك في الموهوب، وبلَغ أشُدَّه، ورُزِقتَ بِرَّه.

قال مُجَاهِد: كان رسول الله ﷺ إذا دعا لمتزوِّج قال: «على اليُمْن والسعادة والطير الصالح والرزقِ الواسع والمودّة عند الرحمن».

قال أبو الأسود لرجل يهنّئه بتزويج: باليمن والبركة، وشدّة الحركة، والظفر في المعركة.

وكان رسول الله ﷺ يَنْهَى أن يقال: «بالرِّفاء والبنين»[2].

وكان يقال: إن أوّل مَنْ هنّأ وعزَّى في مَقامٍ واحد عَطَاءُ بن أبي صَيْفيٍّ الثَّقَفيّ، عَزَّى يزيدَ بنَ مُعَاوية بأبيه وهنّأه بالخلافة، ففتح للناس بابَ الكلام، فقال: أصبحتَ زُرِئتَ خليفةً وأُعطيتَ خلافةَ الله. قضى معاويةُ نحبَه، فغفر الله ذنبَه؛ وَوَلِيتَ الرياسة، وكنتَ أحقَّ بالسياسة؛ فاحتسبْ عند الله أعظمَ الرزيّ، واشكر الله على أعظم العطيّة. وعَظَّم اللهُ في أمير المؤمنين أجرَك، وأحسنَ على الخلافة عَوْنَك.

وقالت أعرابيّة للمنصور في طريق مكة بعد وفاة أبي العبّاس: أعظم الله أجرَك في أخيك؛ لا مصيبةَ على الأمة أعظمُ من مصيبتك، ولا عِوَضَ لها أعظمُ من خِلافتك.

قال الحجّاج لأيّوبَ بن القِرِّيَّة: اخطُبْ عليّ هندَ بنتَ أسماء، ولا تَزِدْ على ثلاث كلمات. فأتاهم فقال: أتيتُكم من عند مَنْ تعلمون، والأميرُ مُعطيكم ما تسألون، أفتُنْكِحون أم تَرُدّون؟ قالوا: بل أنكحْنا وأنعمْنا. فرجع

---

(١) البغّال: راكب البغال، والبغال تعجز عن تسأوا الخيل.

(٢) الرّفاء: الإلتحام والإنفاق.

ابنُ القِرِّيّة إلى الحجّاج فقال: أقرّ الله عينَك، وجمعَ شملَك، وأنبت رَيْعَك؛ على الثبات والنبات، والغنى حتى الممات؛ جعلها الله وَدُوداً وَلُوداً، وجمع بينكما على البركة والخير.

كتب بعضُ الكتّاب إلى رجل يهنئه بدار انتقل إليها: بخير مُنْتَقَلٍ، وعلى أيمنِ طائر، ولأَحْسنِ إبَّان[1]، أنزلك الله عاجلاً وآجلاً خيرَ منازلِ المُفْلِحين.

وقال ابن الرِّقاع[2] لمتزوّج: [كامل]

قَمرُ السماء وشمسُها اجتمعا ... بالسَّعدِ ما غابَا وما طَلَعَا

ما وراتِ الأستارُ مثلَهما ... فيمن رأيناه ومَنْ سُمِعَا

دام السُّرور له بها ولها ... وتهنَّا طولَ الحياةِ معَا

وكتب رجل إلى صديق له يهنئه بالدخول على أهله: قد بلغني ما هيّأ الله لك من اجتماع الشَّمْل، بضَمِّ الأهل؛ فشَرِكْتُك في النعمة، وكنتُ أُسوتَك في السرور، وشاهدُك بقلبي، ومثّلتُ ما أنت فيه لعيني، فحللتُ بذلك محلَّ المَعَاينِ للحال وزينتها، فهنيئاً هَنَأك الله ما قَسَم لك، وبالرِّفَاءِ والبنين، وعلى طول التعمير والسنين.

وكتب آخرُ من الكتّاب إلى عامل: نحن من السرور، بما قد استفاض من جميل أثرك فيما تَلِي من أعمالك، وخَطْمِك[3] وزَمِّك إيّاها بحَزْمِك وعَزْمِك، وانتياشِك أهلَها من جور مَنْ ولِيهم قَبْلَك، وسرورِهم بتطاوُل

---

(١) إبّان: وقت ومدّة.

(٢) ابن الرِّقاع: هو عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع من عاملة. شاعر كبير من أهل دمشق يكنى أبا داود كان معاصراً لجرير مهاجياً له.

(٣) الخطم: من الخطام وهو ما تزمّ به الناقة وغيرها انتياشك: انتشالك وتخليصك.

أيّامك والكونِ في ظلِّ جَناحك، في غايةِ مَنْ تخصّه وتَعُمّه نِعَمُك، وتَجُولُ به الحال حيث جالت بك. فالحمد لله الذي جعل العاقبَة لك، ولم يردُدْ علينا آمالَنا منكوسةً فيك، كما ردّها على غيرنا في غيرك. وهنيئاً هَنَأك الله نعمَه خاصَّها وعامَّها، وأوزَعَك شكرهَا، وأوجب لك بالشكر أحسنَ المزيدِ فيها.

وكتب رجلٌ من الكتّاب إلى نَصْرانيّ قد أسلم يهنئه: الحمدُ لله الذي أرشَدَ أمرَك، وخصّ بالتوفيق عزمَك، وأوضح فضيلةَ عقلك، ورَجَاحةَ رأيك؛ فما كانت الآدابُ التي حويتَها، والمعرفةُ التي أُوتيتَها؛ لتدوم بك على غَوَايةٍ وديانةٍ شائنةٍ[١] لا تليق بُلبّك، ولا يبرَح ذُوو الحجا من موجبي حقّك يُنكرون إبطاءَك عن حظّك وتركَكَ البدِارَ[٢] إلى الدّين القيِّم الذي لا يقبَل الله غيرَه ولا يُثيب إلا به، فقال: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[٣]، وقال: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلَامُ﴾[٤]. والحمد لله الذي جعلك في سابق علمه ممن هَدَاه لدِينه، وجعله من أهل وِلايته، وشرّفه بوَلَاء خليفته. وهنأك الله نعمتَه، وأعانك على شكره؛ فقد أصبحتَ لنا أخاً نَدِين بمودّته ومُوالاته بعد التأثُّم من خُلْطتك[٥] ومخالفة الحقّ بمشايعتك؛ فإنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أو إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾[٦].

وكتب رجلٌ من الكتّاب تهنئةً بحجٍّ: الحمدُ لله على تَمام مُهَاجَرِكَ، وسلامةِ بَدْأتك ورَجْعتك، وإعظامه المِنَّةَ بأَوْبتك؛ وشكَر الله سعيك،

(١) الشائنة: العمل الذي يلحق بصاحبه العيب..
(٢) البدار: المسارعة.
(٣) سورة آل عمران الآية ٨٥.
(٤) سورة آل عمران الآية ١٩.
(٥) الخلطة: من الاختلاط أي المعاشرة.
(٦) سورة المجادلة الآية ٢٢.

وبَـرّحَجِّك، وتقبَّـل نُسكـك؛ وجعلك ممّن قلبـه مُفْلِحاً مُنجِحاً، قـد رَبِحتْ صفقتُـه، ولم تَبُرْ تجـارتُه[١]، ولا أعـدمَك نية تفضُلُ عملَك، وتـوفيقاً يَحُـوط دِينَك، وشكراً يرتبط نعمتك؛ فَهَنـأكم الله النعمةَ، وجمعكم في دار الخِـلافة، وجعلكم ساسةَ الأمّـة والمتقدّمين عنـد الإمام ـ أيـده الله بالـطاعة والنصيحـة ـ فإنّكم زَيْنُ السلطان، وعُمْدةُ الإخوان، وأضدادُ أكثرِ أهلِ الزمان.

وكتب إلى رجلٍ عن صديق له يهنّئه بِفطام مولـود: أنا ـ أعـزّك الله ـ لِمَا حَمّلني الله من أيـاديك، وأودعني من إحسـانك، وألـزمني من شكـرك، آخـذ نفسي بمـراعاة أمـورك، وتفقُّد أحـوالك، وتَعَـرُّفِ كلِّ مـا يُحدثـه الله عنـدك، لأقابلَه بما يَلْزمني، وأقضِي الحقَّ فيـه عنّي بمَبْلَغ الوُسْـع ومقدارِ الـطاقة، وإن كـانا لا يبلُغـان واجبَك، ولا يستقِـلّان بِثقْل عـارفتك. وكـلُّ ما نَقَّـل الله الفتى وبلّغه من أحوال البلوغ ورقّاه فيه من درجات النموّ، فنعمةٌ من الله حادثـةٌ تُلزِم الشكرَ، وحقٌّ يجب قضاؤه بالتهنئة. وكتب إليّ وكيلي المقيمُ ببـابك يـذكر مـا وهبه الله من سلامته عند الفِطَام، وصَلاح جسمه عند الطعام، وسَلْوتهِ عن أوّل الغـذاء، وسرورِك ومَنْ يليـك بما وهب الله في هـذه الحال من عـافيته وحسنِ المدافعة عنه؛ فأكثرْت لله الحمدَ، وأسهبتُ[٢] في الـدعاء والـرغبة، وتصـدّقت عنه بما أرجـو أن يتقبّله؛ وكتبت مهنّئاً بتجـدّد النعمة عنـدكم فيه. فـالحمدُ لله المتـطوِّل[٣] علينا قِبَلَه بمـا هو أهله، والمُجـرِي لنـا فيمـا يُـولِيـك على حسن عادته. وهَنَأك الله النعم، وصانها عندك من الغِيـرَ[٤]، وحرَسهـا بالشكـر، وبلغَ

---

(١) تبرُ تجارته: تكسد.
(٢) أسهبت: أطالت.
(٣) المتطوّل: المتفضل.
(٤) الغير: الأحداث والصروف.

بـالفتى أقصى مبالـغ الشرف، وجعلك من الأمـل فيه والـرجاء لـه على العِيَان واليقين، بمنِّه وفضله.

وكتب بعض الكتّـاب تهنئةً بحـجٍّ إلى صـاحبـه: الحقُّ للسـادة عنـد مـا يجدّده اللهُ لهم من نعمه في الدعاء، من جلائل حقـوقهم على أوليائهم. وقـد خصّ اللهُ حقَّك بما لا يَسَعُني معه آدّخارُ مجهودٍ في تعظيمه وشكره. ولولا أنّ الـطاعة من حـدوده، لم أنتظر إذنَـك لي في تلَقِّيـك راجـلاً بـالأَوْبـة، إذ كـان الكِتابُ بها دون السعير بأبلغِ نصيبٍ من التقصير. وأنا أسأل الله الذي أوفـدك إلى بيته الحرام، وعمَر بك مَشَاهِدَه العِظَام؛ وأوردك حَرَمَه سالمـاً، وأصدرك[1] عنه غانماً؛ ومنّ بك على أوليائك وخدمك، أن يَهْنِئَـك بما أنعم بـه عليك في بَدْأتك ورَجْعتك؛ بتقبُّل السعي ونُجْح الطَّلِبة وتعريف الإجابة.

وكتب بعض الكتّـاب تهنئةً بـولايـة: فـإنـه ليس من نعمـةٍ يجـدّدهـا الله عندك، والصنعُ الجميلُ تُحدثه لك الأيّام، إلاّ كان ارتياحي له واستبشـاري به واعتدادي بما يَهَب الله لك من ذلك، حَسَبَ حقِّك الذي توجبه، وبِـرِّك الذي أشكره، وإخائـك الذي يَعِـزّ ويَجِلّ عنـدي موقعُـه؛ فجعل الله ذلـك فيه ولـه، ووصَله بتقواه وطاعتِـه. وبلغني خبرُ الـوِلاية التي وَلِيتَهـا، فكنتُ شريكَـك في السرور وعديلَك[2] في الارتياح، فسألت الله أن يُعَرِّفك يُمْنَها وبركتَها، ويرزُقَك خيـرَها وعـادتها، ويُحسِنَ معـونتَك على صـالح نيَّتـك في الإحسان إلى أهـل عملك والتـألُّف لهم، واستعمالِ العـدلِ فيهم، ويرزقَـك محبتهم وطاعتـك، ويجعلهم خيرَ رعيّة.

وكتب رجلٌ إلى معزول: فإنّ أكثرَ الخير فيما يقع بكُرْه العباد، لقول الله

---

(١) أصدرك: أي أعادك، والورود: أتيان الماء والصدور: العودة عنه.

(٢) العديل: المثيل والشبيه.

عزّ وجلّ: ﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾[1]. وقال أيضاً: ﴿فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً﴾[2]. وعندك بحمد الله من المعرفة بتصاريف الأمور، والاستدلالِ بما كان منها على ما يكون، مَغْنىً عن الإكثار في القول. وقد بلغني انصرافُك عن العمل على الحال التي آنصرفتَ عليها من رضا رعيّتك ومحبّتهم وحسنِ ثنائهم وقولهم، لِمَا بقّيتَ من الأثرِ الجميل عند صغيرهم وكبيرهم، وخَلّفْت من عَدْلك وحسنِ سيرتك في الداني منهم والقاصي من بلدهم؛ فكانت نعمةُ الله عليك في ذلك علينا، نعمةً جلّ قدرُها ووجب شكرُها. فالحمدُ لله على ما أعطاك، ومَنَح فيك أولياءك وأرغم به أَعْداك، ومَكّن لك من الحال عند مَنْ وَلّاك؛ فقد أصبحنا نعتدّ صَرْفَك عن عملك مَنْحاً مجدَّداً، يجب به تهنئتُك، كما يجب التوجُّعُ لغيرك.

وكتب رجلٌ من الكتاب في تهنئةٍ بحجّ: لولا أنّ عوائقَ أشغالٍ يوجبُ العذرَ بها تفضُّلُك ويَبْسُطه احتمالُك، لكنتُ مكانَ كتابي هذا مهنّئاً لك بالأَوْبة، ومجدِّداً بك عهداً، ومُحيياً نفسي بالنظر إليك. وأنا أسأل اللهَ أن يشكرُ سعيَك، ويتقبَّلَ حَجَّك، ويُثْبِت في عِلّيِّين أثرك، ولا يجعله من الوِفَادةِ[3] إليه آخرَ عهدِك.

وكتب بعض الكتّاب: لا مُهَنِّىءَ أولَى ما يكون مهنّئاً، تعظيماً لِنعَمِه فيما جدّد الله لك يا مولاي بالولاية، منّي؛ إذ كنتُ أرجو بها انضمامَ نَشْري، وتَلافيَ الله بعنايتك المتشتّتَ من أمري. فهَنَأَكَ الله تجدُّدَ النعم، وبارك لك

(١) سورة البقرة الآية ٢١٦.
(٢) سورة النساء الآية ١٩.
(٣) الوفادة: الزيّارة.

في الوِلاية، وآفتتحها لك بالصُّنْع الجميل، وختَمها لك بالسلامة، إنه سميع قريب.

باب شِرار الإخوان

ذكر خالدَ بنَ صَفْوان شَبِيبُ بن شيبة فقال: ذاك رجلٌ ليس له صديقُ في السرِّ ولا عدوٌّ في العلانِيةَ.

وقال الشاعر: [طويل]

وإنّ من الخُلَّان مَنْ تَشْحَطُ النَّوَى ... به وهو داعٍ للوِصالِ أمينُ[1]

ومنهم صديقُ العينِ أمّا لِقاؤهُ ... فحُلْوٌ وأمّا غَيْبُه فظَنُونُ[2]

أقبل عُيَينة بن حِصْن إلى المدينة قبل إسلامه، فلقيه ركبٌ خارجون منها؛ فقال: أخبروني عن هذا الرجل (يعني النبيَّ صلّى الله عليه وسلّم)، فقالوا: الناسُ فيه ثلاثةُ رجال: رجل أسلم فهو معه يقاتل قريشاً وأَفْناء العرب[3]، ورجل لم يُسلم فهو يقاتله، ورجل يُظهر الإسلامَ إذا لقي أصحابَه ويُظهر لقريش أنه معهم إذا لقيهم؛ فقال: ما يسمَّى هؤلاء؟ قالوا: المنافقون؛ قال: فاشهدوا أنِّي منهم، فما فيمن وَصَفْتُم أحزمُ من هؤلاء.

وكان رجل يدعو فيقول: اللّهم اكْفِني بوائقَ[4] الثِّقاتِ، واحفَظْني من الصَّديق.

وكتب رجلٌ على باب داره: جَزَى الله مَنْ لا يعرِفنا ولا نَعرِفه خيراً، فأمّا

---

(١) الخلّان: الأصحاب، وتشحط النوى: تبعد.

(٢) الظنون: الذي لا يوثق به.

(٣) أفناء العرب: أخلاطهم الذين لا يعرفون من أي القبائل هم.

(٤) البوائق: الغوائل والشرور، وقيل الظلم والغشم.

أصدقاءنا فلا جُزُوا ذلك، فإنا لم نؤتَ قطّ إلا منهم[١].

وكتب إبراهيم بن العبّاس[٢] إلى محمد بن عبد الملك الزّيات:

[متقارب]

وكنتَ أخي بإخاء الزمانِ فلما نَبا صِرتَ حرباً عوانا[٣]

وقد كنتُ أشكو إليك الزمانَ فأصبحتُ فيك أذُمُّ الزمانا

وكنت أُعِدُّك للنائبات فها أنا أطلبُ منك الأمانا

وقال محمد بن مهديّ: [منسرح]

كانَ صديقي وكان خالصتي أيّامَ نجري مَجارِيَ السُّوَقِ

حتى إذا راحَ والملوكَ معاً عَدّ اطِّراحِيَ من صالح الخُلُقِ[٤]

خَلَّيتُ ثوب الفِراقِ في يده وقلتُ هذا الوداعُ فانطلِقِ

لَبِستُه لِبْسةَ الجديدِ على الـ ـقُرِّ وفارق فُرْقةَ الخَلَقِ[٥]

وقال آخر: [بسيط]

إذا ما رأيتَ امرأً في حال عُسْرتِه مُواصِلاً لك ما في وُدّه خَلَلُ[٦]

فلا تَمَنَّ له أنْ يستفيدَ غِنىً فإنه بانتقال الحالِ ينتقلُ

وكتب رجلٌ إلى صديق أعرض عنه: لولا أنّي أشفقتُ من أشتات ظنّي في إجابتك إلى ما يعلم الله براءتي منه فيك ولك لمعجبك[٧] ولكفيتك مُؤنتي،

---

(١) لم نؤت إلّا منهم: أي لم نُصب ونؤذَ.

(٢) هو إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول، أبو إسحاق، أصله من خراسان، عمل كاتباً لعدد من الخلفاء العباسيين، له شعر جيّد.

(٣) نبا: جفا وتغير، والعوان: الشديدة الضّروس.

(٤) اطّراحي: تركي وابعادي.

(٥) والقرّ: البرد، والخلق: البالي.

(٦) الودّ: الحب، والخلل: العيب والنقص، أي أن مودّته صافية.

(٧) كذا بالأصل ولم نوفق إلى هذا الكتاب في مصدر آخر.

ثقةً بأنّ ازديادَك من معرفة الناس ستردّك إليّ؛ فإن رجعتَ قَبِلتُ وتمسّكتُ واغتبطتُ، وإن أصررتَ لم أتبَعْ مُوَلِّياً، ولم آسَ[1] على مُدْبِر، ولم أسامح نفسي على تعلُّقها بك، ولم أُساعِدْها على نِزاعها إليك. فكم من زمانٍ تركتُك فيه وسَوْمَك[2] ثم أبى قلبي ذلك، فكررتُ وعطفتُ أسىً على أيّامي معك وما تَوَكَّدَ بيني وبينك. وما من كَرّةٍ لي إليك إلا وهي داعيةٌ إلى ما أكرَهُه من استخفافك ونُفورك. ولو فهمتَ ما استحققتُ به عليك ما أشكوه لخَفَّ مَحْمَلُ ما يكون منك عليّ ولأجبت في عتابك ورضاك.

وفي جواب كتاب: وقد وزَعني[3] ما ضربتَه لي من الأمثال في كتابك عن استبطائك. على أنّي لا أستزيد إلا من أحتاجُ إلى صَلاحه وأرغب في بقيّته؛ وقد قيل: [سريع]

يَأْبَيْنَ إلّا جفوةً وظلمَا من كثرة الوصل تَجنَّى الجُرْمَا[4]

وفي كلّ ما أجبتني ظلمت في معارضتي عن مَسْخِي جوابَك بإيحاشي[5]، وفي اعتدادك عليّ بما أنت جانيه وعليك الحجة فيه. وما أُنْكر الخِلافَ بين الأب وابنه والأخ وشقيقه إذا وقعت المعاملة، ولذلك سبب لا أعرفه بيني وبينك قطّ، فإني لم أُخالِفْك ولم أشاحِحْكَ[6] ولم أنازعكَ ولم أعارض نَعَمَكَ بِلَا ولا أمرَك بنهي.

---

(١) لم آس: لم أسف وأحزن.
(٢) تركتك وسومك: أي تركتك تجابه الزّمن وحيداً، والمساومة في البيع: الاتفاق على السّعر بعد حديث.
(٣) وزعني: كفّني ومنعني.
(٤) الجرم: الذنب، وتجنّي: أصله تتجنّي حذفت تاءٌ منها.
(٥) المسخ: تحويل الصورة إلى ما هو أقبح منها، والإيحاش: القطيعة.
(٦) المشاححة: المنافسة، يقال تشاحَّ الرجلان على الأمر: أي لا يريدان أن يفوتهما.

وقال الحسن بن وَهْب: [طويل]

سأُكرِمُ نفسي عنك حَسْبَ إهانتي لها فيك إذ قَرّتْ وكفّ نِزَاعُها[1]
هي النّفسُ ما كَلّفتُها قطُّ خُطّةً من الأمر إلّا قلّ منه امتناعُها
صدَقت لعمري أنتَ أكبرُ همِّها فأَجهَدُها إذ قلّ منك انتفاعُها
هَبَ انّيَ أعمى فأتتِ الشمسُ طَرْفَه وغُيِّبَ عنه نورُها وشُعاعُها

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر: [طويل]

رأيتُ فُضَيلاً كان شيئاً مُلفّفاً فكشّفه التمحيصُ حتى بَدَا لِيَا[2]
فأنت أخي ما لم تكنْ لِيَ حاجةٌ فإن عرضتْ أيقنتُ أنْ لَا أخَالِيَا
فلا زاد ما بيني وبينك بعد ما بلوتُك في الحاجات إلّا تَمَادِيّا
فلستَ براءٍ عيبَ ذي الوُدّ كلَّهِ ولا بعضَ ما فيه إذا كنتَ راضيَا
فعين الرضا عن كلِّ عيب كليلةٌ ولكنّ عينَ السُّخط تُبدي المَساوِيَا
كلانا غَنِيٌّ عن أخيه حياتَه ونحن إذا مُتْنا أشدُّ تَغَانِيَا

وكتب أيضاً إلى بعض إخوانه: أما بعدُ: فقد عاقني الشكّ فيك عن عزيمة الرأي في أمرك؛ إبتدأتَني بلطف عن غير خِبرة، ثم أعقبتَني جفاءً من غير ذنب، فأطمعني أوّلُك في إخائك، وآيسني[3] آخرُك من وفائك؛ فلا أنا في غير الرجاء مُجمِعٌ لك آطّراحاً، ولا أنا في غدٍ وانتظارِه منك على ثقة؛ فسبحانَ مَنْ لو شاء كشَف بإيضاح الرأي في أمرك عن عزيمة الرأي فيك، فأقمنا على ائتلاف، أو افترقنا على اختلاف.

وكتب رجلٌ إلى صديق له: نحن نستكثرك بآعتزالك، ونستديم صلتَك،

---

(١) قرّت: سكنت وهدأت.

(٢) التمحيص: الإختبار.

(٣) آيسني: من اليأس، وهو القنوط.

بجفائك، ونرى الزيادةَ في الغمّ أدومَ لجميل رأيك. ومثلُه قول كُثَيِّر: [الطويل]

وإن سَحَطتْ يوماً بكيتُ وإن دَنَتْ تدلّلت وآستكثرتُها باعتزالها[1]

ونحوه قولُ الكُمَيْت[2]:

وقد يخذُلُ المولى دُعائي ويجتذِي أذَاتي وإنْ يَعدِلْ به الضيمُ أغضَبِ

فأونِس من بعضِ الصّديق ملالةَ الـ دُنُوِّ - فأستبقيهمُ - بالتجَنُّبِ[3]

وقال آخر: [السريع]

إنّك ما أعلمُ ذو مَلّةٍ يُذهلك الأدْنَى عن الأقدمِ

وقال عبد الرحمن بن حَسّان[4]: [البسيط]

لا خيرَ في الودّ ممّن لا تزال له مستشعراً أبداً من خِيفةٍ وَجَلاَ[5]

إذا تغيّب لم تبرَحْ تُسيء به ظنّاً وتسأل عمّا قال أو فعلا

وقال مُرّة بن مَحْكَان[6]: [متقارب]

ترى بيننا خُلُقاً ظاهراً وصدراً وعدوّاً ووجهاً طليقَا

ونحوه قول المَرّار: [الطويل]

كذِبٌ تَخَرّصهُ عليّ لقومهِ سَلْمُ اللسانِ محارِبُ الإسرار[7]

---

(١) سحطت: بعدت وفارقت.

(٢) هو الكميت بن معروف بن الكميت بن ثعلبة الأسدي يكنّى أبا أيوب مخضرم «راجع الشعر والشعراء «ص ٢٤٧».

(٣) أي أنّني أتجنب لقاء الصحب خوفاً من الملل الذي قد يحدّثه كثرة اللقاء.

(٤) هو عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت الأنصاري الخزرجي. شاعر ابن شاعر كان مقيماً في المدينة وتوفي فيها: اشتهر بالشعر في زمن أبيه..

(٥) الوجل: الخوف.

(٦) هو مرّة بن محكان الرُّبيعي السّعدي شاعرٌ مقلّ، يكنّى أبا الأضياف كان سيّد بني ربيع، شهد وقعة الجفرة بين جيشي عبد الملك ومصعب قتله صاحب شرط مصعب بن الزبير.

(٧) التخرّص: اختلاق الكذب، وسلْم اللِّسان: لايُغه.

وحدّثني أبـو حَمْزةَ الأنصـاريّ قال: حـدّثنا العُتْبِيّ قـال: قـالت أعـرابيـة لابنها: يا بنيّ، إياك وصُحْبةَ مَن مودّته بِشْرُهُ فإنه بمنزلة الريح.

وكـان يقال: الإخـوان ثـلاثـة؛ أخٌ يُخْلِص لـك وُدَّه، ويبلُغ في محبتـك جهدَه. وأخٌ ذونِيّة يقتصر بك على حُسْن نيّته، دون رِفْده ومَعونته. وأخ يُلَهْوِق لك لسانه[١]، ويتشاغل عنك بشأنِه، ويُوسِعك من كذبِه وأَيْمانِه.

وقال المثَقّبُ العَبْدي[٢]: [الوافر]

فـإمّـا أن تكـونَ أخي بصـدقٍ ... فـأعـرِفَ منـك غَثّي من ثَميني[٣]
وإلّا فـاجْـتـنبْـنِي واتّـخـذْنِـي ... عـدوّاً أتّـقـيـك وتـتّـقـيـنـي

وقال أَوْسُ بن حَجَر: [الطويل]

وليس أخـوك الـدائمُ العهـد بـالـذي ... يسـوءك إنْ ولّى ويُـرضيـك مُقْبِـلا
ولكنّ أخـوك النـائيّ مـا دمتَ آمنـاً ... وصـاحبُك الأدنى إذا الأمـرُ أَعْضلا[٤]

وقال آخر: [الطويل]

لَعَمْـرُك مـا وُدُّ الـلسـان بنـافـعٍ ... إذا لم يكن أصـلُ المـودّة في القلبِ

وقـال أبـو حـارِثـة المَـدَنِيّ: ليس لمملولٍ صـديقٌ، ولا لحسـودٍ غِنًى، والنظرُ في العواقب تلقيح العقول.

---

(١) اللهوقة: هي إن يبدي الإنسان غير ما في الطبيعة ويتزيّن بما ليس فيه من خلقٍ ومروءة.
(٢) هو المثقّ العبدي ثم النكري، اسمه «عـائذ» وقيـل: شأس بن عـائذ بن محصن بن ثُعلبـة بن واثلة بن زهر بن نكرة وهي القبيلة، سمّي المثقّب لبيتٍ قاله وهو جاهليّ من شعراء البحرين.
(٣) الغثّ: الهزيل والفاسد.
(٤) النأي: البعد، وأعضل الأمر: أي أصبح لا يطاق ولا يصبر عليه.

قال العباس بن الأَحْنف[1]: [بسيط]

أشكو الذي أذاقوني مودّتَهم حتى إذا أَيْقظوني في الهوى رقَدُوا
واستنهضوني فلمّا قمتُ مُنتَهِضاً بِثقْل ما حمّلوني في الهوى قعَدُوا

ونحوه قول المجنون[2]: [طويل]

وأَدْنَيْتني حتى إذا ما سَبَيْتِني بقَوْلٍ يُحِلُّ العُصْمَ سَهْلَ الأباطحِ[3]
تجافيتِ عنّي حينَ لا لِيَ حِيلةٌ وخلَّفتِ ما خلَّفتِ بين الجوانح[4]

وقال آخر: [طويل]

ولا خير في وُدٍّ إذا لم يكنْ لهُ على طول مَرّ الحادثات بقاءُ

وأنشد ابنُ الأعرابيّ: [طويل]

لحا الله مَن لا ينفعِ الودُّ عندهُ ومَن حبلُه إن مُدّ غيرُ متين[5]
ومن هو إن يُحدِثْ له الغيرُ نظرةً يُقطِّعْ بها أسبابَ كلِّ قرين[6]

ويقال: صاحب السوء جذوةٌ من النار.

وقال عليّ عليه السلام: لا تؤاخِ الفاجر فإنه يزيِّن لك فعله ويحبّ لو

(١) هو العباس بن الأحنف بن الأسود الحنفي اليماني، أبو الفضل شاعر غزل رقيق، أصله من اليمامة، ونشأ ببغداد، وتوفي بها.
(٢) المجنون: هو قيس بن الملوّح بن مزاهم العامري، من أهل نجد شاعر غزل، وعرف بمجنون «ليلى».
(٣) العصم: جمع أعصم، والأعصم من الظباء والوعول: ما في ذراعيه أو في أحدهما بياض وسائر لونه أسود أو أحمر.
(٤) خلّفت: تركت. والجوانح: الأضلاع التي تحت التّرائب.
(٥) لحا الله: أي قبّح ولعن.
(٦) القرين: الصاحب وما يقرن به الشيء.

أنك مثلُه ويزيِّن لك أسوأ خِصاله، ومَـدْخَلُه عليك ومَخْـرَجُه من عنـدك شَيْن[١] وعـار. ولا الأحمقَ فإنـه يجتهد، بنفسـه لك ولا ينفعـك وربمـا أراد أن ينفعـك فيضرّك، فسكوتُه خيرٌ من نطقه، وبعدُه خير من قُرْبه، ومـوته خيـر من حياتـه. ولا الكذّابَ فإنّه لا ينفعك معه عيش، يَنقُل حديثَك وينقل الحديثَ إليك حتى إنه ليحدِّث بالصدق فما يُصَدَّق.

قال أبو قَبِيل: أُسِرتُ ببلاد الروم فأَصبتُ على ركن من أركانها: [هزج]

ولا تَـصْحَـبْ أخـا الجهـل وإيّـاك وإيّـاهُ
فـكـم مـن جَـاهـل أَرْدَى حـليـمـاً حـيـن آخـاهُ
يُـقـاسُ الـمـرءُ بـالـمـرء إذا مـا هـو مَـاشَـاهُ
ولـلشـيء عـلى الـشـيء مـقـايـيسٌ وأشـبـاهُ
ولـلقـلـب عـلى الـقـلب دلـيـلٌ حـيـنَ يـلقـاهُ[٢]

وقال عَدِيّ بن زيد[٣]: [طويل]

عن المـرء لا تسـألْ وأبْصِـرْ قـرينَـه فـإنّ القـرينَ بـالمُقـارن مقتـدِي

وأنشد الرِّياشيّ[٤]: [سريع]

إن كـنـتَ لا تَـصْـحَـبْ إلا فـتـىً مـثـلَك لـم تُـؤتَ بـأمـثـالِـكَـا

(١) الشين: العيب والنقص.
(٢) المعنى أن القلب دليـل المرء فـإمـا أن يجعله يكـره أو يحب، وقـد نسبت هـذه الأبيـات لأبي العتاهية في باب المودّة والتشاكل ص ٨ نفس الجزء.
(٣) هو عديّ بن زيد بن حمار بن زيد بن أيوب من بني تميم يكنّى أبـا عمير، سكن الحيـرة فلان لسـانه وسهـل منطقـه، شاعر مجيـد، عاشـر كسـرى وملوك الحيـرة «راجـع الشعـر والشعـراء ص ٢٤٩».
(٤) الرياشي: هو العباس بن الفرج بن علي الرّياشي البصري من الموالي أبو الفضل، لغوي راوية عارف بأيّام العرب من أهل البصرة وقتل فيها أيام فتنة صاحب الزنج.

إنّ لـك الفضـلَ على صُحْبتي والمسكُ قد يَسْتَصْحِب الرّامِكَا[١]
هَبْنِي امـرأً جئتُ أُريد الهدى فجُـدْ على ضَعْفي بـإسلامكَا

وكتب يحيى بن خالد: أُحبّ أن تكونَ على يقين أنّي بك ضَنين، أُريدك ما أردتَني، وأُريدك أن تنوبَ عنّي ما كان ذلك بي وبك جميلاً يَحْسُن عند إخواننا، وإن وقعت المقاديرُ بخلاف ذلك لم أعُدّ ما يجب. والذي هاجني على الكتاب أنّ أبا نوح معروفَ بن راشد سألني أن أبوح له بما عندي، والله يعلم أنّي ما تبدّلت وما حُلْتُ عن عهد، فجمَعنا الله وإيّاك على طاعته ومحبّة خليفته.

وقرأتُ في كتاب للهند: ثِقْ بذي العقل والكرم واطمئنَّ إليه؛ وواصل العاقل غيرذي الكرم، واحترس من سيّء أخلاقه وانتفع بعقله؛ وواصل الكريم غيرذي العقل وانتفع بكرمه وانفعه بعقلك؛ واهرُب من اللئيم الأحمق.

وقال حمّاد عَجْرَد[٢]: [طويل]

كَمْ من أخٍ لك لستَ تُنْكِرُه ما دمتَ من دنياك في يُسْرِ
مُتَصنِّعٌ لك في مَوَدّته يَلْقاك بالتّرحيب والبِشْرِ
يُطْرِي الوَفاءَ وذا الوفاء ويَلْـحَى الغَدْر مجتهداً وذا الغدر[٣]
فإذا عدا، والدهرُ ذو غِيَرَ، دهرٌ عليك عَدَا مع الدهر[٤]
فارفُضْ بإجمالٍ أُخُوّةَ مَنْ يَقْلِي المُقِلَّ ويَعْشَقُ المُثْرِي[٥]

(١) الرّامك: شيء أسود كالقار يخلط بالمسك.
(٢) حماد عجرد: هو حمّاد بن عمر من أهل الكوفة مولى لبني سواءة بن عامر بن صعصعة، وكان معلماً وشاعراً محسناً، رُمي بالزندقة.
(٣) يطري: يمدح، ويلحى: يلعن، وذا الغدر: أي صاحب الغدر.
(٤) عدا الدهر: جار وظلم، والغير: الصروف.
(٥) يقلي: من القلي وهو الكره والبغض، والمقلّ: الذي هو في حالة من العُسر.

وعـليـك مَـنْ حـالاه واحِـدةٌ ... في العُسـر إمّـا كـنـتَ والـيـسـرِ
لا تـخْـلِطنَّـهُـمُ بـغـيـرِهـم ... من يَخْلِطُ العِقْيـانَ بـالـصُّفْـرِ![1]

وقال سُوَيدُ بن الصامِت[2]: [كامل]

ألاَ رُبّ مَن تـدعُو صـديقاً ولـو تَـرَى ... مَقـالَتـه بـالغَيْب سـاءَك مـا يَفْـري[3]
مَقـالتُـه كـالشَّحْم مـا كـان شـاهِـداً ... وبـالغيب مـأثـورٌ على ثُغْـرة النَّحْـرِ
تُبينُ لـك العَيْنـان مـا هـو كـاتِمٌ ... من الضِّغْن والشَّحْناء بالنَّظَر الشَّزْرِ[4]
فَـرِشْنِي بخيرٍ طـالَمـا قـد بَـرَيْتَني ... وخيرُ الموالي من يَـرِيش ولا يَبْرِي[5]

وقال آخر: [منسرح]

وصـاحِـبٍ كـان لـي وكـنـتُ لـه ... أشْـفَـقَ مـن والـدٍ عـلى وَلَـدِ
كـنّـا كسـاقٍ تَـسْعـى بـهـا قَـدَمٌ ... أو كَـذِرَاعٍ نِـيـطتْ إلى عَـضُـدِ[6]
حـتـى إذا دانـتِ الـحـوادثُ مـن ... خَـطْوي وحلّ الـزمـانُ من عُقَـدِي[7]
إحْـوَلَّ عـنّـي وكـان يـنـظر مـن ... عَيْني ويَـرْمي بـسـاعِـدي ويَـدِي
وكـان لـي مُـؤنـسـاً وكـنـتُ لـه ... لـيـست بـنـا وَحْشـةٌ إلـى أحـدِ
حتى إذا استـرفَـدَتْ يـدي يَـدَه ... كـنـتُ كـمـسـتـرفِـدٍ يَـدَ الأسـدِ

وقال بعض الأعراب: [منسرح]

---

(١) العقيان: الذهب، والصفر: النحاس.
(٢) هو سويد بن الصامت بن حارثة بن عدي الخزرجي الأنصاري شاعر من أهل المدينة، اشتهر في الجاهلية وأدرك الإسلام وهو شيخٌ كبير.
(٣) يفري: أي يفتري من القول.
(٤) الشحناء: البغضاء، والنظر الشّزْر: النظر بمؤخّر العين وهو نظر الغضب.
(٥) راش: أي جعل له ريشاً والمعنى كساه من نعمه، وبرا: بمعنى أعرى، أي منعه من العطاء.
(٦) نيطت: أناط به الشيء أي علّقه.
(٧) دانت: قاربت من الدنوّ.

إخــوانُ هــذا الــزّمــان كــلُّهُــم إخــوانُ غَــدْرٍ عــليــه قــد جُــبِــلوا
طَــوَوْا ثــيــابَ الــوفــاء بيــنــهــمُ وصــار ثــوبُ الــرِّيــاء يُبْتَــذلُ[١]
أخــوهــم الــمستــحِقُّ وَصْــلَهــمُ مَــن شــربــوا عــنــده ومَــن أكــلوا
ولــيس فــيــمــا عَــلِمْــتُ بيــنــهــم وبــين مَــن كــان مُعْــدِمــاً عَــمَــلُ

قــال رجل لآخــر: بلغني عنك أمــرٌ قبيح، فقــال: يــا هــذا، إنّ صُحْبــة الأشرار ربما أورثت سوءَ ظنٍّ بالأخيار.

وقال دِعْبِل: [طويل]

أبــا مُسْــلمٍ كــنّــا حَــلِيفَــيْ مــودّة هَــوَانَــا وقَلْبَــانَــا جميعــاً معاً مَعَــا
أحــوطُــك بــالــوُدّ الــذي لا تَحُــوطُني وأرأبُ منــك الشَّعبَ أو يتصــدّعَــا[٢]
فــلا تَلْحَيَنّي لم أجــد فيــك حِيلةً تَخَرَّقتَ حتى لم أجدْ فيــك مَرْقَعَــا[٣]
فهَبْــك يميني استــأكلتْ فــٱحتسبتُهــا وجشّمتُ قلبي قــطعَهــا فتخشّعــا[٤]

وقال يزيد بن الحَكَم الثَّقَفيّ[٥]: [طويل]

تُكَــاشِــرُني كُــرْهــاً كــأنّــك نــاصــحٌ وعينُــك تُبْــدِي أنّ قلبَــك لي دَوِي[٦]
لِســانُــك مَــا ذِيٌّ وقلبــك عَــلْقَــمٌ وشَــرُّك مبســوطٌ وخيــرُك مُنْــطَوِي[٧]

(١) الرِّياء: الخداع، ويبتذل: يلبس كثيراً، ومنه البذلة. والمبذلة من الثياب: أي ما يلبس ويمتهن ولا يصان.

(٢) أراب: أحذر وأخاف، والشّعب: القبيلة وهنا بمعنى الشّمل الذي يجمع، ويتصدّع: يتفرّق ويتشتّت.

(٣) لا تلحيَنّي: أي لا تلومني، وتخرّقت: من تخرّق القوب إذا بلي وتمرّق.

(٤) استأكلت: فسدت، وجشمت قلبي: حملته على القطع.

(٥) هو يزيد بن الحكم الثقفي، شاعرٌ عالي الطبقة من أعيان العصر الأموي، ومن أهل الطائف، سكن البصرة، ولاّه الحجاج كورة فارس وعزله قبل أن يذهب إليها.

(٦) المكاشرة: المضاحكة، ودوٍ: مضطغنٌ وحاقد.

(٧) الماذيّ: العسل الأبيض، والعلقم: الشراب المرّ، ومبسوط: ممدود، ومنطوٍ: ممنوع.

عَـدُوُّك يَخْشَى صَـوْلتي إنْ لَقِيتُـه ... وأنت عـدوّي ليس ذاك بمستـوِي[١]
أراكَ إذا لم أهـو أمراً هَـوِيتَـه ... ولستَ لما أَهوَى من الأمر بالهَـوِي[٢]
أراكَ ٱجْتَـوَيْتَ الخيـر منّي وأجْتَـوِي ... أذَاك فَكُـلٌّ يَجْتَوِي قُـرْبَ مُجْتَـوِي[٣]
وكم مَـوْطِنٍ لَوْلايَ طِحْتَ كما هَوَى ... بـأجـرامِـهِ من قُلَّةِ النِّيقِ مُنْهَـوِي[٤]

ويقـال: إيّاك ومَن مَـوَدّتُه على قَـدْر حاجتـه فعند ذَهـابِ الحاجـة ذَهاب المودّة وقال الحكيم: ثلاثة لا يُعـرَفون إلا في ثـلاثة مـواطن: لا يُعرَف الحليم إلّا عند الغضب، ولا الشجاع إلّا في الحرب، ولا الأخ إلّا عند الحاجة إليه.

قال جرير: [طويل]

فـأنت أخِي مـا لم تكن لِيَ حـاجـةٌ ... فـإن عَـرَضَتْ أيقنتُ أن لا أخـالِيا
تَعَرَّضتُ فٱسْتَمرْتَ من دونَ حاجتي ... فحـالَـكَ إنّي مستـمـرٌّ لِحـالِيَـا
وإنّـي لَـمَـغْـرورٌ أعـلَّل بـالـمُـنَى ... ليـالِيَ أرجـو أنّ مـا لـكَ مـا لِيـاَ
بـأيّ نِجـادٍ تحمـلُ السيفَ بعـدمـا ... نـزعتَ سِنانـاً من قَنـاتِـكَ مـاضِيَـا[٥]
ألا لا تخـافـا نَبْـوَتِـي في مُـلِمَّـةٍ ... وخـافـا المنـايـا أن تفـوتَكُمـا بِيَـا[٦]

وقال أبو العَتَاهِيَة: [مجزوء الرّمل]

أنـتَ مـا ٱستـغنـيـتَ عـن صـا ... حـبـك الـدّهـرَ أَخُـوهُ

---

(١) الصولة: القوّة والبأس في الحرب، ومستوٍ؛ أي عادلٌ ومتساوٍ.
(٨) الهوي: المحبُّ والعاشق.
(٣) المجتوي: الكاره.
(٤) طحت: من طـاح إذا تـاه في الأرض هنـا وهنـاك، والجِـرم: الجسـد، والقلة: أعلى الجبـل، والنيق: أرفعُ موضع فيه.
(٥) النجاد: حمائل السيف، والسنان: سنان الرمح والقناة: الرمح.
(٦) النّبوة: الجفوة، يقـول: لا تخافـا أن أنبو عنكمـا في الملّمات مـا دمت حّياً ولكن خـافا مني إذا مـا مِتّ.

فــإذا آحــتــجــتَ إلــيــه ســاعــةً مَــجَّــكَ فُــوهُ[١]

وقال آخر: [وافر]

مَــوَالِـيـنــا إذا آفـتقَــروا إلـيـنــا وإن أَثْــرَوْا فـليس لنــا مَــوَالــي

والعـرب تقول فيمن شَـرِكَك في النِّعْمـة وخَذَلَـك عند النـائبـة: يَـربِضُ حَجْرَةً[٢] ويَرْتَعُ وَسَطاً.

قال المدائنيّ: لحن الحجاجُ يومـاً، فقال النـاس: لحن الأميرُ، فـأخبره بعضُ مَن حضر، فتمثّل بشعر قَعْنَب بن أمِّ صاحب[٣]: [بسيط]

صُمٌّ إذا سَمِعــوا خيـراً ذُكِــرْتُ بــه وإن ذُكِـرت بسُـوءٍ عنــدهم أَذِنُــوا[٤]

فَــطَانَـةٌ فَــطَنـوهــا لـو تكــون لهم مــروءة أو تُـقـىً لله مــا فَــطَنُــوا[٥]

إن يسمعـوا سَيِّئـاً طـاروا بـه فَــرَحـاً منّي ومـا سمعـوا من صـالـحٍ دَفَنُـوا

باب القرابات والولد

حدّثني زَيْد بن أَخْـزَم قال حـدّثنا أبـو داود قال حـدّثنا إسحـاق بن سَعيد القُرَشي من ولد سعيد بن العاص قال أخبرني أبي قال: كنتُ عند ابن عبّاس، فأتاه رجل فَمتّ إليه بِرَحِم بعيدةٍ، فَلاَنَ له وقال: قال رسول الله ﷺ: «اعْرِفُوا أنسابَكُم تَصِلوا أرحامَكم فإنه لا قُرْبَ بالـرَّحِم إذا قُطِعَتْ وإن كـانت قريبـةً ولا بُعْدَ بها إذا وُصِلَتْ وإن كانت بعيـدةً».

(١) مجّك فوه: أي طالك بلسانه.

(٢) يربض: يبرُك، والحجْر: الناحية.

(٣) هو قعنب بن أم صاحب: من بني عبد الله بن عطفان، من شعراء العصر الأموي، كان في أيّام الوليد بن عبد الملك وله هجاءٌ فيه.

(٤) أذنوا: استمعوا وأصغوا بآذانهم إلى ما يقال.

(٥) الفطانة: الفهم، والمعنى أنّهم يتقبّلون الإساءة إليك دون أن يردّوها عنك.

حدّثني شَبَابة قال حدّثني القاسم بن الحَكَم عن إسماعيل بن عَيّاش عن عبد الله بن دينار قال: احذروا ثلاثاً، فإنهنّ معلّقات بالعرش: النعمةُ تقول يا ربّ كُفِرتُ، والأمانةُ تقول يا ربّ أُكِلتُ، والرَّحِمُ تقول يا ربّ قُطِعتُ.

حدّثني الزِّياديّ قال حدّثنا عيسى بن يونس قال قال مُحارِب بن دِثار: إنما سُمُّوا أبراراً لأنهم بَرُّوا الآباء والأبناء، وكما أنّ لوالدك عليك حقّاً، فكذلك لولدك عليك حقٌّ.

حدّثني أبو سفيان الغَنَويّ عن عبد الله بن يزيد عن حَيْوَة بن شُرَيح عن الوليد بن أبي الوليد عن عبد الله بن عمر أنّ رسول الله ﷺ قال: «أَبرُّ البِرِّ أن يَصِلَ الرجلُ أهلَ وُدِّ أبيه».

حدّثني القُومَسِيّ قال حدّثنا إسماعيل بن أبي أُوَيْس قال حدّثنا كَثِير بن زيد عن أبيه عن جدّه عن النبيّ ﷺ قال: «ابنُ أُختِ القومِ من أنفُسِهم ومَوْلى القوم من أنفسهم وحَلِيفُ القومِ من أنفسهم».

وحدّثني أيضاً عن خالد بن مَخْلَد عن سليمان بن بِلَال عن عبد الله بن دِينار عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال أبو القاسم ﷺ: «الرَّحِمُ شُجْنَةٌ[1] من الرحمن قال لها مَنْ وصَلكِ وصَلتُه ومَن قطعكِ قطعتُه».

حدّثني الزِّياديّ قال حدّثنا حمّاد بن زيد عن حبيب عن ابن سِيرين قال قال عثمان: كان عمر يمنع أَقْرِباءه ابتغاء وجه الله، وأنا أُعطِي قَرَاباتي لوجه الله، ولن يُرى مثلُ عمرَ.

حدّثني أحمد بن الخليل قال حدّثنا إبراهيم بن موسى قال حدّثنا محمد

(١) الشّجنة: الشعبة من كلّ شيء، يقال: بينهما شجنة رحم.

ابن ثَوْر عن مَعْمَر[١] عن أبي إسحاق عن عاصم بن ضَمْرة عن عليّ عليه السلام عن النبيّ ﷺ قال: «مَنْ سَرّهُ أن يُمدَّ له في عُمْره ويُوَسَّعَ له في رزقه فَلْيَصِلْ رَحِمَه».

حدّثني أحمد بن الخليل قال حدّثنا أبو نُعَيم قال حدّثنا سفيان عن عبد الله بن عيسى عن عبيد بن أبي الجَعْد قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَزيد في العُمرِ إلا البِرُّ ولا يردّ القَدَر إلّا الدعاءَ وإنّ الرجلَ لَيُحرَمُ الرزقَ بالذَّنبِ يُصِيبُه».

حدّثني محمد بن يحيى القُطَعيّ قال حدّثنا عبد الأعلى قال حدّثنا سعيدُ عن مَطَر عن الحَكَم بن عُتَيبة عن النَّخَعيّ عن ابن عمر[٢] قال: أتى رجل النبيّ ﷺ فقال: إنّ والدي يأخذ منّي مالي وأنا كاره؛ فقال: «أَوَ مَا عَلِمتَ أنّكَ وما لَكَ لأبِيكَ».

حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله عن الأصمعيّ قال: أخبرني بعضُ العرب: أن رجلاً كان في زمن عبد الملك بن مَرْوان، وكان له أب كبير، وكان الشابّ عاقّاً بأبيه، وكان يقال للشابّ مَنَازِلُ[٣] فقال الشيخ[٤]: [طويل]

جَزَتْ رَحِمٌ بَيْني وبين مَنَازلٍ جزاءً كما يَسْتَنْجِزُ الدَّيْنَ طالبُهْ
تَربَّتَ حتى صار جَعْداً شَمَرْدَلاً إذا قام سَاوَى غَارِبَ الفَحْل غَارِبُهْ[٥]
تَظَلَّمني مالي كذا وَلَوَى يَدِي لَوَى يدَه اللهُ الذي لا يغالبُهْ

(١) هو معمر بن راشد، وهو الذي يروي عنه محمد بن ثور كما في التهذيب.
(٢) ابن عمر: هو عبد الله بن عمر بن الخطاب العدويّ أبو عبد الرحمن صحابي جليل، نشأ في الإسلام وشهد فتح مكّة وأفتى الناس ستين سنةً.
(٣) منازل: هو منازل بن فرعان في القاموس بفتح الميم وقيل بضمّها.
(٤) هو فرعان التميمي كما في اللسان مادة «جعد».
(٥) تربّت: أي تربّى، والجعد الطويل، والشمردل: الفتى القويّ، والغارب: ما بين السّنام إلى العنق من الفحل.

وإنّي لَـدَاعٍ دَعْـوَةً لـو دَعَـوْتُهـا على جَبَـل الرَّيَّان لانقضَّ جانِبُـهْ[١]

فبلغ ذلك أميراً كان عليهم، فأرسل إلى الفتى ليأخذه، فقال لـه الشيخ: اخرج من خَلْف البيت، فسبَق رُسُلَ الأمير، ثم آبتُلِيَ الفتى بابنٍ عَقّه في آخر عمره فقال: [طويل]

تَـظَلَّمَني مـالـي خَليـجٌ وعَـقَّني على حينَ كـانت كآلحَنِيّ عـظامي[٢]
تَخَيَّـرتـه وازددتُـه لِيَـزِيـدني ومـا بعضُ مـا يـزداد غير عُـرَامِ[٣]

وقال يحيى بن سعيد مولى تَيْم كوفيٌّ لابنه: [طويل]

غَـذَوْتُـكَ مَـوْلـوداً وعُلْتُـكَ يـافِعـاً تُعَـلُّ بمـا أَجْنِي عليـك وتُنْهَـلُ[٤]
إذا ليلةٌ نـالتـك بـالشكـو لم أَبِتْ لـشكـواكَ إلاّ سـاهـراً أَتَـمَلْمَـلُ
كـأنّي أنـا المـطروقُ دونـك بـالـذي طُـرِقْتَ بـه دوني وَعَـينـيَ تَهْمُـلُ
فلمّـا بلغتَ الـوقت في العـدةّ التي إليهـا جَـرَى مـا أبـتغِيـه وآمُـلُ
جَعَلْتَ جَـزَائي منـك جَبْهـاً وغِلْظَةً كـأنـكَ أنتَ المنعمُ المتفـضِّـلُ[٥]
فَـلَيْتَـكَ إذ لـم تَـرْعَ حقَّ أُبُـوَّتـي كمـا يفعل الجـارُ المجـاوِرُ تَفْعَـلُ[٦]

قال القاسم بن محمد: قد جعل الله فِي الصديق البارّ عِوَضاً من الرَّحِم المُدْبِرة.

---

(١) انقضّ: تهدّم، وجبلُ الريان.
(٢) خليج: اسم علم، وهو ابن منازل بن فرعان، أحدُ العتقة.
(٣) العرام: الشراسة والأذى.
(٤) اليافع: الذي ارتفع وأصبح شاباً، تعلُّ وتُنهل: أي تطعم وتسقى.
(٥) الجبه: المنع والمواجهة.
(٦) هـذه الأبيات لأميّة بن الصلت الثقفي كمـا في الأغـاني «ج ٣ ص ١٩١ط بولاق» وأشعـار الحماسة «ص ٣٥٤ ط أوروبا» وقيل: إنّها تروي لابن عبـد الأعلى وقيل: لأبي العبـاس الأعمى، وليس ليحيى بن سعيد كما ذكر المؤلف، لأنها أنشدت بين يديّ الرسول عليه الصلاة والسلام فأخذ الرسول ﷺ بتلابيب الولد وسلّمه لوالده قائلاً: «أنت ومالك لأبيك».

كتب عمرُ إلى أبي موسى: مُرْ ذوي القَرَابات أنّ يَتزاوَرُوا ولا يتجاوروا.

وقال أَكْثَم بن صَيْفِيّ: تَباعَدُوا في الدّيار تَقارَبُوا في المودّة.

قيل لأعرابيّ: ما تقول في ابن عمك؟ قال: عدوّك وعدوّ عدوّك.

وقال قيسُ بن زُهَير: : [وافر]

شَفَيْتُ النّفسَ من حَمَلِ بن بَدْرٍ وسَيْفِي من حُذَيفةَ قد شفاني
قتلتُ بإِخْوَتي ساداتِ قومي وقد كانوا لنا حَلْيَ الزّمانِ(١)
فإنْ أكُ قد بَرَدْتُ بهم غَلِيلِي فلم أقطعْ بهمْ إلاّ بَنَاني

قال علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه، حين تصفّح القَتْلَى يوم الجَمَل: شَفَيْتُ نفسي وجَدَعتُ أنِفي. وفي مثل ذلك قول القائل(٢): [كامل]

قَومي هُمُ قَتَلوا أُمَيْمَ أخِي فإذا رَمَيْتُ يُصيبني سَهْمِي
ولئن عَفَوْتُ لأعْفُوَنْ جَلَلاً ولئن قَرَعْتُ لأوهِنَنْ عَظْمِي(٣)

قتل رجلٌ من العرب ابنَ أخيه فدُفعَ إليه لِيُقيدَه(٤)، فلمّا أَهْوَى بالسيف أُرْعِدتْ يداه، فألقي السيفَ من يده وعفا عنه وقال: [بسيط]

أقولُ للنّفسِ تأساءً وتعزِيَةً إحدى يَدَيّ أصابتني ولم تُرِدِ
كلاهما خَلَفٌ من فَقْدِ صاحبه هذا أخِي حين أدعُوه وذا ولدِي

وقال بعضهم: [وافر]

بكُرْهِ سَرَاتنا يا آل عمرو نُفاديكم بمُرهَفَة النِّصالِ
فنبكي حين نذكركم عليكم ونقتلكم كأنّا لا نُبالي

(١) حلي الزّمان: أي زينته وحلاوته.
(٢) هو الحارث بن وعلة الذهلي كما في الحماسة.
(٣) الجلل: العظيم، وأوهن: أضعف.
(٤) يقيده: أي يقتصّ منه بمثل ما فعل.

وقال عديّ بن زيد: [طويل]

وظلمُ ذَوِي القُـرْبَى أشـدُّ مَضـاضـةً	على المرءِ من وَقْعِ الحُسَامِ المُهَنَّدِ[1]

وقال غيره[2]: [طويل]

سـآخُـذ منكم آل حَـزْنٍ لِحَـوْشَب	وإن كـان مـولايَ وكنتـم بنـي أبي
إذا كنتُ لا أُرْمَى وتُـرْمَى عَشِيـرتي	تُصِبْ جائحاتُ النَّبْلِ كَشْحِي ومَنْكِبي[3]

وقـال حدّثنـا أبو الخـطاب قال حـدّثنـا الـوليـد بن مسلم عن محمـد بن السائِب البَكْريّ عن سعيد بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «حَقُّ كبير الإِخْوَةِ على صَغِيرهم كحقّ الوالد على ولده».

والعـرب تقول في العـطف على القرابـة وإن لم يكن وادّاً: أنفُكَ منـك وإن ذَنّ[4]. ومثله: عِيصُك[5] منك وإن كان أَشِباً.

وقال النَّمِر بن تَوْلَب[6]: [طويل]

إذا كـنتَ مـن سَعْـدٍ وأمُّـكَ فـيهـمُ	غـريباً فـلا يَغْرُرْك خـالُـكَ من سعـدِ
فـإن ٱبنَ أُختِ القـوم مُصْغىً إنـاؤه	إذا لم يُـزاحِم خـالَـه بِـأَبٍ جَلْد[7]

---

(١) المضاضة: الألم.
(٢) ذكر هذان البيتان في الحماسة ضمن أبيات قيل إنها: لجندل بن عمر.
(٣) الجائحات: المهلكات، وجاح الشيء: استأصله، والكشح: ما بين الخاصرة إلى الضّلع الخلف، والنكب: مَجْمَعُ عظم العضُد والكتف.
(٤) ذنّ: سال مخاطه.
(٥) العيص: الجماعة من السّدر تجتمع في مكان واحد، والأشب: شدّة التفاف الشجر حتى لا مجاز فيه.
(٦) هو النمر بن تولب بن زهير بن أقيش الهنكلي شاعر مخضرم عاش عمراً طويلاً في الجاهلية وأدرك الإسلام.
(٧) مصغى إناؤه: منقوصٌ حقّه

وقال أُميّة بن أبي عائذ[١] لإياس بن سَهْم : [طويل]

أبلغ إيـاسـاً أنّ عِـرض آبنِ أُختِكم ... رِداؤك فـاْصْطَنْ حُسْنَـه أو تَبـدّلِ[٢]
فـإن تَكُ ذا طَـوْلٍ فـإنِّي ابنُ أختِكم ... وكلُّ ابنِ أختٍ من مَدَى الخالِ مُعْتَلي[٣]
فـكن أسـداً أو ثـعلبـاً أو شـبيهَـه ... فمهمـا تكن أُنْسَبْ إليك وأُشْكَـلِ[٤]
ومـا ثـعلبٌ إلا ابـنُ أختِ ثـعـالِبٍ ... وإن ابن أختِ اللّيث رِئبالُ أَشْبُلِ[٥]

وكتب بِشْر بن المُغِيرة بن أبي صُفْرة إلى عمِّه بهذه الأبيات : [طويل]

جفـاني الأميرُ والمغيـرةُ قـد جفـا ... وأمسى يـزيدُ لي قـد آزْوَرَّ جـانبُـهْ[٦]
وكُلُّهُمْ قــد نـال شِبْعـاً لـبـطنـه ... وشِبعُ الفتى لؤمٌ إذا جاع صـاحبُـهْ
فيـا عَمِّ مَهْـلاً وآتّخِـذني لنـوبـةٍ ... تنـوب، فإنّ الـدّهـر جَمٌّ عجـائبُـهْ[٧]
أنـا الـسيـف إلاّ أنّ للسيـفِ نَبْـوةً ... ومثليَ لا تنبُـوا عليـك مَضـارِبُـهْ[٨]

دخـل رجل من أشـراف العرب على بعض الملوك، فسـألـه عن أخيـه، فأوقع بـه يَعِيبه ويَشْتُمـه، وفي المجلس رجل يَشْنَؤه[٩] فشـرَع معه في القـول؛ فقال له: مهلًا! إنِّي لآكلُ لحمي ولا أدَعُه لآكِل.

---

(١) هو أميّة بن أبي عائذ العمري، شاعر أدرك الجاهليـة وعاش في الإسلام، كان من مـدّاح بني أميّة، له قصائد في عبد الملك بن مروان.
(٢) اصطن: أي صُنْ واحفظ آمرٌ من أصطان، وتبذّل: امتهن.
(٣) الطول: القوة والعلاء.
(٤) أشكل: من المشاكلة وهي المقاربة والمشابهة.
(٥) الرئبال: الأسد.
(٦) ازورّ جانبه: تغيّر.
(٧) النوبة: الحادثة والجمّ: الكثير.
(٨) نبوة السيف، عدم القطع عند الضرب.
(٩) الشنآن: البغض.

ويقال: القرابةُ محتاجة إلى المودّة، والمودّةُ أقرب الأنساب. والبيت المشهور في هذا:

فإذا القرابة لا تُقرِّبُ قاطعاً   وإذا المودّة أقربُ الأنسابِ

وقيل لبُزُرْجِمِهْر: أخوك أحبّ إليك أم صديقُك؟ فقال: إنما أحِبّ أخي إذا كان صديقاً.

وقال خِداشُ بن زُهَيْر[١]: [طويل]

رأيتُ ٱبنَ عمّي بادياً ليَ ضِغْنُه   وواغِرُه في الصدر ليس بذاهبِ[٢]

وأنشدنا الرِّياشيّ: [طويل]

حياةُ أبي السَّيارِ خيرٌ لقومه   لمن كان قد ساس الأمورَ وجرَّبَا

ونَعتِبُ أحياناً عليه ولو مضى   لكنّا على الباقي من الناس أعتَبَا

وقال الشاعر: [طويل]

ولم أر عِزّاً لامرىءٍ كعشيرِهِ   ولم أر ذُلّاً مثل نأْيٍ عن الأهلِ[٣]

ولم أر مثلَ الفقر أوضعَ للفتى   ولم أر مثلَ المالِ أرفعَ للرَّذْلِ

ولم أر من عُدْمٍ أضرَّ على الفتى   إذا عاش وسْط الناسِ من عَدَمِ العقلِ

كان مُهَلهِلٌ[٤] صار إلى قبيلة من اليمن يقال لهم جَنْبٌ، فخطبوا إليه فزوّجهم وهو كارهٌ لاغترابه عن قومه، ومهروا ابنته أدَما[٥]؛ فقال: [منسرح]

---

(١) هو خداش بن زهير بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن صعصعة، من شعراء قيس المجيدين في الجاهلية.

(٢) الواغر في الصدر: أي الحقد الدفين.

(٣) العشير: القبيلة.

(٤) مهلهل: هو عديّ بن ربيعة أخو كليب وائل، وسمّي مهلهلاً لأنه هلهل الشعر، أي أرقه أو هو خال أمرىء القيس وجدّ عمر بن كلثوم.

(٥) الأدم: إسم جمع للأديم، والأديم: الجلد ما كان، وقيل الأحمر، وقيل: المدبوع.

أنكحها فقدُها الأراقِمَ في جَنْبٍ وكان الحِباء من أدَمِ [١]
لو بأبانَيْنِ جاء يخطُبُها رُمِّل ما أنْفُ خاطبٍ بدم [٢]

وقال الأعشى: [طويل]

ومن يَغْترِبْ عن قومه لا يَزَل يَرى مَصارِعَ مظلومٍ مَجَرّاً ومَسْحَبا [٣]
وتُدفَنُ منه الصالحات وإن يُسِيءْ يكن ما أساء النارَ في رأس كَبْكَبا [٤]
وربَّ بقيعٍ لو هتفتُ بجَوّه أتاني كريمٌ يُنْغِض الرأس مُغْضَبا [٥]

وقال رجل من غطَفان: [طويل]

إذا أنت لم تستبقِ وُدِّ صَحابةٍ على دَخَنٍ أكثرتَ بثَّ المعاتبِ [٦]
وإنّي لأستبقي آمرأ السُّوْءِ عُدّةً لعَدْوةِ عرِّيضٍ من الناس عائِبِ [٧]
أخافُ كلابَ الأبعَدين ونَبْحَها إذا لم تُجاوِبها كلابُ الأقارِبِ

قال رجل لعُبَيْد الله بن أبي بَكْرة: ما تقول في موت الوالد؟ قال: مِلْك حادث؛ قال: فموت الزوج؟ قال: عُرْس جديد؛ قال: فموت الأخ؟ قال: قَصّ الجَناحَ؛ قال: فموتُ الولد؟ قال: صَدْعٌ في الفؤاد لا يُجْبر.

وكان يقال: العُقوقُ ثُكْل من لم يَثْكَل.

(١) الأراقم: حيٌّ من تغلب وهي قبيلته، والحباء: المهر والعطاء.
(٢) أبانين: تثنية أبان، وهي جبلان يقال لأحدهما: أبان الأبيض وللآخر: أبان الأسود، ورمِّل: خضّب بالدم.
(٣) أي أنّ الذي يغترب عن قومه يجرّ لنفسه الظلم والموت لأن منعته بهم.
(٤) كبكب: جبل خلف عرفات مشرفٌ عليها.
(٥) البقيع: موضعٌ فيه أروم الشجر من ضروبٍ شتىّ، وينغض الرأس: يحرّكه كالمستفهم عمّا يقال له.
(٦) الدخن: الكدورة والغضب.
(٧) العرّيض: الذي يتعرّض الناس بالشرّ والعداوة.

شكا عثمان عليّاً إلى العباس رضي الله عنهم؛ فقال: أنا منه كأبي العاقَ، إن عاش عقّه وإن مات فجَعَه.

وقال رجل لأبيه: يا أبتِ، إن عظيم حَقِّك عليّ لا يُذْهِب صغيرَ حقّي عليك، والذي تَمُتُّ به إليّ أمتُّ بمثله إليك، ولستُ أزعم أنّا على سَوَاء.

وقال زيد بن علي بن الحسن لابنه يحيى: إن الله لم يَرْضَك لي فأوصاك بي، ورَضِيني لك فلم يُوصِني بك.

غضِب معاوية على يزيدَ ابنه فهجره؛ فقال له الأحنفُ: يا أمير المؤمنين، أولادُنا ثِمارُ قلوبنا وعِمادُ ظهورِنا، ونحن لهم سماء ظليلة، وأرض ذليلة، فإن غضِبوا فأَرْضِهم، وإن سألوا فأعْطِهم، ولا تكن عليهم قُفْلاً[1] فيَمَلُّوا حيتك ويَتمنّوْا موتَك.

قيل لأعرابيٍّ: كيف ابنُك؟ ـ وكان عاقّاً ـ فقال: عذابٌ رَعِف[2] به الدّهر، فليتني قد أودعتُه القبر، فإنه بَلاء لا يُقاومه الصبر، وفائدةٌ لا يجب فيها الشكر.

قيل لبعضهم: أيّ ولدك أحبّ إليك؟ قال: صغيرُهم حتى يكبرَ، ومريضُهم حتى يبْرَأ، وغائبُهم حتى يَقدَم.

ناول عمرُ بن الخطاب رجلاً شيئاً؛ فقال له: خدمك بنوك؛ فقال عمر: بل أغنانا الله عنهم.

ووُلد للحسن غلام، فقال له بعضُ جلسائه: بارك الله لك في هِبَته، وزادك من أحسنِ نعمتِه؛ فقال الحسن: الحمد لله على كلّ حسنة، ونسأل اللهَ

(١) قفلاً: مانعاً ومحجّراً.

(٢) رعف به الدهر: سبق وتقدّم.

الزيادةَ في كل نعمة، ولا مرحباً بمن إن كنتُ عائلاً أنصبني[1]، وإن كنت غنياً أذهلني، لا أرضى بسعيي له سعياً، ولا بكدِّي له في الحياة كدّاً، حتى أُشفِق له من الفاقة[2] بعد وفاتي، وأنا في حال لا يصل إليّ من غمّه حزن ولا من فرحه سرور.

قال الأصمعيّ: عاتب أعرابيٌّ ابنَه في شرب النبيذ، فلم يُعْتِبْ[3] وقال:

[طويل]

أمِن شَربةٍ من ماء كَرْمٍ شَرِبتُها غضِبتَ عليّ! الآن طابَ ليَ الخمرُ

سأشربُ فاْغضَبْ لا رَضِيتَ، كلاهما إليَّ لذيذٌ: أن أعُقَّك والسُّكْرُ

وقال الطِّرِمّاح[4] لابنه صَمْصامَة: [طويل]

أَصمصامُ إن تشفَع لأمِّك تَلْقَها لها شافعٌ في الصدرِ لم يتَبَرحِ[5]

هل الحبُّ إلاّ أنّها لو تعرّضتْ لذبحك يا صمصامُ قلت لها اذبَحِي

أُحاذِرُ يا صمصامُ إن مُتُّ أن يلي تُراثي وإيّاك آمرؤٌ غيرُ مُصْلِحِ

إذا صَكَّ وسْط القومِ رأسَك صَكّةً يقول له الناهي مَلَكتَ فأسْجِحِ[6]

وأنشد ابن الأعرابيّ: [وافر]

أُحبّ بُنَيّتي ووددتُ أني دَفَنتُ بُنَيّتي في قَعْرِ لحد

وما بيَ أن تهونَ عليَّ لكنْ مخافةَ أن تذوقَ البؤسَ بعدِي

---

(١) النصب: التعب والجهد.

(٢) الفاقة: الحاجة.

(٣) لم يُعتبْ: لم يرضه ولم يرجع عن الشراب الذي غضبت عليه من أجله.

(٤) هو الطِّرمّاح بن حكيم من طيء ويكنى أبا نفر، وكان جدّه قيس بن جحدر، أسره ملك من ملوك جفنة، فاستوهبه حاتم الطائي منه، كان شاعراً وخطيباً.

(٥) يتبرّح: لم يتغيّر ولم يذهب.

(٦) اسجح: اعف واصفح.

ونحوه قول الآخر: [بسيط]

لـولا أُمَيْمـةُ لم أجـزَعْ من العَـدَمِ ... ولم أَجُبْ في الليالي حِندِسَ الظُّلَمِ[1]
وزادني رغبـةً في العيش معـرفتي ... ذُلّ اليتيمـة يَجفـوهـا ذوُو الـرَّحِمِ
أُحـاذِر الفقـرَ يـومـاً أن يُلِمّ بهـا ... فيهتِكَ السِّترَ من لحمٍ على وَضَمِ[2]
تهـوَى حياتي وأهـوَى مـوتهـا شَفَقاً ... والمـوتُ أكـرمُ نَـزَّالٍ على الحُـرَمِ

وقال أعرابيّ في ابنته: [بسيط]

يـا شِقَّـةَ النفسِ إنّ النفس والهـةٌ ... حَـرّى عليـكِ ودمـعُ العين مُنسجِمُ[3]
قـد كنتُ أخشى عليهـا أن تُقَـدّمني ... إلى الحِمـام فيُبدي وجهَهـا العَـدَمُ[4]
فـآلآن نِمـتُ فـلا هَـمٌّ يـؤرّقُـني ... تَهْـدا العيـونُ إذا مـا أودتِ الحُـرَمُ

وقال أعشى سُلَيْم[5]: [متقارب]

نَـفـسِـي فِـداؤكَ مـن وافـدٍ ... إذا مـا البيـوتُ لبِسن الجليـدا
كـفيـتَ الـذي كنتُ أُرْجي لـه ... فصِـرتَ أباً لي وصـرتُ الـوليـدا

وقال أعشى هَمْدان[6] في خالد بن عَتّاب بن وَرْقاء: [طويل]

فـإن يـكُ عَـتّـابٌ مضـى لسبيـله ... فمـا مـات من يَبْقى لـه مثلُ خـالـدِ

---

(١) أجزع: أخشى، والعدم: الفقر. والحندس: الظلام وشدّته.
(٢) الوضم: كلّ شيءٍ يوضع عليه اللّحم من خشبٍ وغيره يوقّى به من الأرض.
(٣) الشقّة: القطعة، والوالهة: من الوله وهو ذهاب العقل والتحيّر من شدّة الوجد، وحرّى: ملتهبة.
(٤) يبدي وجهها العدم: أي يحملها الفقر على الاستجداء وإراقة ماء الوجه.
(٥) أعشى سُليم: هو أعشى طرود، وبني طرود من فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان وهم حلفاء بني سليم «راجع الشعر والشعراء ص ٩١٧».
(٦) أعشى همدان: واسمه عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث بن نظام بن جشم بن همدان. وهو شاعر محسن مقدّم «راجع الشعر والشعراء ص ١٤».

وفي الحديث المرفوع: «رِيحُ الولد من رِيح الجنّة». وقال رسول الله ﷺ لأحد ابنيْ بنته: «إنّكم لَتُجَبِّنون وإنكم لتُبَخِّلون وإنكم لمِنْ رَيْحانِ اللهِ».

وقالت أعرابية: [مجزوء الرّجز]

يا حبّذا رِيحُ الولَدْ رِيحُ الخُزامى بالبَلَدْ[1]

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال: هذا يدلّك على تفضيلهم الخُزَامى.

وكان يقال: إبنُكَ رَيحانُك سَبْعاً، وخادمك سبعاً، ثم عدوٌّ أو صديق.

مرّ أعرابيٌّ يَنشُدُ[2] ابناً له بقوم، فقالوا: صِفْه؛ فقال: دُنَيْنِيرٌ، قالوا: لم نَرَه؛ فلم يَلبث القومُ أن جاء على عُنُقه بجُعَلٍ[3]؛ فقالوا؛ ما وجدتَ ابنَك يا أعرابيّ؟ قال: نعم هو هذا؛ قالوا: لو سألتَ عن هذا لأخبرناك، ما زال منذُ اليوم بين أيدينا.

قال الشاعر في امرأة: [منسرح]

نِعمَ ضجيعُ الفتى إذا بَرد الـ ـليلُ سُحَيراً وقَرقَف الصَّرِدُ[4]
زيّنها اللهُ في العيون كما زُيِّن في عين والدٍ ولدُ

وفي الحديث: «من كان له صبيٌّ فَلْيَسْتَصبِ له».

وقال الزبير وهو يرقّص ابناً له: [رجز]

أبيض من آل أبي عَتِيقِ مباركٌ من ولد الصِّدّيقِ
أَلَذُّه كما أَلَذُّ رِيقي

---

(١) الخزامي: خيري البرّ، نبات طيبُ الرائحة متعدّد الألوان.
(٢) ينشُدُ: يطلب.
(٣) الجُعل: دويبة، أوزيزٌ أسود.
(٤) قرقف: أرعد من البرد، والصّرد: الرجل القويُّ على تحمُّل البرد.

وقال أعرابي: [سريع]

لـولا بُـنَـيّـاتٌ كـزُغْـبِ الـقَـطَا ... حُـطِطْن من بعضٍ إلـى بـعضِ[1]

لـكـانَ لـي مُـضْـطَرَبٌ واسـعٌ ... في الأرض ذاتِ الطُّولِ والعَـرْضِ

وإنّمـا أولادُنـا بـيـنَـنـا ... أكـبـادُنـا تـمـشِي عـلى الأرضِ

لـو هـبّتِ الـريـحُ عـلى بعضهم ... لامـتـنـعـتْ عـيـني مـن الـغَـمْضِ

أنـزلـني الـدهـرُ عـلى حكمـه ... مـن مَـرْقَـبٍ عـالٍ إلـى خَـفْضِ[2]

وآبـتـزّني الـدهـرُ ثـيـابَ الغِـنى ... فـليس لـي مـالٌ سـوى عِـرْضـي

قال بعض النّسّابين: إنما قيل: سَعْدُ العشيرة، لأنه كان يركب في عشرة من ولده، فكأنهم عشِيرة.

وقال ضِرار بن عمرو الضَّبيّ، وقد رُئي له ثلاثةَ عشرَ ذكراً قد بلغوا: من سَرّه بنوه سَاءَتْه نفسُه.

قال بِشرُ بن أبي حازم[3]: [طويل]

إذا مـا عُلُواً قـالـوا أبـونـا وأُمّنـا ... ولـيس لـهـم عَـالِيـنَ أمٌّ ولا أبُ[4]

وقال آخر: [بسيط]

أنـا ابنُ عمّـك إن نـابتـك نـائبـةٌ ... وليس منـك إذا مـا كَعْبُـك اعتـدلا[5]

وأنشدنا الرِّياشيّ: [سريع]

الـرِّحْـمَ بُـلَّهـا بـخـيـر الـبُـلاّنْ ... فـإنْ فـيهـا لـلدّيـارِ الـعُـمْـرانْ[6]

---

(١) كزغب القطا؛ أي كفراخ القطا، والقطا: طائرٌ يشبه الحمام.

(٢) المرقب: المكان العالي الذي يكشف للمتطلع منه ما عداه.

(٣) هو بِشرُ بن أبي خازم: عمرو بن عوف الأسدي. أبو نوفل شاعر جاهلي فحل.

(٤) عالين: حال من الضمير في «لهم».

(٥) اعتدل كعبُه: أي استقام حاله.

(٦) بلّ الرحم يبُلّها بلاًّ وبـلالاً: وصلها ونـدّاها، والبلاّن: قال ابن سيّـده «يجوز أن يكـون البُلاّن اسماً واحداً كالغفران والرجحان وأن يكون جمع بلل».

وأمـر الـمـال وبـنـت الـصّـغـرانْ وإنّمـا آشتُقّت من آسم الـرحمنْ[١]

وقالِ المَعْلُوطُ: [طويل]

ومَنْ يلقَ مـا ألقى وإن كـان سيِّـداً ويخشَ الذي أخشَى يَسِرْ سيرَ هارِبِ

مـخـافـةَ سلطانٍ عـليّ أظـنُّـه ورَهْطِي، وما عـاداك مثلُ الأقـارب[٢]

دخل عثمان بن عفّان على آبنته وهي عند عبد الله بن خـالد بن أَسِيد، فقـال: يا بنيَّـة: مـا لي أراكِ مهـزولـةً؟ لعـلّ بَعْلكِ يُغِيـركِ[٣]؛ فقـالت: لا، مـا يَغيرني؛ فقال لزوجها: لعلّكَ تُغيرها! قال: فأفعـل، فَلَغلامٌ يـزيده الله في بني أميّة أحبُّ إليّ منها.

قال النعمانُ بن بَشِير[٤]: [طويل]

وإني لأُعـطِي المالَ مَنْ ليس سـائلاً وأُدْرِكُ للمـولى المعـانِـدِ بـالـظلمِ

وإني متى مـا يَلْقَـني صـارمـاً لـه فمـا بيننا عنـد الشدائـد من صُرْمِ[٥]

فلا تَعْدُدِ المولى شريكَـك في الغِنى ولكنمـا شـريكُـك فـي العُـدْمِ[٦]

إذا مَتّ ذو القُـرْبى إليـك بِـرِحْمِهِ وغَشّـك واستغنى فليس بـذي رِحْمِ

ولكنّ ذا القـربى الـذي يستـخفّـه أذاك ومَنْ يـرمِي العدوَّ الـذي تَـرمِي

وقال بعضُ الشعراء: [وافر]

لـقـد زاد الـحـيـاةَ إلـيّ حـبّـاً بـنـاتـي أنّـهـن مـن الـضِّـعـافِ

(١) آمِر المال: كثْرة.
(٢) الرّهط: القبيل والجماعة.
(٣) يغيرك: أغار الرجل امرأته: أي تزوّج من أخرى فأحدث عندها الغيرة.
(٤) هو النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري. أبو عبد الله أمير خطيب. شاعر. من أجلاّء الصحابة. من أهل المدينة.
(٥) الصُرم: القطيعة.
(٦) المولى: العبد.

مخـافـةَ أن يَـرَيْن البؤس بعـدي وأن يشـرَبْن رَنْقـاً بعـد صـافِي[1]
وأن يَعْـرَيْن إن كُسِـيَ الجـوارِي فتنبـو العينُ عـن كَـرَمٍ عِجـافِ[2]

قيل لعليّ بن الحسين: أنت من أبرِّ الناس ولا نراك تؤاكِل أمَّك؛ قـال: أخاف أن تَسِيرَ يدي إلى ما قد سبقتْ عينُها إليه فأكونَ قد عَقَقْتُها.

قيل لعمرَ بن ذَرّ: كيف كان بِرّ آبنك بك؟ قـال: ما مشيتُ نهـاراً قط إلا مشى خلفي، ولا ليلاً إلا مشى أمامي، ولا رَقِيَ سطلحاً وأنا تحته.

حـدّثني محمد بن عُبَيـد عن معاويـة بن عمرو عن زائـدة عن عَـطَاء بن السائب عن عثمان بن أبي العاص قال: كنت عند عمر فأتاه رجل فأنشده:

[وافر]

تـركـتَ أبـاكَ مُـرْعـشـةً يـداه وأُمَّـك مـا تُسِيـغ لهـا شـرابـاً[3]
إذا غَـنَّـتْ حـمـامـةُ بـطنِ وَجٍّ على بَيْضـاتهـا ذكـرتْ كِـلابـاً[4]

فقـال عمر: ممّ ذاك؟ قـال: هاجـر إلى الشام وتـرك أبوين لـه كبيـرين، فبكى عمر وكتب إلى يزيدَ بن أبي سفيان في أن يُرَحِّله، فقدِم عليه، فقال: بَرّ أبويك وكن معهما حتى يموتـا. قال أبـو اليقظان: مُـرَبَّعة كِـلاب بالبصـرة إليه تنسب، والعوامّ تقول مُرَبّعة الكلاب.

---

(١) الرَنق: الكدر.
(٢) كرم: أي كريمات، والعجاف: الهزال.
(٣) ساغ الشّراب: صفا وسهُب إدخاله.
(٤) بطن وجّ: وجّ: موضعٌ بالبـادية، وقيـل: هي بلدٌ بالـطائف، وقيل: هي الـطائف وبطن وج: كنايةٌ عن وادٍ بها.

قال أبو عليّ الضَّرير[١]: [متقارب]

أتيتك جذلانَ مستبشراً — لبُشراك لما أتاني الخبرْ
أتاني البشيرُ بأن قد رُزِقْتَ — غلاماً فأبهجني ما ذَكَرْ
وأنّك، والرشدُ فيما فعلـ — ـتَ، أسميتَه باسم خيرِ البشرْ
وطهَّرتَه يوم أسبوعه — ومن قبلُ في الذِّكْر ما قد طَهُرْ[٢]
فعمّرك الله حتى ترا — ه قد قارَب الخَطْوَ منه الكِبَرْ
وحتى ترى حولَه من بَنِيه — وإخوتِه وبنيهم زُمَرْ[٣]
وحتى يروم الأمورَ الجِسامَ — ويُرْجَى لنفعٍ ويُخْشَى لضَرّ
وأوزعك اللهُ شكرَ العطاء — فإن المزيد لعبدٍ شَكَرْ[٤]
وصلّى على السَّلَفِ الصالحيـ — ـن منكم وبارَك فيمن غبَرْ[٥]

وهذا قد وقع في باب التهانىء أيضاً.

قال المأمون: لم أر أحداً أبرَّ من الفضل بن يحيى بأبيه، بلغ من بِرّه به أن يحيى كان لا يتوضّأ إلا بماء مسخَّن وهما في السجن، فمنعهما السجّان من إدخال الحطب في ليلة باردة، فقام الفضل حين أخذ يحيى مَضْجَعه إلى قُمْقُم[٦] كان يُسَخَّن فيه الماءُ، فملأه ثم أدناه من منار المصباح، فلم يزل قائماً وهو في يده حتى أصبح.

---

(١) أبو علي الضّرير: اسمه الفضل بن جعفر بن يونس، أصله من الأنبار في فارس كان ضريراً وشاعراً مفلّقاً، ولقّب بالبصير على العادة في التفاؤل، عاش في الكوفة.

(٢) طهّرهُ: ختنه، وفي الذّكر: في القرآن، وهو يشير إلى قوله تعالى ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيرا﴾ وما هنا زائدة.

(٣) الزمر: الجماعات.

(٤) أوزعك: ألهمك.

(٥) غبر: بقي منهم، وتستعمل كذلك بمعنى مضى وذهب.

(٦) القمقم: إناءٌ من نحاس.

رقّص أعرابيٌّ ابنه وقال: [رجز]

أُحِبّــه حــبَّ الـشَّـحـيـحِ مـا لَـهْ قــد كــان ذاق الـفـقــرَ ثـم نــالــهْ

إذا يُــريــد بَــذْلَــه بــدا لــهْ

دخل عمرو بن العاص على معاوية وعنده آبنته عائشة، فقال: من هـذه يا أمير المؤمنين؟ فقال: هذه تُفّاحة القلب؛ فقال: آنبِذها عنك[1]؛ قال: ولم؟ قال: لأنهنّ يَلِدْن الأعداء، ويُقَرِّبْن البُعَداء، ويُـورِثْن الضغائن؛ فقـال: لا تقُلْ ذاك يا عمرو، فوالله ما مرّض المرضى ولا نَدَب الموتى ولا أعان على الأحزان مثلُهن، وإنك لواجدٌ خالا قد نفعه بنـو أُخته؛ فقـال له عمـرو: ما أعلمُـك إلا حَبّبْتَهنّ إليّ.

الاعتذار

كان يقال: الاعتراف يَهْدِم الاقتراف.

كتب بعض الكتّـاب إلى بعض العمال: لـو قـابلتْ حقّـك عليّ بمتقـدَّم المودّة ومُؤَكَّد الحُـرْمة إلى مـا جدّده الله لـك بالسلطان والـوِلاية، لم أرْضَ في قضائه بالكِتاب دون تَجَشُّم الرِّحلة ومَعاناة السفر إليك، لا سيما مع قُرْب الدار منك؛ غير أن الشغل بما ألفيتُ عليه أموري من الانتشار وعلائق الخـراج وغيرِ ذلـك مما لا خِيـار معه، أحلّني في الـظاهر محـلَّ المُقَصّـرين؛ وإن وهب الله فُـرْجـةً من الشغـل وسهّـل سبيـلاً إليـك، لم أتخلّف عمّــا لي فيـه الحظّ من مجاورتك والتنسّم بريحك والتيمُّن بالنظر إليك، غادياً ورائحاً عليـك، إن شاء الله تعالى.

كتب ابن الجهم[2] إلى نَجاح من الحبس: [منسرح]

---

(١) أنبذها عنك: أي أبعدها جانباً.

(٢) هو علي بن الجهم الشاعر العباسي المعروف.

إن تَعْفُ عن عبدك المسيءِ ففي فضلِك مأوىً للصَّفْح والمِنَنِ
أتيتُ ما أستحقُّ من خطأً فعُدْ لما تستحقّ من حَسَنِ

وكتب الحسن بن وهب[1] : [سريع]

ما أحسنَ العفوَ من القادِر لا سيّما عن غير ذي ناصرِ
إن كان لي ذنبٌ، ولا ذنبَ لي، فما له غيرَك من غافرِ
أعوذ بالودّ الذي بيننا أن يُفْسدَ الأوّلُ بالآخرِ

كتب رجلٌ إلى جعفر بن يحيى يستبطئه، فوقَّع في ظهر كتابه: أحتجّ عليك بغالب القضاء، وأعتذر إليك بصادق النيّة.

قال بعض الشعراء: [متقارب]

وتعذِر نفسَك إمّا أساءت وغيرَك بالعُذرِ لا تعذِر
وتُبْصِر في العين منه القذى وفي عينك الجِذع لا تُبْصِر[2]

وقال بعض الشعراء: [كامل]

يا ذا المُمَيِّزُ للإخاء ولِلـ ـإخوانِ في التفضيل والقَدْرِ
لا يَقْبِضنَّك عن معاشرتي بالأُنس أن قَصّرتَ في بِرّي
إني إذا ضاق آمرؤ بجَداً عنّي آستعنتُ عليه بالعذرِ[3]

وفي الحديث المرفوع: «من لم يَقْبَل من معتذرٍ صادِقاً كان أو كاذبا لم يَرِدْ عليّ الحوض. وفيه: أقِيلوا ذوِي الهَنَاتِ عَثَراتِهم»[4].

(١) هو الحسن بن وهب بن سعيد بن عمرو بن حصين الحارثي أبو علي، كاتب من الشعراء، كان معاصراً لأبي تمام وله معه أخبار، وكان وجيهاً.
(٢) القذي: ما يقع في العين من أذىً، والجذع: أصل الشجر كجذع النخلة وغيرها.
(٣) الجدا: العطيّة.
(٤) الهنات: الحاجات والأشياء، والعثرات: الزلّات.

اعتذر رجل إلى أبي عبيد الله الكاتب فقال: ما رأيتُ عذراً أشبه بأستئنافِ ذنبٍ من عُذْرك.

وكان يقال: أعجلُ الذنوبِ عقوبةً العذرُ، واليمينُ الفاجرةُ، وردُّ التائب وهو يسأل العفو خائباً.

وقال مُطَرِّف[1]: المَعَاذِرُ مَكَاذِبُ[2].

اعتذر رجل إلى إبراهيم[3] فقال له: قد عذرتُك غير معتذرٍ، إن المعاذير يشوبُها الكذب.

ويقال. ما اعتذر مذنبٌ إلا ازداد ذَنْباً.

وقال الشاعر: [مجزوء الكامل المرفّل]

لا تَرْجُ رجعةَ مذنبٍ ... خلطَ آحتجاجاً باعتذارِ

اعتذر رجل إلى سَلْم بن قتيبة[4]، فقبل منه وقال: لا يدعونّك أمر تخلّصتَ منه إلى أمر لعلك لا تتخلص منه.

وقال الشاعر: [طويل]

فلا تَعْذِراني في الإساءة إنّه ... شِرارُ الرجال مَنْ يُسيءُ فَيُعْذَرُ

وقال ابن الطّثَرِيّة: [طويل]

هَبيني امرأً إمّا بريئاً ظلمتِه ... وإما مُسِيئاً تاب بعدُ وأعْتَبَا[5]

---

(١) هو مُطَرِّف بن عبد الله بن الشخير أحد بني وقدان بن الحريش بن صعصعة. راجع «الشعر والشعراء ص ٣٨٩».

(٢) المعاذر: جمع عذر، ومكاذب: جمع الكذب.

(٣) هو إبراهيم النخعي.

(٤) سلْم بن قتيبة بن مسلم الباهلي الخراساني. أبو عبد الله. والي البصرة أيام أبو جعفر المنصور.

(٥) أعتب: من العتاب.

وكـنتُ كـذي داءٍ تَـبَـغّـى لـدائـه طبيبـاً فلمـا لم يجـدْه تَـطَبّبـا[١]

كتب بعض الكتّاب معتـذراً : توهّمت، أعـزك الله، نَفْرتَـك عند نـظرتك إلى عنوان كتابي هذا باسمي، لما تضمَّنته من السَّخيمة[٢] عليّ، فأخليتُـه منه؛ وانتظرت باستعطافك من طويّتك فيّ عـاقبةَ آمتـدادِ العهد، وأمِنتُ آضـطغانَـك لنفي الـدّينِ الحقـد، واختصـرتُ من الاحتجـاج المنتسِب إلى الإصـرار، والاعتـذارِ المتعاوَدِ بين النُّـظَراء، والإقرار المثَبِّت لـلأقدام، الاستسلامَ لك. على أنك إن حرمتَني رِضاك آتّسعتُ بعفوك، وإن أَعْدَمنِيهما تَوَغُّر صدرك[٣] لم تَضِقْ من الرّقة عليّ من مُصيبة الحِرْمـان؛ وإن قسوتَ رجعتْ بـك عواطفُ من أياديك عندي نازعةٌ[٤] بك إلى آستمـامها لـديّ. ومن حدود فضـائل الـرؤساء مقابلةُ سُوء من خوّلوا بالإحسان. ولا نعمةَ على مُجْرَم إليـه أجزلُ من الـظفر، ولا عقـوبة لمجـرمٍ أبلغُ من الندم؛ وقـد ظفِرتَ ونـدمتُ. كتبتُ وأنا على مـا تُحِبّ بِشْراً إن تغمّدت زَلّتي، وكما تُحب ضرّاً إن تـركتَ إقالتي[٥]، وبخيـرٍ في كلتا الحالتين ما بَقِيتَ.

وكتبتُ في كتاب اعتذار واستعطاف : وكم عسى أن يكون تماديك في عَتْبك؛ لولا أني مضطرٌّ إلى وصلك وأنت مطبوع على هجري. لقد آستحييتُ وآستحييتَ من ذُليّ وعِزّك، وخَفْضي جَناحي ونأْي بجانبك.

وفي كتاب آخر: قد أودعني الله من نِعَمك ما بَسَطني في القول مُدِلاًّ بـه

(١) تبغّي : أي أبتغى وطلب، والداء: المـرض.
(٢) السَّخيمـة : الضغينة والحقد.
(٣) توغر الصدر: امتلاؤه بالغضب والضيق.
(٤) النازعة: المائلة.
(٥) الإقالة: الإعانة والمعروف.

عليـك، ووَكّد من حُـرْمتي بك مـا شفَع لي في الـذنـوب إليـك، وأعْلَقني من أسبابك مـا لا أخاف معـه نَبوات الـزمان عليّ فيـك، وأمّنتني بحلمك وأنـاتك بادرةَ غضبك؛ فأقدمتُ ثقةً بإقالتك إن عَثرتُ، وبتقويمـك إن زُغْتُ. وبأخـذك بالفضل إن زَلَلتُ.

وفي كتاب اعتذار: أنا عليلٌ منذ فارقتُك؛ فإن تجمـعْ عليّ العلّةَ وعتبكَ أفْـدَح[١]. على أن ألم الشوق قـد بلغ بك في عقـوبتي؛ وحضرني هـذا البيتُ على ارتجالٍ فوصلتُ به قولي: [طويل]

لـك الـحقُّ إن تَـعْتِـبْ عليَّ لأنّـني جَفَـوتُ وإمّـا تَغْتفِـرْ فلك الفضـلُ

أنهيتُ عذري لأنتهيَ إلى تَفَضُّلك بقبوله[٢] وإن قبولك[٣] يَمْحُ إفراطي في البرّ بك تفريطي فيه، وإلى ذلك ما أسألك تعريفي خيرَك لأُراحَ إليه، وأستـزيدُ اللهَ في أجره[٤] لك.

وفي فصل آخر:

أنـا المُقِـرّ بقصـوري عن حقّـك، واستحقـاقي جفـاءَك؛ وبفضلك من عَذْلك أعوذ، فوالله لئن تأخّر كتابي عنك، ما أستزيد نفسي في شكر مـودّتك، ولـطيف عنايتـك. وكيف يَسْلاكَ أو ينسـاك أخٌ مُغْـرمٌ بـك يـراك زِينـةَ مَشْهـده ومَغِيبه!: [بسيط]

(١) أفدح: ابهظ وأثقل.
(٢) من هنـا إلى اخر هـذا الكتاب غيـر واضح في الأصـل وقد أثبتنـا مـا يمكن أن يكـون مقـاربـاً للصحة.
(٣) في الأصل أبلُك.
(٤) في الأصل أسره.

وكيف أنساك لا أيديك واحدةٌ عندي ولا بالذي أوليتَ من نِعَمِ[١]

وفي آخر الكتاب: [وافر]

إذا اعتذر الصّديقُ إليك يوماً من التقصير عذرَ أخٍ مُقِرٍّ
فَصُنْه عن عتابك واعفُ عنه فإن الصفح شيمةُ كلِّ حرٍّ

وقال الخليل بن أحمد: [بسيط]

لو كنتَ تعلم ما أقول عذرتَني أو كنتُ أجهل ما تقول عَذَلتُكا
لكن جَهِلتَ مقالتي فعذلتَني وعلمتُ أنّك جاهلٌ فعَذرتُكا

قيل لبُزُرْجِمهر: ما بالُكم لا تُعاتِبون الجَهَلَةَ، قال: لأنا لا نريد من العُمْيان أن يُبْصِروا.

وقال ابن الدُّمَيْنة[٢]: [طويل]

بنفسي وأهلي مَنْ إذا عرَضُوا له ببعض الأذى لم يَدْرِ كيف يُجيب
ولم يعتذِرْ عذرَ البريء ولم تزل به ضَعْفةٌ حتى يقالَ مُريبُ[٣]

وكتب رجلٌ إلى صديق له يعتذر: أنا من لا يُحاجُّك عن نفسه، ولا يُغالِطك عن جُرْمه، ولا يلتمس رضاك إلّا من جِهته، ولا يستعطفك إلّا بالإقرار بالذنب، ولا يستمليك إلّا بالاعتراف بالزَّلّة.

وقرأت في كتابٍ: لستُ أدري بأيّ استجزتَ تصديقَ ظنّك حتى أنفذتَ عليّ به حكم قَطيعتِك، فوالله ما صَدَق عليّ ولا كاد، ولا استجزتُ ما توهّمتَه

(١) أوليت من نعم: قدّمت من خير وعطاء، والمعنى أنّ أياديك وأفضالك كثيرة لا يمكن أن تنسى لديّ.
(٢) ابن الدُّمينة: هو عبد الله بن عبيد الله بن أحمد من بني عامر بن تيم الله من خثعم، أبو السّري، والدمينة أمّة، شاعر بدويٌّ من أرقّ الناس شعراً.
(٣) الضعفة: السكوت عن ردّ الأذى.

فيمن لا يلزمني حقَّه. وأُعيذك بالله من بِدارٍ[1] إلى حكم يُوجب الاعتذار، فإنّ الأناةَ[2] سبيلُ أهل التّقى والنُّهى؛ والظنُّ والإسراعُ إلى ذوي الإخاء يُنتجان الجفاءَ، ويُميلان عن الوَفاءِ إلى اللَّفاء[3].

قال إسماعيل بن عبد الله وهو يعتذر إلى رجل في آخر يوم من شعبانَ: والله فإنّي في غُبَّر[4] يومٍ عظيم، وتلقاءَ ليلة تَفْتَرُّ[5] عن أيامٍ عظامٍ، ما كان ما بلغك.

وقرأتُ في كتاب معتذرٍ: إنك تُحْسِن مجاورتَك للنعمة، واستدامتَك لها، واجتلابَك ما بَعُد منها بشكر ما قَرُب، واستعمالَك الصفحَ لِما في عاقبتِه من جميل عادة الله عندك؛ ستقبَلُ العذر على معرفةٍ منك بشناعة الذنب، وتُقِيل العثرةَ[6] وإن لم تكن على يقين من صدق النيّة، وتدفع السيئةَ بالتي هي أحسن.

اعتذر رجلٌ إلى جعفر بن يحيى البرمكي، فقال له جعفر: قد أغناك الله بالعذر منّا عن الاعتذار، وأغنانا بالمودّة لك عن سوء الظن بك.

وقال بعض الشعراء: [طويل]

إذا ما امرؤٌ من ذنبه جاء تائباً إليك فلم تَغْفِر له فلك الذنبُ

كان الحسن بن زيد بن الحسن والياً للمنصور على المدينة، فهجاه وَرْدُ

---

(١) البدار: المسارعة.

(٢) الأناة: الصبر والتمُّهل والحلم.

(٣) اللفاء: اليسير الحقير، يقال: رضي فلان من الوفاء باللفاء، أي رضي من حقّه الوافي بالقليل.

(٤) غبرّ يوم: بواقيه، أي ما بقي منه.

(٥) تفترّ: تكشف وتظهر.

(٦) تقيل العثرة: تصلح الزلّة.

ابن عاصم المُبَرْسَم فقال: [وافر]

لـه حـقٌ وليس عـليـه حـقٌ ومهمـا قـال فـالحَسَنُ الجميـلُ
وقـد كان الـرسـول يَـرى حقـوقـاً عليـه لأهلهـا وهـو الـرسـولُ

فطلبه الحسن فهرب منه، ثم لم يشعر إلا وهو ماثلٌ بين يديه يقول:

[وافر]

سيأتي عُـذْرِيَ الحسنَ بن زيـدٍ وتَـشْهَـدُ لـي بِصـفِّيـنَ القبـورُ
قبـورٌ لـو بـأحـمـدَ أو عـليٍّ يلوذ مُجيـرهـا حُفِظ المُجِيـرُ
همـا أبَـوَاك مَنْ وَضَعـا تَضَعْـه وأنتَ بـرفـع مـا رفَعـا جـديـرُ

فاسخفّ الحسنَ كرمُه، فقام إليه فبسط له رداءَه وأجلسه عليه.

وفي كتابٍ لمعتذرٍ: عُلُوّ الـرُّتبة واتّسـاعُ القدرة وانبسـاطُ اليد بـالسَّطْوة، ربما أنْسَتْ ذا الحَنَق المُحْفَظَ[1] من الأحرار فضيلةَ العفو وعائدةَ الصَّفْح وما في إقالة المذنب واستبقائه من حسن السماع وجَميل الأُحدوثة، فبعثْته على شِفـاء غَيْظه، وحرَّكتْه، على تبريد غُلّته، وأسرعتْ به إلى مُجَـانبة طِبـاعه وركـوبِ ما ليس من عادته. وهِمّتك تَجِلّ عن دناءة الحِقد، وترتفع عن لؤم الظَّفَر.

وفي فصـل: نَبَتْ[2] بي عنك غِـرّة الحَـدَاثـة[3] فـردّتْني إليـك الحُنْكَـة، وباعدتْني عنك الثقةُ بـالأيام فـأدنتْني إليك الضـرورةُ، ثقةً بـإسراعـك إليّ وإن كنتُ أبطأتُ منك، وقبولِك العـذرَ وإن كانت ذنـوبي قد سَـدّت عليك مسـالكَ الصَّفْح؛ فأيُّ موقفٍ هو أدنى من هذا الموقف لولا أن المخاطبةَ فيه لـك! وأيُّ خُطّةٍ هي أودَى بصاحبها من خُطّةٍ أنا راكبُها لولا أنها في رِضالك!.

أوقع[4] الحجّاج يوماً بخالد بن يزيدَ يعيبه وينتقِصُه وعنده عمرو بن عُتْبـة:

---

(١) المُحفظ: الواجد والحاقد. (٢) نبت: أبعدت وفرّقت.
(٣) غرّة الحداثة: طيش الشباب. (٤) أوقع فيه: أي ذكره واغتابه.

فقال عمرو: إن خالداً أدرك مَنْ قبلَه وأتعب مَن بعده بقديم غلَب عليه وحديثٍ لم يُسْبق إليه؛ فقال الحجّاج معتذراً: يابن عُتْبة، إنا لنَسترضِيكم بأنْ نَغْضَب عليكم، ونستعطِفُكم بأن ننال منكم، وقد غلَبتم على الحلم، فوثقنا لكم به، وعلِمنا أنكم تحبون أن تحلُمُوا، فتعرّضْنا للذي تحبّون.

قال المنصور لرجل أتاه نائباً معتذِراً من ذنب: عهدِي بك خطيباً فما هذا السكوت! فقال: يا أمير المؤمنين؛ لسنا وفدَ مُبَاهاة[١] وإنما نحن وفد توبةٍ، والتوبةُ تُتَلقَّى بالاستكانة[٢].

وقع بين أبي مسلم وبين قائد له كلام، فأرْبَى[٣] عليه القائد إلى أن قال له: يا لَقيط! فأطرق أبو مسلم، فلما سكتتْ عنه فَوْرةُ الغضبِ نَدِم وعلم أنه قد أخطأ واعتذر وقال: أيها الأمير، والله ما انبسطتُ حتى بسطتَني ولا نطقتُ حتى أنطقتَني فاغفر لي؛ قال: قد فعلتُ؛ فقال: إني أُحبّ أن أستوثِقَ لنفسي؛ فقال أبو مسلم: سبحان الله! كنتَ تُسِيء وأُحسِن، فلما أحسنت أُسِي!.

قال الطّائي: [طويل]

وكم ناكثٍ للعهدِ قد نَكثتْ به ... أمانِيهِ واستخذَى بحقّك باطلُهْ[٤]

فحاطَ له الإقرارُ بالذنب روحَه ... وجثمانَه إذ لم تَحُطْه قبائلُهْ[٥]

---

(١) المباهاة: المفاخرة.

(٢) الاستكانة: السكون والدّعة.

(٣) أربى عليه: تهجّم وافتخر محتدّاً.

(٤) استخذى: استحوذ عليه.

(٥) حاط له: أي حفظه وحماه.

وقال آخر: [منسرح]

حتى متى لا تَزال معتذِراً من زلّةٍ منك ما تُجانِبُها
لا تتّقي عيبَها عليكَ ولا ينهاك عن مثلِها عواقِبُها
لَتَركُكَ الذنبَ لا تقارِفه أيسرُ من توبةٍ تقارِفُها(١)

قال أعرابيٌّ لابن عمٍّ له: سأتخطى ذنبَك إلى عذرِك، وإن كنتُ من أحدهما على يقين ومن الآخر على شك؛ ليتمَّ المعروفُ منّي إليك، ولتقوم الحجّةُ منّي عليك.

عَتْبُ الإخوان والتباغُض والعداوةُ

حدّثني الزِّياديّ قال حدّثنا عبد الوارث عن يزيدَ بن القاسم عن مَعَاذة أنها سمعت هشامَ بن عامر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يَحِلّ لمُسلم أن يُصارِم(٢) مسلماً فوقَ ثلاثٍ، وأيّهما فعل فإنهما ناكِثان(٣) عن الحقّ ما داما على صُرْمهما وإن ماتا لم يَدْخُلا الجنة».

قال بعض الشعراء: [بسيط]

سَنّ الضّغائنَ آباءٌ لنا سلَفوا فلن تَبِيدَ وللآباء أبناءُ

هذا مثل قول أبي بكر الصّدّيق رضي الله عنه: العداوةُ تُتوارثُ.

وقرأتُ في كتاب للهند: إذا كانت المَوْجِدة عن علّة كان الرضا مرجوّاً، وإذا كانت عن غير علة كان الرضا معدوماً. ومن العجب أن يطلب الرجلُ رضا أخيه فلا يَرْضى، وأعجبُ من ذلك أن يُسْخِطَه عليه طلبُه رضاه.

---

(١) المقارفة: الإرتكاب للذنب.

(٢) أن يصارم: أن يقاطع ويجفو.

(٣) الناكث: المبتعد والناقض.

قال بعض المحدَثين: [متقارب]

فــلا تَلْهُ عــن كــسـب وُدّ الــعــدوِّ ولا تــجــعــلنّ صــديــقــاً عــدوّا
ولا تَــغْــتـِرِرْ بــهُــدُوِّ امــرئٍ إذا هِــيــج فــارق ذاكَ الــهــدوّا

وقال آخر: [من مجزوء الكامل المرفّل]

احــذَرْ مــودَّة مــا ذِقٍ شــابَ المـرارةَ بــالحـلاوه[1]
يُحصِي العيــوبَ عليــك أيـ ـام الــصــداقــةِ والــعــداوه

وقال أبو الأسود الدُّؤليّ: [طويل]

إذا المرءُ ذو القربى وذو الضِّغنْ أجحفت بــه سَنَةٌ حَلّتْ مصيبتُــه حِقْــدِي[2]

وقال محمد بن أبان اللاّحِقي[3] لأخيه إسماعيلَ: [وافر]

تلومُ على الــقــطيعــة مَن أتــاهــا وأنــت سَنَنْتَهــا في الــنــاس قَبْــلِي

وقال آخر: [طويل]

ورُوّعتُ حتى مــا أراعُ من الــنّــوى وإن بــان جِــيــرانٌ عــليّ كِــرامُ
فقد جعلتْ نفسي على اليأس تنطوِي وعَيْني على هجــر الصــديـق تنــامُ

قال أحمدُ بن يوسف[4] الكاتب: [خفيف]

مــا عــلى ذا كــنّــا افترقْنا بسندا دَولاً بــيــنــنــا عــقــدْنــا الإخــاءَ[5]

(١) الماذق: الذي يشوب الودّ بكدر ولا يخلصه.
(٢) أجحفت به سنة: أي ذهبت به.
(٣) هو محمد بن أبان اللاحقي البلخي أبو بكر من حفّاظ الحديث له تصانيف في الحديث. توفي ببلخ.
(٤) أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح العجلي بالولاء، المعروف بالكاتب، وزير من كبار الكتاب من أهل الكوفة وفي ديوان الرسائل للمأمون.
(٥) سنداد: اسم موضع.

نطعنُ الناسَ بالمُثَقَّفةِ السُّمـ ـرِ على غَدْرِهم وننسى الوفاءَ[١]

قيل لأفلاطون: بماذا ينتقم الإنسانُ من عدوّه؟ قال: بأن يزداد فضلاً في نفسه.

وكان يقال: احذَرْ معاداة الذليل، فربما شَرِق[٢] بالذّباب العزيزُ.

كتب رجل من الكتّاب إلى صديقٍ له تجنّى عليه: [متقارب]

عَتَبْتَ عليّ ولا ذنبَ لي بما الذنبُ فيه ولا شكّ لَكْ
وحاذرتَ لَوْمي فبادرتَني إلى اللوم من قبل أن أبْدُرَكْ
فكنّا كما قيل فيما مضى خُذِ اللّصَّ من قبل أن يأخُذَكْ

وقال آخر: [طويل]

رأيتُك لمّا نِلتَ مالاً، ومَسّنا زمانٌ ترى في حدّ أنيابه شَغْبا[٣]
جعلتَ لنا ذنباً لتمنَعَ نائلاً فأمْسِكْ ولا تجعل غِناك لنا ذنبا

وقال آخر: [طويل]

تُريدين أن أرضَى.وأنتِ بخيلةٌ ومَنْ ذا الذي يُرضِي الأخِلّاءَ بالبخلِ
وجَدِّكِ لا يَرْضى إذا كان عاتباً خليلُك إلّا بالمودّةِ والبَذْلِ
متى تجمعِي مَنّاً كثيراً ونائلاً قليلاً يُقطِّعْ ذاك باقيةَ الوصلِ

كتب رجل إلى صديقٍ له: [طويل]

(١) المثقفة السمر: أي الرماح.
(٢) شرق: غصّ.
(٣) الشغب: تهييج السُدّ.

لئن ساءني أن نِلتني بمَساءةٍ لقد سرّني أنّي خطرتُ ببالكِ[1]

وقال آخر: [بسيط]

إذا رأيتُ ازوِراراً من أخي ثِقةٍ ضاقتْ عليّ برُحْبِ الأرض أوطاني

فإن صددتُ بوجهي كي أُكافئه فالعين غَضْبَى وقلبي غيرُ غضبان

وقال إبراهيمُ بن العباس[2]: [بسيط]

وقد غضِبتُ فما بالَيْتُمُ غضبِي حتى انصرفتُ بقلبٍ ساخطٍ راضِي

وقال زُهَيْرٌ[3]: [وافر]

وما يك في عدوٍّ أو صديقٍ تُخبِّرْك العيونُ عن القلوبِ

وقال دُرَيد[4]: [وافر]

وما تَخْفَى الضغينةُ حيث كانت ولا النظرُ الصحيحُ من السقيمِ

وقال ابن أبي خازم: [من مجزوء الخفيف]

خُذْ من الدهر ما كَفى ومن العيش ما صفا

لا تُلِحّنّ بالبكا ءعلى منزلٍ عفا[5]

خَلِّ عنك العتاب إن خان ذو الوُدّ أو هفا

عينُ من لا يُحِبّ وصـ ـلَك تُبدي لك الجفا

وقال أعرابيّ يذكر أعداءً: [بسيط]

---

(١) خطرت ببالك: أي افتكرتني بعد نسيان.

(٢) إبراهيم بن العباس بن محمدّ بن صول ترجم له في الصفحة ٧٤.

(٣) هو زهير بن أبي سلمة الشاعر الجاهلي المعروف.

(٤) هو دريد بن الصمّة بن الحارث من هوازن، الفارس المشهور، والشاعر المذكور «راجع معجم الشعراء ص ١١٤».

(٥) عفا: درس ودثر.

يُـزَمِّـلون جَنِين الـضِّغـنِ بـيـنـهـم والضِّغنُ أَشْـوهُ أوْ في وجهـه كَلَفُ[١]
إن كـاتَمـونـا القِلَى نمّت عيـونُهم والعينُ تُظْهِر ما في القلب أو تَصِفُ[٢]

وقال ابنُ أبي أميّة[٣]: [سريع]
كم فَـرْحـةٍ كـانت وكم تَـرْحـةٍ تخـرَّصَتْهـا لِيَ فيـكَ الـظنـونْ[٤]
إذا قـلوبٌ أظـهـرت غـيـرَ مـا تُضْمـره أنْبَتـك عنهـا العيـونْ

وقال آخر: [هزج]
أمـا تُـبْـصِـرُ فـي عَـيْـنَـيَّ عُـنـوانَ الـذي أُبـدي

وقال آخر: [طويل]
ومـولىً كـأنّ الشمس بيني وبـينـه إذا مـا ٱلتقينـا ليس ممّن أُعـاتِبُـهْ

يقول: لا أقدِر أن أنظر إليه، فكأن الشمس بيني وبينه. ومثلُه: [وافر]
إذا أَبْـصَـرْتَنـي أعـرضتَ عـنّي كـأنّ الشمس من قِبَلِي تـدورُ

وقال النَّمِر بن تَوْلَب في الإعراض[٥]: [طويل]
فصدّتْ كأنّ الشمس تحت قِنَاعِها بَدا حاجِبٌ منها وضَنّتْ بحاجِبِ

أخذه أبو نواس فقال: [سريع]
يـا قـمـراً للنِّصفِ مـن شَهْـرِهِ أبـدى ضِيـاءً لـثـمـانٍ بَقِيـنْ

(١) يُزَمِّلون: يخفون ويسترون، والأسوة: الذي فيه تشويه ونقص، والكلف: شيء يعلو الوجه كالسمسم يعرف بالنّمش.
(٢) القِلى: البغض، ونمَّت: أظهرت وأبانت.
(٣) ابن أبي أمية: واسمه محمد بن علي بن أميّة بن أبي أميّة الكاتب، وكتبه أبو حشيشة، وصفه مخارق للمأمون وغنّاه ومدح المتوكل، وكثيراً من الخلفاء العباسيين.
(٤) تخرّصتها: ابتدعتها كذباً.
(٥) الإعراض: الصدّ.

يريد أنه أعرض بوجهه فبدا له نصفُه.

وقال آخر في الضغينة: [طويل]

وفينا وإن قيل اصطلحنا تَضَاغُنٌ كما طَرّ أوبارُ الجِرابِ على النَّشْرِ[1]

وقال آخر في نحوه[2]: [طويل]

وقد ينبُتُ المرعَى على دِمَنِ الثَّرَى وتبقَى حَزَازاتُ النفوسِ كما هِيَا[3]

وقال الأخطل: [بسيط]

إنّ الضغينةَ تَلقاها وإن قَدُمتْ كالعُرِّ يكمُنُ حيناً ثم ينتشرُ[4]

شُمْسُ العَداوةِ حتى يُستقادَ لهم وأعظَمُ الناسِ أحلاماً إذا قَدَروا[5]

وقرأتُ في كتابٍ للهند: ليس بين عداوةِ الجوهريّة صلحٌ إلا ريثَما ينتكثُ، كالماء إن أُطيل إسخانُه فإنه لا يَمتنع من إطفاء النار إذا صُبّ عليها.

قال سعد بن أبي وقّاص لعَمّار بن ياسِر: إن كنا لنَعُدُّك من أكابر أصحاب محمد ﷺ، حتى إذا لم يبق من عمر إلا ظِمْءُ[6] الحمار فعلتَ

---

(١) طرّ: طلع ونبتَ والنشر: الكلأ بهيج أعلاهُ وأسفله نديٌّ أخضر، تذقيء منه الابل «يكثر وبرها وشحمها» إذا رعته كذا ذكره صاحب اللسان في مادة «نشر» وقد ساق هذا البيت في أبيات لعمير بن حباب وقال في تفسيره: يقول: ظاهرنا في الصلح حسنٌ في مرآة العين، وباطننا فاسدٌ كما تحسن أوبار الجربى على أكل النّشر وتحتها داء منه في أجوافها».

(٢) هذا البيت «لزفر بن حارث الكلابي» كما جاء في مروج الذهب ج ٣ ص ٧٩ ط بيروت».

(٣) الدّمن: جمع دمنة وهي آثار الناس وما سوّدوا، أي أن المَرْعَى قد بنيت في هذه المواضع ويعفيها إلاّ أن الذي في النفس من الكراهية وغيرها يبقى فيها ولا يمكن أن تمحوه بعض المظاهر الخارجيّة.

(٤) العرّ: الجرب.

(٥) شمسُ العداوة: أي عداوتهم في قوّة وعناد ويستقاد لهم: يخضع وينقاد.

(٦) ظمءالحمار: يقال ما بقي إلاّ ظمءالحمار، أي لم يبقى من عمره إلاّ اليسير، لأنه يقال: إنّه ليس من الدواب أقصر ظمأ من الحمار وهو أقل الدواب صبراً على العطش يرد الماء كلّ يوم في الصيف مرّتين.

وفعلتَ؛ قال: أيُّما أحبُّ إليك: مودّةٌ على دَخَلٍ[١] أو مُصارمةٌ جميلة؟ قال: مصارمةٌ جميلةٌ؛ قال: لله عليّ ألّا أُكلّمكَ أبداً.

وقال بعضُ الشعراء في صديقٍ له تغيّر: [منسرح]

إحْوَلَّ عنِّي وكانَ ينظر من عيْني ويَرمي بساعدي ويَدي[٢].

وقال المُثَقَّب العَبْدي[٣]: [وافر]

ولا تَعدِي مواعِدَ كاذباتٍ تمرُّ بها رياحُ الصيفِ دوني
فإنّي لو تُعانِدني شِمالي عِنادَكِ ما وصلتُ بها يميني
إذاً لقطعتُها ولقلتُ بِيني كذلك أجتوي مَنْ يجتويني[٤]

وقال الكُمَيْت: [طويل]

ولكنّ صبراً عن أخٍ عنك صابر عَزاءً إذا ما النفس حَنّ طَروبُها[٥]
رأيتُ عِذابَ الماءِ إن حِيل دونها كفاك لِما لا بُدّ منه شَرُوبُها[٦]
وإن لم يكن إلا الأسِنَّةَ مركبٌ فلا رأيَ للمَجْهود إلا رُكوبُها[٧]

وقرأت في كتابٍ للهند: العدوّ إذا أحدث صدلقة لعلةٍ ألجأته إليها فمع ذهابِ العلة رجوع العداوة، كالماء يسخن فإذا رُفِعَ عاد بارداً.

وقال محمد بن يزداد الكاتب: إذا لم تستطع أن تقطعَ يدَ عدوّك فقبِّلها.

قال الشاعر: [طويل]

---

(١) الدخل: الحقد المضمر.
(٢) إحولّ عنّي: يقال إحولت عينه من الحول، والمراد الإعراض والإنصراف.
(٣) المثقب العبدي ثم النكري راجع ص ٧٧ حيث مرّت ترجمته.
(٤) أجتوي: أهجر وأكره.
(٥) حنَّ طروبها: قلبها، أي ما يطرب في الإنسان قلبه ونفسه.
(٦) الشروب والشريب: الماء بين العذب والملح وليس يشربه الناس إلّا ضرورة.
(٧) المجهود: المضطر والمحتاج.

لقد زادني حبّاً لنفسيَ أنني ... بغيضٌ إلى كلّ امرىءٍ غيرِ طائلِ
إذا ما رآني قَطَّعَ الطرفَ دونَه ... ودُونيَ فعلَ العارفِ المتجاهلِ
ملأتُ عليه الأرضَ حتّى كأنّها ... من الضِّيق في عينيهِ كفّةُ حابلِ(١)

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: اعتزلْ عدوَّك واحذرْ صديقَك إلا الأمينَ، ولا أمينَ إلا من خشيَ اللهَ.

الهيثم عن ابن عيّاش قال: أخبرني رجل من الأَزْد قال: كنا مع أسد بن عبد الله بخراسانَ، فبينا نحن نسير معه وقد مَدَّ نهرفجاء(٢) بأمرٍ عظيم لا يوصفُ، وإذا رجل يضرِبه الموج وهو ينادي: الغريقَ الغريقَ! فوقف أسد وقال: هل من سابح؟ فقلت: نعم، فقال: ويحك! اِلْحَقِ الرجلَ! فوثبتُ عن فرسي وألقيتُ عنّي ثيابِي ثم رميتُ بنفسي في الماء، فما زلتُ أسبَحُ حتى إذا كنت قريباً منه قلت: ممن الرجلُ؟ قال: من بني تَميم؟ قلت: إمضِ راشداً، فوالله ما تأخّرتُ عنه ذراعاً حتى غَرِق: فقال ابن عياش: فقلت له: ويحك! أما اتقيتَ الله! غرَّقتَ رجلاً مسلماً! فقال: والله لو كانت معي لِبنةٌ لضربتُ بها رأسَه.

طاف رجلٌ من الأزد بالبيت(٣) وجعل يدعو لأبيه؛ فقيل له: ألا تدعو لأمّك؟ فقال: إنها تميميّةٌ.

وقرأت في كتابٍ للهند: جانب الموتورَ وكن أحذَر ما تكون له ألطفَ ما يكون بك، فإنّ السلامةَ بين الأعداءِ توحُّشُ بعضِهم من بعض، ومن الأنس والثقةِ حضورُ آجالهم.

(١) كفّة حابل: الحابل: الصيّاد، وكفّة حابل: مصيدته وشركُه.
(٢) مدّ النهر: فاض ماؤه.
(٣) بالبيت: يعني بالكعبة المشرّفة.

أراد الملكُ قتلَ بُزُرْجِمهْر وأن يتزوّج ابنته بعد قتله؛ فقال: لو كان مِلُكُكم حازماً ما جعل بينه وبين شعاره مَوْتورة[١].

قال أبو حازم: لا تُناصبَنَّ رجلاً حتى تنظر إلى سَرِيرته؛ فإن تكن له سريرةٌ حسنةٌ فإن الله لم يكن يخذُله بعَداوتكَ إياه، وإن كانت سريرتُه رديئةً فقد كفاك مساوِيَه، لو أردتَ أن تعمل بأكثرَ من معاصي الله لم تقدِر.

قال رجل: إني لأغتنم في عدّوي أن أُلقيَ عليه النملةَ وهو لا يشعرُ لتؤذيَه.

وقال الأفْوه الأَوْدِيّ[٢]: [وافر]

بلوتُ الناسَ قَرناً بعد قَرنٍ ... فلم أر غيرَ خَلّابٍ وقالِي[٣]

وذُقتُ مرارةَ الأشياء جمعاً ... فما طعمٌ أمرُّ من السؤالِ

ولم أرَ في الخطوب أشدَّ هولاً ... وأصعبَ من مَعاداة الرجالِ

وقال آخر: [وافر]

بلاءٌ ليس يشبهُهُ بلاءٌ ... عداوةُ غيرِ ذي حسبٍ ودِينِ

يُبيحكَ منه عِرضاً لم يَصُنه ... ويرتعُ منك في عِرضٍ مصونِ

شماتة الأعداء

بلغ عمرَو بن عتبةَ شماتةُ قومٍ به في مصائبَ؛ فقال: والله، لئن عظُم

---

(١) الشِّعار: ما ولي الجسد من الثياب، والموتور: التي لديها ثأر.

(٢) الأفوه الأودي: هو صلاءة بن عمر بن مالك من بني أود شاعر يماني جاهلي يكنّى أبا ربيعة لقّب بالأفوه لأنه كان غليظ الشفتين.

(٣) بلوت الناس: اختبرتهم، والخلّاب: المخادع، والقالى: المبغض.

مُصابنا بموت رجالنا لقد عظُمتِ النعمةُ علينا بما أبْقى الله لنا: شُبَّاناً يَشُبُّون[1] الحروبَ، وسادةً يُسْدُون المعروفَ، وما خُلِقْنا ومَنْ شَمِتَ بنا إلا للموت.

قيل لأيوبَ النبيّ عليه السلام: أيّ شيء كان أشدَّ عليك في بلائك؟ قال: شماتةُ الأعداء.

إشتكى يزيدُ بن عبد الملك شَكاةً شديدةً وبلغه أنّ هشاماً سُرَّ بذلك، فكتب إلى هشام يعاتبه، وكتب في آخر الكتاب: [طويل]

تَمَنَّى رجالٌ أن أموتَ، وإن أَمُتْ ... فتلك سبيلٌ لستُ فيها بأوحدِ
وقد علِموا، لو ينفعُ العلمُ عندهم، ... متى مِتُّ ما الداعِي عليّ بمُخْلَدِ
مَنِيَّتُه تجري لوقتٍ وحتفُه ... يصادفُه يوماً على غير مَوعدِ
فقال للذي يبغي خِلافَ الذي مضى ... تهيَّأْ لأخرى مثلِها فكأنْ قدِ[2]

وقال الفرزدقُ: [وافر]

إذا ما الدّهرُ جرَّ على أُناسٍ ... حوادثَه أناخ بآخرينا
فقل للشامِتين بنا أفِيقُوا ... سيلقَى الشامتون كما لَقِينا

أُغير على رجلٍ من الأعراب فذُهِب بإبله فقال: [وافر]

لا والذي أنا عبدٌ في عِبادته ... لولا شماتةُ أعداءٍ ذوي إحَنٍ[3]
ما سرّني أنّ إبْلي في مَبَاركها ... وأنّ شيئاً قضاه الله لم يكنِ

وقال عديّ بن زيد العِباديّ: [خفيف]

أرَواحٌ مُودِّعٌ أم بُكورُ ... لكَ فانظُر لأيّ حالٍ تَصِيرُ

---

(١) يشبُّون الحرب: يضرمون نارها.
(٢) فكأن قد: كأن للتشبيه، وقد: تفيد التحقيق، أي الأخرى كأنّها تحقّقت.
(٣) الإحن: الأحقاد.

وأبيضاضُ السوادِ من نُذُرِ المو ... تِ فهل بعده لإنسٍ نَذِيرُ
أيّها الشامِتُ المعيِّر بالدّهـ ... ـرِ أأنتَ المبَرَّأُ الموفورُ
أم لديكَ العهدُ الوثيقُ من الأيّـ ... ـام أم أنت جاهلٌ مغرورُ
مَن رأيتَ المنونَ خلّدن أم مَنْ ... ذا عليه من أن يُضامَ مُجِيرُ
أين كِسرى كسرى الملوكِ أنو شِر ... وانُ أم أين قبله سابورُ[1]
وأخو الحَضْر إذ بناه وإذ دِجـ ... ـلةُ تُجبَى إليه والخابورُ[2]
شادَهُ مَرمرًا وجلّله كِلْـ ... ـساً فلِلطّيرِ في ذُراه وُكور
لم يَهَبْه ريبُ المنون فباد الـ ... ـملكُ عنه فبابُه مهجورُ
وتبيَّنْ ربُّ الخَوَرنق إذ أشـ ... ـرفَ يوماً وللهُدَى تفكيرُ[3]
سَرّه حالُهُ وكثرةُ ما يمـ ... ـلِك والبحرُ مُعرِضاً والسَّديرُ[4]
فارعَوى قلبُه فقال وما غِبـ ... ـطةُ حيٍّ إلى المماتِ يصيرُ[5]
ثم بعد الفلاحِ والمُلك والنّعـ ... ـمةِ وارَتْهُمُ هناك القبورُ
ثم أضحَوْا كأنهم وَرَقٌ جَفَّ ... فألوَتْ به الصبَّا والدَّبُورُ[6]

قال ابن الكلبي[7]: لما قُبِض النبيّ ﷺ سمع بموته نساءٌ من كِندة وحضر موت فَخَضَبْن أيديهنّ وضربْنَ بالدفوف، فقال رجل منهم: [كامل]

(١) سابور الجنود: وهو ابن أردشير، وسابور ذو الأكتاف وهو ابن هرمز وكلاهما من ملوك العجم قبل كسرى أنو شروان.
(٢) الحفر: قصرٌ بجبال تكريت بين دجلة والفرات، ويعني بأخيه الضيزن بن معاوية بن العبيد، والخابور: أسمُ نهر كبير.
(٣) الخورنق: قصر للنعمان.
(٤) معرضاً: مشعاً، والسّدير: قيل قصرٌ وقيل نهر،.
(٥) ارعوى قلبه: انتبه وعاد إليه رشده.
(٦) الصّبا والدّبور: أسماءٌ للريح التي تهبُّ باردةً وحارةً.
(٧) ابن الكلبي: هو محمد بن السائب بن بشر بن عمر بنَ الحارث الكلبي أبو النضر، نسّابة راوية، عالمٌ بالتفسير والأخبار وأيام العرب من أهل الكوفة.

أبلِغْ أبا بكرٍ إذا ما جئتَه أنّ البغايا رُمنَ أيّ مَرامِ
أظهرن من موت النبيّ شماتةً وخضبنَ أيديَهنّ بالعُلاّم[1]
فاقطَعْ، هُدِيتَ، كفّهنّ بصارمٍ كالبرقِ أومضَ من متون غَمامِ[2]

فكتب أبو بكر إلى المهاجِر عامِله، فأخذهنّ وقطّع أيديهنّ.

وقرأت في كتاب ذُكر فيه عَدوّ: فإنه يتربّصُ بك الدوائرَ، ويتمنّى لك الغوائلَ، ولا يؤمّل صلاحاً إلا في فَسادك، ولا رِفعةً إلا في سقوط حالك والسلام.

وجد بالأصل في آخر هذا الكتاب ما نصّه:

آخر كتاب الإخوان، وهو الكتاب السابع من عيون الأخبار، تأليف أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينَوريّ رحمة الله عليه. وكتبه الفقير إلى الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد بن علي الواعظ الجزريّ، وذلك في شهور سنة أربع وتسعين وخمسمائة. وصلى الله على سيدنا محمد النبيّ وآله الطاهرين.

وفي هذه الصفحة عينها وجد ما يأتي ـ وهو من زيادة الناسخ ـ:

قيل قدم المهديّ أمير المؤمنين، وقيل الرشيد[3]، فتلقّاه الناس، وتلقّاه أبو دُلَامة[4] في جملة الناس، فأنشده: [كامل]

---

(١) العلاّم: الحنّاء.

(٢) البرق يومض: أي يلمع، وهنا كناية عن السّرعة.

(٣) لم يدرك أبو دلامة خلافة الرشيد إذ أنّه توفي سنة إحدى وستين ومائة، وتولّى الرشيد الخلافة سنة سبعين ومائة ثم قال ابن خلكان: ويقال: إنه عاش إلى أيام الرشيد، وبعض الكتب تروي هذه القصة بأنها حدثت مع أبو جعفر المنصور.

(٤) أبو دلامة: هو زند بن الجون الأشجعي كوفي مليح الشعر كثير النادرة، راجع معجم الشعراء ص ١٣١.

إنّي نـذرتُ لئن رأيتُك سـالمـاً ... بـقُـرَى العـراق وأنـت ذو وَفْـرِ
لـتصلِّينَّ عـلى النـبيّ مـحـمـدٍ ... ولـتـمـلأن دراهـمـاً حِـجْـرى

فقال له أمير المؤمنين: أما الأولى فنعمْ. اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، وأما الأخرى فلست أفعل، فقال أبو دلامة: يا أمير المؤمنين ما نذرت إلا الاثنين، فضحك وأمر حتى ملؤا حجرَه دراهم.

وقال شاعر[1]: [كامل]

ولقـد تنسَّمتُ الـريـاحَ لحـاجتي ... فـإذا لهـا من راحتيـكَ نـسيـمُ
ولـربّمـا استيـأستُ ثم أقـول لا ... إنّ الـذي ضمن النجـاحَ كـريمُ

(١) هو أبو العتاهية الشاعر العباسي المعروف.

كتاب الحوائج

استنجاح الحوائج

حدّثني أحمدُ بن الخليل قال حدّثنا محمدُ بن الخَصِيبِ قال حدّثني أوسُ ابن عبد الله بن بُريدةَ عن أخيه سهل بن عبد الله بن بُريدة عن بُريدةَ قال: قال رسول الله ﷺ: «اسْتَعِينُوا على الحوائج بالكتمانِ فإنّ كلّ ذي نِعمةٍ محسودٌ».

قال خالدُ بن صفوان: لا تَطلُبوا الحوائجَ في غير حينها، ولا تطلبوها إلى غير أهلها، ولا تطلُبوا ما لستم له بأهلٍ فتكونوا للمنع خُلَقَاءَ.

قال شبيبُ بن شيبةَ: إنّي لأعرف أمراً لا يتلاقَى به اثنانِ إلّا وجب النُّجْحُ بينهما؛ فقال له خالدُ بن صفوانَ: ما هو؟ قال: العقل، فإنّ العاقل لا يَسأل ما لا يجوز ولا يُرَدُّ عما يُمكن، فقال له خالد: نَعَيْتَ إليّ نفسي! إنّا أهلُ بيتٍ لا يموتُ منا أحدٌ حتى يرى خَلَفَه.

أبو اليقظان قال: كان بنو رَبيعة - وهم من بين عِسْلِ بن عمرو بن يربوع - يُوصونَ أولادهم فيقولون: استعينوا على الناس في حوائجكم بالتثقيل عليهم، فذاك أنجح لكم.

قال الشاعر: [مديد]

هَيبةُ الإخوان مَقْطَعةٌ لأخي الحاجاتِ عن طَلَبِهْ

فإذا ما هِبْنَ ذا أمَلٍ ... ماتَ ما أمّلتَ من سببِهْ

وقال أبو نُوَاس: [طويل]

وما طالبُ الحاجاتِ ممّن يَرومُها ... من الناس إلا المُصبِحونَ على رِجْلِ

تأنّ مواعيدَ الكرامِ فربّما ... أصبتَ من الإلحاح سَمْحاً على بُخْلِ

والبيتُ المشهور في هذا: [بسيط]

إنّ الأمورَ إذا آنسدّتْ مَسَالِكُها ... فالصبرُ يفتحُ منها كلَّ ما ارتُتِجَا(١)

أخْلِقْ بذي الصبر أن يحظَى بحاجته ... ومُدْمِنِ القَرْعِ للأبواب أن يلِجَا(٢)

لا تيأسَنّ وإن طالتْ مُطالبةٌ ... إذا استعنْتَ بصبرٍ أن ترى فرجَا

وقال آخر: [بسيط]

إنّي رأيتُ، وللأيّامِ تجربةٌ ... للصبرِ عاقبةً محمودةَ الأثرِ

وقلَّ مَنْ جدَّ في أمرٍ يُطالبه ... واستصحبَ الصبرَ إلاّ فاز بالظَّفَرِ

والعرب تقول: «رُبَّ عَجَلَة تَهَبُ رَيْثاً». يريدون أن الرجل قد يَخرَقُ ويعجَل في حاجته فتتأخرّ أو تبطُل بذلك. وتقول: «الرَّشَفُ أنقَعُ». يريدون أن الشراب الذي يُترشَّفُ رُويداً رُويداً أقطعُ للعطش وإن طال على صاحبه.

وقال عامر بن خالد بن جعفر ليزيد بن الصَّعِق: [رجز]

إنّك إن كلَّفتَني ما لم أُطِقْ ... ساءكَ ما سرَّكَ مِنّي من خُلُقْ

وكانوا يَستنجِحُون حوائجَهم بركعتين يقولون بعدهما: اللهم إنّي بكَ أستَفْتِحُ، وبكَ أستنجِحُ، وبمحمّد نبيك إليك أتوجّه، اللهم ذَلّلْ لي صعوبتَه،

---

(١) ارتتج: أقفل.

(٢) يلج: يدخل.

وسَهِّل لي حُزُونَته[١]، وارزُقني من الخير أكثرَ مما أرجُو، واَصرِف عنّي من الشرّ أكثرَ مما أخاف.

وقال القَطاميُّ: [بسيط]

قد يُدرِكُ المتأنّي بعضَ حاجتِه ... وقد يكونُ مع المستعجِلِ الزَّلَلُ[٢]

عمرو بن بحرٍ[٣] عن إبراهيم بن السِّنْديّ قال: قلتُ في أيام ولايتي الكوفةَ لرجلٍ من وجوهها، كان لا يجِفّ لِبْده ولا يستريح قلمه ولا تسكن حركته في طلب حوائج الرجال وإدخال المرافق على الضعفاء وكان رجلاً مُفوّهاً، خبِّرني عن الشيء الذي هوّن عليك النَّصَبَ وقوّاكَ على التعب ما هو؟ قال: قد والله سمعتُ تغريدَ الطير بالأسحار، في أفنان الأشجار؛ وسمعتُ خَفْقَ أوطار العيدان، وترجيعَ أصوات القيان الحسان؛ ما طربتُ من صوتٍ قطُّ طربي من ثناء حسنٍ بلسانٍ حسنٍ على رجلٍ قد أحسن، ومِن شكرِ حُرٍّ لمنعمٍ حُرٍّ، ومن شفاعة مُحتَسِبٍ لطالبٍ شاكر. قال إبراهيمُ: فقلتُ: لله أبوك لقد حُشِيتَ كرماً فزادكَ الله كرماً، فبأيّ شيء سَهُلَتْ عليك المعاودةُ والطلبُ؟ قال: لأني لا أبلغ المجهودَ ولا أسأل ما لايجوز، وليس صدقُ العذر أكرَهَ إليّ من إنجاز الوعد، ولست لإكداء[٤] السائل أكرهَ منّي للإجحاف[٥] بالمسؤول، ولا أرى الراغبَ أوجبَ عليّ حقّاً للذي قدمّ من حسن ظنه من المرغوب إليه الذي احتمل من كَلِّه[٦]. قال إبراهيم: ما سمعتُ كلاماً قطُّ أشدَّ موافقة

(١) الحزونة: الصعوبة، والحزن: ما غاظ من الأرض.
(٢) الزّلل: العثار.
(٣) يعني الجاحظ، أبو عثمان.
(٤) الإكداء: الإلحاح في الطلب تسوُّلاً.
(٥) الإجحاف: المنع.
(٦) الكَلّ: العيال والثقل من كلّ ما يتكلف.

لموضعه ولا أليقَ بمكانه من هذا الكلام .

وقال مُصعَبٌ : [كامل]

في القوم مُعتصِمٌ بقوّة أمره ... ومُقصِّرٌ أودَى به التقصيرُ
لا تَرْضَ منزلةَ الذليلِ ولا تُقِمْ ... في دار مَعجِزةٍ وأنتَ خبيرُ
وإذا هممت فأمضِ همَّكَ إنما ... طلب الحوائج كلُّه تغريُر[1]

وكان يقال : إذا أحببتَ أن تطاع ، فلا تَسألْ ما لا يستطاع .

ويقال : الحوائج تُطلبُ بالرجاء ، وتُدركُ بالقضاء .

الاستنجاح بالرّشوة والهديّة

حدّثني زيد بن أخزم عن عبد الله بن داود قال : سمعتُ سفيانَ الثوريَّ يقول : إذا أردتَ أن تتزوّج فأَهْدِ للأمّ . والعرب تقول : «من صانع[2] لم يحتشِم مِنْ طلب الحاجة» .

قال ميمون بن ميمون : إذا كانت حاجتُكَ إلى كاتبٍ فليكن رسولُكَ الطمعَ .

وقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه : نعم الشيء الهديّةُ أمامَ الحاجةِ .

وقال رؤبة[3] : [رجز]

لما رأيتُ الشُّفَعاءَ بلَّدوا ... وسألوا أميرَهم فأنكدوا[4]

(١) التغرير : حمل النفس على التغرير، وهو الخطر.
(٢) صانع : هادى.
(٣) هو رؤبة بن العجّاج الراجز، أحد بني مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم الراجز المشهور.
(٤) بلّدوا : يقال : بلّد الرجل إذا لم يتجه لشيء، وبلّد : إذا نكس في العمل وضعف وأنكدوا : أي منعوا الحاجة ولم يعطوا.

نامستُهم برشوةٍ فأَقْرَدُوا وسَهَّلَ الله بها ما شدَّدُوا[١]

وقال آخر[٢]: [طويل]

وكنتُ إذا خاصمتُ خصماً كببتُه على الوجه حتى خاصمْتِني الدراهمُ
فلما تنازعْنا الخصومةَ غُلِّبت عليّ وقالوا قم فإنك ظالمُ

والعرب تقول في مثل هذا المعنى: «مَنْ يَخطُبِ الحَسْنَاءَ يُعطِ مَهراً» يريدون مَن طلب حاجةً مُهِمَّةً بذل فيها.

وقال بعضُ المُحْدَثينَ: [بسيط]

ما مِن صديقَ وإن تمّت صداقته يوماً بأنجحَ في الحاجات من طَبَقِ[٣]
إذا تلثّم بالمِنديل مُنطلقاً لم يَخش نَبْوةَ بوّابٍ ولا غَلَقِ
لا تُكْذَبنّ فإنّ الناس مُذ خُلِقُوا لرغبةٍ يكرمون الناسَ أو فَرَقِ[٤].

وقال آخر: [سريع]

ما أرسل الأقوامُ في حاجةٍ أمضى ولا أنجحَ من درهمِ
يأتيك عفواً بالذي تشتهي نِعم رسولُ الرجلِ المسلمِ

الاستنجاح بلطيف الكلام

حدّثني سهلُ بن محمد عن الأصمعيّ[٥]: دخل أبو بكر الهَجَريّ على

---

(١) نامستهم: يقال: ناس الرجل صاحبه منامسة ونماساً إذا ساوره، وأقردوا: يقال أقرد الرجل إذا ذلّ وخضع.

(٢) هو رجلٌ من ولد طَلبة بن قيس بن عاصم «الكامل للمبرّد ج ١ ص ٨٤ ط أوروبا».

(٣) طبق: اسم علم.

(٤) الفرق: الخوف.

(٥) الأصمعي، هو عبد الملك بن قريب إمام اللغة والأخبار والرّواية.

المنصور فقال: يا أمير المؤمنين نَغَض فمِي[١] وأنتم أهلُ بيتِ بركة، فلو أذِنتَ لي فقبَّلتُ رأسك لعل الله يُشَدِّدْ لي منه! فقال أبو جعفر: اخْتَرْ منها ومن الجائزة؛ فقال: يا أمير المؤمنين، أهونُ عليّ من ذَهَابِ درهم من الجائزةُ ألاّ تَبْقى في فمي حاكَّة[٢].

قال أبو حاتم: وحدّثنا الأصمعيّ عن خَلَف قال: كنتُ أرى أنّه ليس في الدنيا رُقْية إلا رقية الحَيّات، فإذا رقية الخبزِ أسهلُ. يعني ما يتكلّفه الناسُ من الكلام لطلب الحيلة.

قال رجلٌ للفضل بن سَهْل يسأله: الأجَلُ آفةُ الأمَل، والمعروفُ ذخيرةُ الأبد، والبِرُّ غنيمةُ الحازمِ، والتفريطُ مصيبةُ أخي القدرة؛ فأمَر وهباً كاتِبَه أن يكتُبَ الكلماتِ. ورفَع إليه رُقْعةً فيها: يا حافظ مَنْ يُضَيِّع نفسَه عنده، ويا ذاكر مَنْ يَنْسَى نصيبَه منه، ليس كتابي إذا كتبتُ استبطاءً، ولا إمساكي إذا أمسكتُ استغناءً؛ لكنّ كتابي إذا كتبتُ تذكرةُ لك، وإمساكي إذا أمسكتُ ثِقةُ بك.

وقال رجل لآخر: ما قَصّرتْ بي هِمّةٌ صَيَّرتني إليك، ولا أخَّرني ارتيادُ دلّني عليك، ولا قَعَد بي رجاءٌ حداني إلى بابك. وبِحَسْبِ معتصمٍ بك ظَفَرٌ بفائدةٍ وغنيمةٍ، ولَجْءُ إلى موئلٍ وسَنَدٍ.

دخل الهُذَيْل بن زَفَر[٣] على يزيد بن المُهَلَّب[٤] في حَمَالاتٍ[٥] لَزِمَته،

---

(١) نغض فمه: أي أنّ أسنانه تقلقلت وتحرّكت.
(٢) الحاكّة: يعني بها السنّ.
(٣) هو الهذيل بن زفر بن الحارث بن عبد عمرو الكلابي. من الرؤساء الشجعان الفصحاء في العصر المرواني.
(٤) يزيد بن المهلّب بن أبي صفرة الأزدي، أبو خالد، أميرٌ من القادة الشجعان الأجواد، ولي خراسان سنة ٨٣ للهجرة ثم عزله عبد الملك بن مروان.
(٥) حمّالات: جمع حَمالة، وهي الدّية والغرامة.

فقال له: قد عَظُم شأنُك عن أن يستعانَ بك أو يستعانَ عليك، ولستَ تصنع شيئاً من المعروف إلّا وأنت أكثرُ منه، وليس العَجَبُ أن تفعل، وإنما العجبُ مِن ألّا تفعل.

قال الحَمْدُونيّ[1] في الحسين بن أيوب والي البَصْرة: [بسيط]

قُلْ لابنِ أيّوبَ قد أصبحتَ مأْمولاَ لا زال بابُك مَغْشِيّاً ومأهولاَ
إن كنتَ في عُطْلةٍ فالعذرُ مُتَّصِلٌ وصِلْ إذا كنتَ بالسلطانِ موصولاَ
شَرُّ الأخِلّاءِ مَنْ وَلَّى قفاه إذا كان المُوَلَّى وأعطَى البِشْرَ معزولاَ
مَنْ لم يُسَمِّنْ جواداً كان يركبُه في الخِصْبِ قام به في الجَدْب مهزولاَ
اِفْرُغْ لحاجاتنا ما دمتَ مشغولاً لَوْ قَدْ فَرَغْتَ لقد أُلفِيتَ مبذولا

وقال آخر: [طويل]

ولا تَعْتَذِرْ بالشُّغْل عنّا فإنما تناطُ بك الآمالُ ما اتَّصل الشُّغْلُ

وأتى رجلٌ بعضَ الوُلاة، وكان صديقَه، فتشاغل عنه، فتراءى له يوماً؛ فقال: اعذِرْني فإنّي مشغول؛ فقال: لولا الشغلُ ما أتيتُك.

وكتب رجلٌ إلى صديقٍ له: قد عرضَتْ قِبلَكَ حاجةٌ، فإنْ نَجحتْ بك فالفاني منها حَظّي والباقِي حظُّك، وإن تَعْتذِرْ فالخيرُ مظنونٌ بك والعذرُ مُقَدَّمٌ لك.

وفي فصلٍ آخر: قد عَذَرك الشُّغْلُ في إغفالِ الحاجةِ وعذَرني في إنكارك.

---

(١) الحمدوني: إسمه اسماعيل بن إبراهيم، جدّه حمدويه صاحب الزنادقة تعهد الرّشيد الذي كان يتعقّبهم، كان شاعراً فكها خفيفَ الرّوح وصاحب قصص وأخبار ونوادر اتجه بشعره إلى الهجاء.

وفي فصل آخر: قد كان يجب ألّا أشكوَ حالي مع علمك بها، ولا أقتضِيكَ عمارتَها بأكثرَ من قدرتِك عليها؛ فلربّما نِيلَ الغِنَى على يَدَيْ مَنْ هو دونَك بأدنَى مِن حُرْمتي. وما أستَصْغِرُ ما كان منك إلا عنك، ولا أستَقِلُّه إلا لك.

وقال آخر: إن رأيتَ أن تُصَفِّد يداً[1] بصنيعةٍ باقٍ ذكرُها جميلٍ في الدهر أثَرُها، تَغتنِمُ غِرَّة الزمان[2] فيها وتُبادر فَوْتَ الإمكان بها، فافعَلْ.

قَدِم على زِيادٍ[3] نفرٌ من الأعراب فقام خطيبُهم فقال: أصلح الله الأميرَ! نحن، وإن كانت نَزَعت بنا أنفُسُنا إليك وأنضينا[4] ركائبنا نحوك التماساً لفضلِ عَطَائك، عالمون بأنه لا مانِعَ لما أعطَى الله ولا مُعْطِيَ لما مَنَع؛ وإنما أنت أيّها الأميرُ خازنٌ ونحنُ رائدون، فإنْ أُذِنَ لك فأعطيتَ حَمِدْنا الله وشكرناك، وإن لم يُؤذَنْ لك فمنعتَ حَمِدْنا الله وعَذَرناك، ثم جلس؛ فقال زياد لجلسائه: تاللهِ ما رأيتُ كلاماً أبلغَ ولا أوجَزَ ولا أنفعَ عاجلةً منه، ثم أمر لهم بما يُصْلِحُهم.

دخل العَتّابيّ على المأمون، فقال له المأمون: خُبِّرتُ بوَفاتِك فغَمّتْني، ثم جاءتني وِفادتُك فسَرّتْني؛ فقال العتابيّ: لو قُسِمتْ هذه الكلماتُ على أهل الأرض لوَسِعَتْهم؛ وذلك أنه لا دِينَ إلا بِك ولا دُنْيا إلا معك؛ قال: سَلْني. قال: يَداكَ بالعطيَّة أطلقُ من لساني.

---

(١) تصفّد يداً: أي تقيدّها، والصنيعة: المعروف والعطاء.
(٢) غرّة الزمان: أي غيره وصروفه.
(٣) هو زياد بن أبيه والي معاوية على الكوفة وغيرها وأخوه من أبيه كما يُقال.
(٤) أنضينا: أهزلنا.

قال نُصَيْب[١] لعمر بن عبد العزيز: يا أمير المؤمنين، كَبِرتْ سِنِّي ورَقَّ عَظْمِي، وبُلِيتُ ببُنَيَّاتٍ نَفَضتُ عليهنّ من لوني فكسَدْنَ عليّ؛ فرَقَّ له عمر ووصَله.

سأل رجلٌ أسَدَ بن عبد الله فاعتلّ عليه؛ فقال: إني سألتُ الأميرَ من غير حاجةٍ؛ قال: وما حَمَلك على ذلك؟ قال: رأيتُك تُحِبُّ مَنْ لك عنده حسنُ بَلاء، فأحببتُ أنْ أتعلَّقَ منك بحبلِ مَوَدّة.

لَزِم بعضُ الحكماءِ بابَ بعضِ ملوكِ العجم دهراً فلم يَصِلْ إليه، فتَلَطّف للحاجب في إيصال رُقْعةٍ ففعل، وكان فيها أربعةُ أسطُرٍ:

السطرُ الأوّلُ الأملُ والضَّرورةُ أقدماني عليك.

والسطرُ الثاني والعُدْمُ لا يكونُ معه صبرٌ على المُطَالبة.

والسطرُ الثالثُ الانصرافُ بِلا فائدةٍ شماتةٌ لِلأعداءِ.

والسطرُ الرابعُ فإمّا نَعَمْ مثمِرةٌ، وإمّا لَا مُرِيحةٌ. فلما قرأها وَقّع في كلِّ سطرٍ: زه[٢]؛ فأُعْطِيَ ستّةَ عَشَرَ ألفَ مِثْقالِ فِضّة.

دخل محمد بن واسع[٣] على قُتَيبة بن مُسْلِم[٤]، فقال له: أتيتُك في حاجةٍ رفعتُها إلى الله قبلَك، فإنْ تَقْضِها حَمِدْنا الله وشكرناكَ، وإن لم تَقْضِها حَمِدنا الله وعَذَرناك؛ فأمر له بحاجته. وقال له أيضاً في حاجةٍ أُخرى: إنّي

---

(١) هو نصيب بن رباح أبو محجن مولى عبد العزيز بن مروان، شاعر فحل، مقدّم في النسيب والمدائح.

(٢) زهْ: في لغة الفرس معناها أحسنت.

(٣) هو محمدّ بن واسع بن جابر الأزدي، أبو بكر فقيه ورع، من الزهاد، من أهل البصرة ومن ثقات رجال الحديث.

(٤) قتيبة بن مسلم هو أحد قادة الجيوش الأمويّة ولّاه الحجّاج خراسان واشتهر بالشجاعة والحكمة.

أتيتُك في حاجةٍ، فإنْ شئتَ قضيتَها وكنّا جميعاً كريميْنِ، وإن شِئتَ منعتَها وكنّا جميعاً لئيميْنِ.

أتى رجلٌ خالدَ بن عبد الله في حاجةٍ، فقال له: أتَكلَّمُ بجُرْأة اليأسِ أم بهيبةِ الأمَلِ؟ قال: بل بهيبة الأمل؛ فسأله حاجتَه فقضاها.

وقال أبو سَمّاكٍ لرجل: لم أصُنْ وجهي عن الطَّلَبِ إليك، فصُنْ وجهَك عن ردِّي، وضَعْني من كرمِك بحيثُ وضعتُ نفسي من رجائك.

قال المنصور لرجل: ما بالُك؟ قال: ما يَكُفُّ وجهي ويَعْجِز عن بِرِّ الصَّديق فقال: لقد تلطَّفتَ للسؤال، ووصَله.

وقال المنصور لرجلٍ أحْمَدَ منه أمراً: سَلْ حاجتَك فقال: يُبقيك الله يا أمير المؤمنين؛ قال: سل، فليس يمكنك ذلك في كلّ وقتٍ؛ فقال: ولِمَ يا أمير المؤمنين! فوالله لا أستقصر عمرَك ولا أرهَبُ بُخْلَكَ ولا أغتنم ما لَك وإنّ سؤالكَ لزَيْنٌ، وإنّ عطاءَك لَشَرف، وما على أحدٍ بَذَل وجهَه إليك نقصٌ ولا شَيْنٌ، فأمَر حتّى مُلِيء فُوه دُرّاً.

قال أبو العبّاس لأبي دُلاَمة: سَلْ حاجتَك. قال: كلبٌ؛ قال: لك كلب. قال: ودابّة أتصيد عليها؛ قال: ودابة. قال: وغلام يركب الدابّة ويصيد؛ قا: وغلام. قال: وجارية تُصْلِح لنا الصيدَ وتُطْعِمنا منه؛ قال: وجارية. قال: يا أمير المؤمنين، هؤلاء عِيال ولا بدّ من دارٍ؛ قال: ودار. قال: ولا بدّ من ضَيْعةٍ لهؤلاء؛ قال: قد أقطعتك مائة جَريبٍ عامرة ومائة جريب غامرة. قال: وأيّ شيءٍ الغامرة؟ قال: ليس فيها نباتٌ. قال: فأنا أُقْطِعك ألفاً وخمسمائةِ جريبٍ من فيافى بني أسَدٍ؛ قال: قد جعلتُها كلَّها لك عامرةً. قال: أُقَبِّلُ يدَك؛ قال: أمّا هذه فدَعْها. قال: ما منعتَ عِيالي شيئاً أهونَ عليهم فقداً منها.

قال عبد الملك لرجل: ما لي أراك واجماً [١] لا تَنْطِق؟ قال: أشكو إليك ثِقَل الشَّرَف؛ قال: أعِينوه على حَمْله.

رأى زياد على مائدته رجلاً قبيحَ الوجه كثيرَ الأكل، فقال له: كم عيالُك؟ قال: تسع بنات؛ قال: أين هنّ منك؟ قال: أنا أجملُ منهنّ وهنّ آكلُ منّي؛ قال: ما أحسَنَ ما تَلَطّفتَ في السؤال وفَرَض له وأعطاه.

وقفتْ عجوزٌ على قيس بن سعد فقال: أشكو إليك قِلّة الجِرْذَانِ؛ قال: ما أحسَنَ هذه الكناية! املؤا بيتها خبزاً ولحماً وسمناً وتمراً.

وقال بعض القُصّاص في قِصصه: اللهم أقِلَّ صِبْيانَنا وأكثِرْ جِرْذانَنا.

كان سليمان بن عبد الملك يأخذ الوليَّ بالوليِّ والجارَ بالجارِ؛ فدخل عليه رجلٌ وعلى رأسه وَصِيفةٌ رُوقةٌ [٢]، فنظر إليها: فقال سليمان: أأعجبَتك؟ قال: بارك الله لأمير المؤمنين فيها! قال: هات سبعة أمثالٍ في الاستِ وخُذْها؛ فقال: «صَرّ عليه الغزوُ استَه» [٣]. قال: واحد. قال: «استُ آلبائنِ أعلم» [٤]؛ قال آثنانِ. قال: «استٌ لم تُعوَّدِ المِجْمَرَ تَحْتَرِقُ» [٥]؛ قال: ثلاثة.

(١) الواجم: الذي اشتد حزنه فأمسك عن الكلام.

(٢) الوصيفة: الجارية، والروقه: الحسناء الجميلة.

(٣) يضرب هذا المثل لمن ضيّق عليه تصرّفه أمره.

(٤) البائن: الذي يكون عند حلب الناقة من جانبها الأيسر، وأصل المثل أنّ رجلاً أضلّ إبله ووجدها في مدّة، فاستنجد بالحارثِ بن ظالم المرّي فردّها عليه إلاّ ناقة كانت عند رجلين يحلبانها فقال الحارث: خليا عنها فليست لكما، وأهوى إليهما بالسيف فضرب البائن وقال المعلي الذي هو في الجانب الآخر ويسمّى المستعلي أيضاً، والله ما هي لك فقال الحارث: است البائن أعلم، فأرسلها مثلاً: يضرب لمن ولي أمراً وصَلَى به فهو أعلم به ممَن لم يمارسه ولم يصل به، وقيل: يضرب لكلّ ما ينكر وشاهده حاضره.

(٥) يضرب لمن حصل في نعمة ولم يعهدها، وأصله أنّ ماوة بنت عفزر كانت ملكة «وكانت تتزوّج من أرادت، وربّما بعثت غلمانها ليأتوها بأوسم من يجدونه، فجاؤها بحاتم الطائي، فقالت له استقدم إلى الفراش، فقال لها هذه الجملة.

قال: الحُـرُّ يُعْـطِي والعبـدُ يَبْجَـع بـاستِـه»(١)؛ قـال: أربعـة. قـال: «اسْتِي أخْبَثي»(٢)! قال: خمسة. قال: «عادَ سَلاَها في استِهـا»(٣)؛ قال: ستـة. قال: «لا مـاءكِ أَبْقيتِ ولا حِرك أَنْقيتِ»(٤)؛ قـال: ليس هذا من ذاك؛ قـال: أخذتُ الجارَ بالجارِ كما يفعلُ أمير المؤمنين! قال: خذها.

قال يزيد بن المهلَّب لسليمانَ في حَمَالةٍ(٥) كلّمه فيها: يا أميرَ المؤمنين، واللهِ لحَمدُها خيـرٌ منها، ولَـذِكرُهـا أحسنُ من جَمْعِها، ويَـدِي مبسوطـةٌ بيدِك فآبسُطْها لِسؤالها.

قطع عبدُ الملك بن مروان عن آل أبي سفيان أشياء كان يُجْرِيها عليهم، لِتَبَاعُدٍ كان بينه وبين خـالدِ بن يـزيدَ بن معـاويةَ؛ فـدخل عليـه عمرُو بن عُتْبـة فقال: يا أميرَ المؤمنين، أدْنَى حقِّك مُتْعِبٌ وتَقصِّيهِ فادِحٌ، ولنا مع حقّـك علينا حقٌّ عليكَ، لقرابتنا منك وإكرام سلَفنا لك؛ فانظر إلينا بـالعين التي نظروا بهـا إليـك، وضَعْنا بحيث وضَعَتْنـا الرَّحِمُ منـك، وزدنا بقـدر ما زادك الله؛ فقـال: أفعَـلُ، وإنما يَستحقّ عـطيّتي من استعطاهـا، فأمّـا من ظَنّ أنه يَستغني بنفسه فسَنَكِلُه إليها(٦)، يعرّض بخالد؛ فبلغ ذلك خالداً، فقال: أمّا عمرٌو فقـد أعطى

---

(١) الذي في الأمثال للميداني: «الحرّ يعطي والعبد يألم قلبه» وقـال يعني أنّ اللئيم يكره مـا يجود به الكريم، وقال في فرائد اللآل: يضرب لمن يبخل ويأمر غيره بالبخل.

(٢) يضرب هذا المثل في وضع الشيء في غيـر موضعـه، وأصله أنّ سعد بن زيـد مناة زوّج أخـاه مالكاً النوّار بنت حلّ بن عدي رجاء أن يـولد لـه، وكان مُحمِقاً، فانـطلق به إلى بيت العـروس فأبى الدخول فقال له: لج مالِ ولجت الرّجم «القبـر» حتى ولج ونعـلاه معلقتان في ذراعيـه، فقال له ضـع نعليك، فقـال: ساعـداي أحرز لهمـا، ثم أتي بطبيب فجعـل يجعله في استه، فقالوا له في ذلك فقال: «استي اخبثي».

(٣) السّلي: الجلدة التي يكون فيها الولد، من الناس والمواشي.

(٤) أصل المثل، أنّ رجلاً كان في سفر ومعه امرأته وكانت عاركاً «حائضاً» فطهـرت، وكان معهمـا ماء يسير فاغتسلت فلم يكفها لغسلها وأنفذت الماء فبقيا عطشانين، فقال لها ذلك.

(٥) الحمالة بالفتح: الدّية والغرامة.

(٦) نكل إليها: أي نجعله يعتمد عليها.

من نفسه أكثرَ مما أخَذ، أَوَ بِالحرمان يتهدّدني! يدُ الله فوق يده مانِعةٌ، وعطاؤه دونه مبذول.

أتى رجل يزيدَ بن أبي مسلم برُقْعةٍ يسأله أن يرفعَها إلى الحجّاج؛ فنظر فيها يزيدُ فقال: ليست هذه من الحوائج التي تُرفع إلى الأمير؛ فقال له الرجل: فإني أسألك أن ترفعها، فلعلّها توافق قَدَراً فيقضِيَها وهو كارِهٌ؛ فأدخَلَها وأخبره بمقالة الرجل؛ فنظر الحجاج في الرُّقعة، وقال ليزيدَ: قلْ للرجل: إنها وافقتْ قَدَراً وقد قضيناها ونحن كارهون.

دخل بعض الشعراء[1] على بِشْر بن مَرْوان فأنشده: [كامل]

أَغْفيْتُ عند الصّبح نومَ مُسَهَّدٍ ... في ساعةٍ ما كنتُ قبلُ أنامُها

فرأيتُ أنك رُعْتَني بوليدةٍ ... مَغْنوجةٍ حَسَنٍ عليّ قِيامُها

وبِبَدْرةٍ حُمِلتَ إليّ وبغلةٍ ... دهماء مُشرفةٍ يَصِلُّ لِجامُها[2]

فدعوت ربّي أن يُثيبك جنّةً ... عَوضاً يُصيبك بردُها وسلامُها

فقال له بشر: في كل شيء أصبتَ إلا في البغلة فإني لا أملك إلّا شَهْباء[3]: فقالَ: إني والله ما رأيتُ إلّا شَهْباء.

قال رجل لمعاوية: أقْطِعْني البَحْرين، قال: إني لا أصِلُ إلى ذلك. قال: فاستَعمِلْني على البَصْرة؛ قال: ما أُريدُ عَزْل عامِلها. قال: تأمرُ لي بألفيْنِ؛ قال: ذاك لك. فقيل له: وَيْحَك! أرضِيتَ بعد الأُولَيَيْن بهذا! قال: اسكتوا لولا الأُولَيَان ما أُعطِيتُ هذه.

جاء أعرابيّ إلى بعض الكتّاب فسأله. فأمر الكاتبُ غلامَه بيمينه أن

(١) هو الحكم بن عبدل كما في الأغاني «ج ٢ ص ٤٠٧ ط. دار الكتب المصرية».

(٢) البدرة: الكيس من الدراهم، والدّهماء: أي سوداء، ويصلّ: يصوّت.

(٣) الشهباء: الشهبة في الألوان، البياض الغالب على السّواد.

يعطيَه عشرة دراهم وقميصاً من قُمُصه؛ فقال لأعرابيّ: [خفيف]

حوِّل العَقْد بالشمال أبا الأصْـ ـبَغ واضْمُمْ إلى القميص قميصا

إن عَقْـدَ اليمين يَقْصُر عنّي وأرى في قميصكم تَقْليصَا

يقول: حوّل عَقْد اليمين وهو عشرة إلى عَقْد الشمال وهو مائة[1].

سأل أعرابيّ فقال في مسألته: لقد جُعتُ حتى أكلتُ النّوى المُحْرَقَ ولقد مَشَيتُ حتى انتعلتُ الدَّمَ وحتى سقط من رجلي بَتَخص[2] لحمٍ وحتى تمنّيت أنّ وجهي حِذاءُ لِقَدَمي، فهل من أخٍ يرحمنا؟.

وسأل آخرُ قوماً فقال: رَحِم الله امرأ لم تَمْجُجْ أذناه كلامي، وقَدّم لنفسه مَعَاذاً من سوء مُقامي، فإنّ البلاد مُجْدِبة، والحالَ مُصْعَبة، والحياءَ زَاجرٌ يمنع من كلامكم، والعُدْمَ عاذِرٌ يدعو إلى إخباركم، والدعاء أحدُ الصدَقتَيْن فرحِم الله امرأ أمر بمير[3]، ودعا بخير، فقال له رجل من القوم: مِمنّ الرجل؟. فقال: اللهم غَفْراً ممن لا تَضرُّك جهالتُه، ولا تنفعُك معرفتُه؛ ذُلّ الإكتساب، يمنع من عِزّ الانتساب.

سأل أعرابيٌّ رجلاً فحرَمه؛ فقال: عَلَامَ تَحْرِمُني! فوالله ما زِلتَ قِبلةً لأملي لا تَلِفْتُني عنك المطامعُ، فإن قلتَ: قد أحسنتُ بَدْءاً، فما يُنْكَر لِمثلك أن يُحسِن عَوْداً!.

(١) كان للعرب حسابٌ غير ما هو معروف اليوم ولهم في ذلك اصطلاحات في أصابع اليد، فالعشرة يدلُّ عليها بجعل السبَابة في اليد اليمنى حلقة، فإذا أريد المائة جعلت السبَابة اليسرى حلقة وغير ذلك «انظره بتفصيل في الجزء الثالث من كتاب بلوغ الأرب للآلوسي ص ٣٩٦ - ٤٠٢ ط بغداد».

(٢) البخص: لحم القدم.

(٣) المير: الطعام.

قال ابنُ أبي عَتِيق[1]: دخلتُ على أشْعبَ وعنده مَتَاعٌ حسن وأثاثٌ، فقلت له: ويحك! أما تستَحي أن تَسأل وعندك ما أرى! فقال: يا فَدَيتُك! معي والله من لطيفِ السؤال مالا تَطيب نفسي بِتركه.

قال الصَّلَتَان العَبْديّ[2]: [متقارب]

نَروح ونغدو لحاجاتنا ... وحاجةُ مَنْ عاش لا تَنْقضِي

تموت مع المرءِ حاجاتُه ... وتبقَى له حاجَةٌ ما بَقِي

إذا ليلةٌ هَرَّمتْ يومَها ... أتى بعد ذلك يومٌ فتِي

وقال آخر: [بسيط]

وحاجةٍ دونَ أُخرَى قد سَنَحتُ بها ... جعلتُها للّتي أخفيتُ عُنوانَا[3]

كتب دِعْبلٌ إلى بعض الأمراء: [منسرح]

جئتُك مستشفِعاً بلا سببٍ ... إليك إلاّ بحُرمةِ الأدبِ

فاقضِ ذِمامي فإنّني رجلٌ ... غيرُ مُلِحٍّ عليك في الطلبِ

من يُعْتَمَد في الحاجة ويُسْتَسْعى فيها

روى هُشَيم عن عبد الحميد بن جعفر عن محمد بن عبد الرحمن عن أبي مُصْعَب قال: قال رسول الله ﷺ: اطلُبُوا الحوائجَ إلى حِسانِ الوُجوه».

---

(١) ابن أبي عتيق: هو محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر عرف بابن أبي عتيق واشتهر بهزله.

(٢) الصلتان العبدي: هو قُثم بن خبيثة بن عبد القيس، إجتمع إليه في الحكم بين الفرزدق وجرير، فقال شعراً في ذلك راجع الشعر والشعراء ص ٣٣١ ط دار الكتب العلمية.

(٣) سنحتُ بها: عرّضت ولحنت، وقد أورد صاحب اللسان هذا البيت في مادة «سنح» ونسبه لسوّار بن المضرب.

وفي حديث آخر: «اعتمد لحوائجك الصِّباحَ الوُجوهِ، فإنّ حسنَ الصورةِ أوّلُ نعمةٍ تتلقّاكَ من الرجل».

قالت آمرأةٌ من ولد حسّانَ بن ثابت: [طويل]

فتىً ذاقَ طعمَ العيشِ منذُ قريبِ ... سَلِ الخيرَ أهلَ الخيرِ قدْماً ولا تَسَلْ[1]

ومن المشهور قولُ بعض المحدَثين: [خفيف]

حسنُ ظنٍّ إليكَ أكرمكَ اللـ ... ـه دعاني فلا عَدِمتَ الصَّلاحَا

ودعاني إليكَ قولُ رسول اللـ ... ـه إذا قال مُفصِحاً إفْصاحَا

إن أردتُم حوائجاً عند قومٍ ... فتنقَّوْا لها الوجوهَ الصِّباحَا[2]

وقال آخر: [كامل]

إنّا سألنا قومَنا فخيارُهْم ... مَن كان أفضلَهم أبوه الأوّلُ

أعطى الذي أعطى أبوه قبلَه ... وتبخَّلتْ أبناءُ مَنْ يتبخّلُ

وقال خالدُ بن صفوانَ: فوتُ الحاجةِ خيرٌ من طلبها إلى غير أهلها، وأشدُّ من المصيبة سوءُ الخَلَفِ[3] منها.

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال: مسلمُ بنُ قُتَيبة: لا تَطلُبَنَّ حاجتكَ إلى كذّابٍ فإنه يُقَرّبُها وهي بعيدٌ ويُبعّدها وهي قريب[4]، ولا إلى أحمقَ فإنه يريد أن ينفعَكَ فيضرُّكَ، ولا إلى رجل له عند من تسأله الحاجةَ مأكَلةٌ[5]، فإنه لا يُؤثِركَ على نفسه.

---

(١) أي لا تسأل حديث النعمة لأنّه يكون بها ضنينا.

(٢) تنقّوا: اختاروا، والوجوه الصباح: أي الجميلة المستبشرة.

(٣) الخلف: العاقبة.

(٤) بعيد وقريب على وزن «فعيل» يوصف بهما الذّكر والأنثى والمفرد والجمع ومنه قوله تعالى: ﴿إنّ رحمة الله قريب من المحسنين﴾.

(٥) المأكلة: الوليمة، أو هي اليدُ والصنيع.

أنشدَنا الرِّياشيّ لأبي عَوْنٍ: [وافر]

ولستُ بسائِلِ الأعرابِ شيئاً حَمِدتُ الله إذ لم يأكُلوني

وقال ميمونُ بن ميمون: لا تَطلُبَنَّ إلى لئيم حاجةً، فإن طلبتَ فأجِّلْه حتى يروضَ نفسَه.

هارونُ بن معروفٍ عن ضَمْرة عن عثمانَ بن عَطَاء، قال: عطاء الحوائج عند الشباب أسهلُ منها عند الشيوخ؛ ثم قرأ قولَ يوسفَ: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾[1] وقولَ يعقوبَ: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[2].

وقال بشارٌ: [متقارب]

إذا أيقَظَتْك حروبُ العِدا فنَبِّه لها عُمَراً ثم نَمْ

فتىً لا يَبيتُ على دِمْنَةٍ ولا يشرَبُ الماءَ إلا بِدَمْ[3]

يَلَذُّ العطاءَ وسفكَ الدِّماء فيغدُو على نِعَمٍ أو نِقَمْ

وقال أبو عبّادٍ الكاتبُ: لا تُنزِلْ مُهِمَّ حوائجكَ بالجيِّد اللسان، ولا المتسرِّع إلى الضَّمان، فإنّ العجزَ مقصورٌ على المتسرّع؛ ومَن وعَد ما يَعجِزُ عنه فقد ظلَم نفسه وأساء إلى غيره؛ ومن وَثِقَ بجَودة لسانه ظنّ أنّ في فصل بيانه ما ينوبُ عن عذره وأن وعَده يقوم مَقامَ إنجازه. وقال أيضاً: عليك بذي الحَصَرِ البَكِيّ[4]، وبذي الخِيمِ[5] الرضِيّ، فإنّ مثقالاً من شدّة الحياء والعِيّ،

(١) سورة يوسف الآية ٩٢.

(٢) سورة يوسف الآية ٩٨.

(٣) الدِمنة: جمعها الدّمن، وهي آثار الناس وما تركوا من أقذار.

(٤) الحصر البكي: العيُّ والقليل الكلام.

(٥) الخيم: : السجيّة والطبع.

أنفعُ في الحاجة من قِنطارٍ من لسانٍ سَليطٍ ذكيّ، وعليك بالشّهم النَّدْب[1] الذي إن عجزَ أيأسَك، وإن قدرَ أطعمك.

قال بعضُ الشعراء: [كامل]

لا تَطلُبنّ إلى لئيم حاجةً ... واقعُدْ فإنكَ قائماً كالقاعدِ
يا خادعَ البُخلاءِ عن أموالهم ... هيهاتَ! تضرِبُ في حديدٍ بارد

وقال آخرُ: [طويل]

إذا الشافعُ استقصَى لكَ الجُهدَ كلَّه ... وإن لم تَنَلْ نُجْحاً فقد وَجَب الشُّكرُ

وقال آخر[2]: [كامل]

وإذا آمرؤٌ أسدَى إليك صنيعةً ... مِن جاهه فكأنّها من مالِهِ[3]

ذكر أعرابيّ رجلاً، فقال: كان والله إذا نزلَتْ به الحوائجُ قام إليها ثم قام بها، ولم تَقعُد به عِلاّتُ النفوس[4].

قال الشاعرُ: [بسيط]

ما إنْ مَدَحتُكَ إلاّ قلتَ تخدَعُني ... ولا استَنتُكَ إلا قلتَ مشغُولُ

ابنُ عائشةَ[5] قال: كان شبيبُ بن شيبة رجلاً شريفاً يَفزَعُ إليه أهلُ البصرة في حوائجهم، فكان إذا أراد الركوبَ تناولَ من الطعام شيئاً ثم ركِبَ؛ فقيل له: إنك تُباكِر الغداءَ! فقال: أجَلْ! أُطفِىءُ به فَوْرَةَ جوعي، وأقطَعُ به

(١) النّدب: الخفيف إلى النجدة وتلبية الحاجة.
(٢) هو أبو تمّام الطائي.
(٣) أسدى: قدّم والصنيعة: العطاء والمعروف.
(٤) علاّت النفوس: الأحداث التي يشغل الرجل بها نفساً منعاً وتهرّباً.
(٥) إبن عائشة: هو عبيد الله بن محمد بن حفص بن معمر التيمي، أبو عبد الرحمن عالمٌ بالحديث والسّير، أديب من أهل البصرة.

خُلوف(١) فمي، وأبلغُ بـه قضاء حـوائجي، فخذ من الـطعام مـا يُـذْهِبُ عنـك النَّهَمَ؛ ويُدَاوِي من الخَوَى(٢).

قال بعضُ المحدَثين: [طويل]

لعمـرُكَ مـا أخلقتُ وجهـاً بـذلتُـه إليـكَ ولا عـرّضتُـه لـلمَعَـايِـرِ(٣)
فتىً وفَـرتْ أيدي المحـامد عِـرضَـه وخَلَّت لـديـه مـالَـه غيـرَ وافِـرِ

وقال آخر: [طويل]

أتـيتُـكَ لا أُدلـي بـقُـرْبَى ولا يـدٍ إلـيـك سـوَى أنّي بـجُـودكَ واثِـقُ
فـإنّ تُـولِني عُـرفاً أكنْ لـكَ شـاكـراً وإن قلتَ لي عذراً أقلْ أنت صادِقُ(٤)

وقـال رجلٌ لآخـر في كلامـه: أيدِينا ممدودةٌ إليـكَ بالـرغبة، وأعنـاقُنـا خاضعةٌ لك بالذِّلّة، وأبصارُنَا شاخصةٌ إليك بالشكر؛ فافعَـلْ في أمورنـا حَسَبَ أملِنا فيكَ، والسلامه.

الإجابة إلى الحاجة والردّ عنها

قال رجل للعبّاس بن محمد: إنّي أتيتُكَ في حاجةٍ صغيرة؛ قال: اطلب لها رجلاً صغيراً. وهذا خـلافُ قولِ عليّ بن عبـد الله بن العبّاس لـرجل قـال له: إني أتيتكَ في حاجةٍ صغيرةٍ، فقال له عليّ بن عبد الله: هاتها، إنّ الرجل لا يصغرُ عن كبير أخيه ولا يكبُرُ عن صغيرهِ.

(١) الخلوف: رائحة الفمّ.
(٢) الخوى: يقال خوتِ الدار: أي خلت وأقوت ومنها قوله تعالى: ﴿فتلك بيوتهم خاوية﴾.
(٣) أخلق وجهه: بلاه وأهانه،، والمعاير: المعايب.
(٤) العرف: الكرم والمعروف.

قال رجل للأحنف[1]: أتيتُكَ في حاجةٍ لا تَنْكيكَ و لا تَرْزَؤكَ[2]، قال: إذاً لا تُقْضَى! أمثلي يؤتَى في حاجةٍ لا تَنْكي ولا ترزَأ!.

جاء قومٌ إلى رجل يُكلّمونه في حاجةٍ لهم ومعهم رَقَبةُ، فقال لرقبةَ: يضمَنُونَها؟ فقال له رَقَبة: جئناكَ نطلُب منكَ فضلَ التوسُّعِ[3] فأدخلتَ علينا همَّ الضَّمان.

أتى عمرُو بن عُبيد حفصَ بن سالم، فلم يسأله أحدٌ من حَشَمِه شيئاً إلا قال: لا؛ فقال عمرو: أقِلَّ من قول: «لا» فإن لا ليستْ في الجنة.

كان رسولُ الله ﷺ إذا سُئل ما يَجِدُ أعطَى، وإذا سُئلَ ما لا يجِد قال: «يصنع الله».

قال عمرُ بن أبي ربيعةَ: [خفيف]

إنّ لي حاجةً إليكِ فقالت بين أُذْني وعاتقي ما تُريدُ

أي قد تضمَّنتُه لك فهو في عُنُقي.

سأل رجلٌ قوماً؛ فقال له رجل منهم: اللهمّ هذا سائلُنا ونحن سُؤَّالُكَ، وأنت بالمغفرة أجودُ منّا بالعطاء: ثم أعطاه.

سأل رجلٌ رجلاً حاجةً؛ فقال: اذهَبْ بسلام؛ قال السائلُ: أنْصَفَنا مَنْ رَدَّنا في حوائجنا إلى الله عزّ وجلّ.

قال رجل لثُمَامةَ: إن لي إليكَ حاجةً؛ قال ثمامةُ: ولي إليكَ حاجةٌ؛

(١) الأحنف بن قيس بن معاوية بن حُصين المرّي السعدي التميمي أبو بحر سيد تميم. أحد العظماء الدهاة الشَجعان الفاتحين يُضرب به المثل.

(٢) لا تنكيك: لا تنال منك ولا ترزؤك: لا تصيبك.

(٣) التوسُّع: أي التفضُّل في سعةٍ وبسط.

قال: وما هي؟ قال: لا أذكرها حتى تتضمَّنَ قضاءها؛ قال: قد فعلتُ؛ قال: حاجتي ألّا تسألني هذه الحاجةَ؛قال: رجعتُ عما أعطيتُك؛ قال ثمامةُ[1]: لكنّي لا أردّ ما أخذتُ.

قال الجاحظ: تمشّى قومٌ إلى الأصمعيّ مع رجل آشترى منه ثمرةَ نخله، فناله فيها خُسرانٌ وسألوه حسنَ النظر له؛ فقال الأصمعيّ: أسَمِعتُم بالقِسْمة الضِّيزَى[2]! هي ما تُريدونَ شيخَكم عليه، اشترى منّي على أن يكونَ الخسرانُ عليّ والربحُ له! اذهبوا فاشتروا لي طعامَ السَّوَاد[3] على هذا الوجه والشرط. ثم قال: ها هنا واحدةٌ هي لكن دوني، ولا بدّ من الاحتمال لكن إذا لم تحتملوا لي، هذا ما مَشَيتم معه إلا وأنتم تُوجبون حقّه وتُحِبُّون رِفدَه، ولو كنتُ أُوجِبُ له مثلَ الذي توجبونَ لقد كنتُ أغنيتُه عنكم، ولكن لا أعرِفُه ولا يضرّنّني بحقّ؛ فهَلُمَّ فلنتوزَّعْ هذا الخسرانَ بيننا بالسوء؛ فقاموا ولم يعودوا، وأَيِس التاجرُ فخرج له من حقّه.

قال يزيدُ بن عُمَير الأُسَيِّدِي لبَنِيه: يا بَنيّ، تعلّموا الردّ فإنه أشدّ من الإعطاء، ولأن يعلمَ بنو تميم أن عند أحدكم مائةَ ألف درهم أعظمُ له في أعينهم من أن يَقسِمَها فيهم، وَلأنْ يقال لأحدكم: بخيلٌ وهو غنيٌّ خيرٌ له من أن يقال: سخيٌّ وهو فقير.

(١) هو ثمامة بن شرس النميري أبو معن من كبار المعتزلة وأحد الفصحاء البلغاء المقدّمين اتصل بالرشيد. من تلاميذة الجاحظ.

(٢) القسمة الضيزي: الناقصة الجائرة.

(٣) السّواد: الريف.

وقال إسحاق بن إبراهيم[١]: [كامل]

النصـرُ يُقـرِئـكَ السـلامَ وإنّمـا ... أهـدَى السلامَ تعـرّضـاً لِلمَـطْمَـعِ

فـاقـطَعْ لُبـانَتَهُ بيـأسٍ عـاجـلٍ ... وأرِحْ فؤادَكَ من تقـاضِي الأضلُعِ[٢]

ذكـر ثُمامـةُ محمدَ بن الجَهْم فقـال: لم يُطمِـعْ أحـداً قطّ في مـالـه إلا ليشغَلَهُ بالطمع فيه عن غيره، ولا شفَع لصديقٍ ولا تكلّم في حاجةِ مُتَحرِّمٍ به، إلا ليُلَقِّنَ المسؤولَ حُجّةَ منع، وليفتَح على السائل بابَ حِرمانٍ.

كتب سهلُ بن هارون[٣] إلى موسى بن عمران: [كامل]

إنّ الضميـرَ إذا سـألتُـكَ حـاجـةً ... لأبي الهُـذَيـل خـلافُ مـا أُبـدِي[٤]

فـامنعْـه رَوْحَ اليـأس ثم امـدُد لـه ... حبـلَ الـرجـاء لمُخْلِفِ الـوعـدِ

وألِنْ لـه كَنَفـاً ليحسُنَ ظنـه ... في غـيـر مَـنـفـعـةٍ ولا رِفْـدِ

حتـى إذا طـالـتْ شقـاوَةُ جَـدّه ... وعـنـاؤه فـاجْـبَـهْـهُ بـالـردّ[٥]

قيل لحُبّي المَدينيّةِ: ما الجُرْحُ الذي لا يندمِلُ؟ قـالت: حاجـة الكريم إلى اللئيم ثم يردّه. قيل لها: فما الذلّ؟ قـالت: وقوف الشـريف بباب الـدنيء ثم لا يُؤْذَنَ له. قيل: فما الشرفُ؟ قالت: اعتقاذ المِنَنِ في رِقاب الرجال.

قال مَعْنُ بنُ زائدة[٦]: ما سألني قطّ أحـدٌ حاجـةً فرددتُـه إلا رأيتُ الغنى

---

(١) هو إسحاق بن إبراهيم بن ميمون التميمي الموصلي. أبو محمد بن النديم من أشهر ندماء الخلفاء. تفرّد بصناعة الفناء وكان عالماً باللغة والموسيقى.

(٢) اللبانة: الحاجة.

(٣) هو سهل بن هارون بن راهبون. أبو عمر الدستميساني. كاتب بليغ حكيم. من واضعي القصص اشتهر في البصرة واتصل بالرشيد والمأمون.

(٤) أبو هذيل: هو أبو هذيل بل العلاّف أحد رؤوس المعتزلة وكان يبخّل.

(٥) جدّه: خطّه وبخته، وجبهتُه: واجهَهُ.

(٦) هو معن بن زائدة بن عبد الله بن مطر الشيباني أبو الوليد. من أشهر أجواد العرب وأحد الشجعان الفصحاء أدرك العصرين الأموي والعباسي.

في قفاه.

روى عليّ بن مُسْهرٍ عن هشام عن أبيه قال: قال عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه: أعلمتُمْ أن الطمعَ فقرٌ، وأن اليأس غِنىً، وأن المرءَ إذا يئس من شيء استغنى عنه.

وقال آخر في كلامٍ له: كُلُّ ممنوعٍ مُسْتَغْنىً عنه بغيره، وكلُّ مانع ما عنده ففي الأرض غِنىً عنه.

وقد قيل: أرخص ما يكون الشيءُ عند غَلاَئه.

وقال بشارٌ: والدرُّ يُتركُ من غَلائِه.

قال شُرَيح[1]: مَنْ سأل حاجةً فقد عرَض نفسَه على الرقّ، فإن قضاها المسؤولُ استعبده بها، وإن ردّه عنها رجع حرّاً وهما ذليلان: هذا بذُلّ البخل، وهذا بذلّ الردّ.

وقال بعضُهم: مَن سألكَ لم يُكرم وجهَه عن مسألتكَ، فأكرِم وجهَكَ عن ردّه.

وكان رسولُ الله ﷺ «لا يردّ ذا حاجةٍ إلا بها أو بميسورٍ من القول».

وقال أسماءُ بن خارجةَ: ما أُحِبُّ أن أردّ أحداً عن حاجةٍ؛ فإنه لا يخلوا من أن يكون كريماً فأصونَه، أو لئيماً فأصون منه نفسي.

وقال أعرابيّ سأل حاجة فرُدَّ عنها: [بسيط]

ما يمنعُ الناس شيئاً كنتُ أطلبُه إلاّ أرَى اللهَ يكفي فقدَ ما منَعُوا

---

(١) هو شريح بن الحارث بن قيس بن جهم الكندي، أبو أميّة، من أشهر القضاة الفقهاء في صدر الإسلام، أصله من اليمن.

أتى رجلٌ الحسنَ بن عليّ رضي الله عنهما يسألـه؛ فقـال الحسن: إن المسألة لا تصلُحُ إلا في غُـرْمٍ فادحٍ أو فقـرٍ مُدْقِـع أو حَمالـة مُفظِعـةٍ؛ فقـال الرجل: ما جئتُ إلا في إحداهنّ، فأمر له بمائة دينار، ثم أتى الرجلُ الحسينَ ابن علي رضي الله عنهما فسألـه، فقال لـه مثل مقـالةِ أخيـه، فرَدّ عليـه كما رَدّ على الحسن؛ فقـال: كم أعطاك؟ قـال مـائـةَ دينـار، فنقَصـه دينـاراً. كـره أن يساوي أخاه. ثم أتى الرجلُ عبدَ الله بن عمرَ رضي الله عنهمـا فسألـه فأعـطاه سبعـة دنـانيـر ولم يسألـه عن شيء؛ فقـال الـرجـل لـه: إني أتيتُ الحسنَ والحسينَ، واقتصَّ كـلامَهما عليـه وفِعلَهُما بـه؛ فقال عبـدُ الله: ويحكَ! وأنَّى تجعلني مثلَهما! إنهما غُرَّا العلمَ غُرَّا المالَ[١].

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال: جاء شيخٌ من بني عَقيـلٍ إلى عمرَ ابن هُبيرةَ، فمَتَّ بقرابـةٍ وسألـه فلم يعطه شيئـاً؛ فعاد إليـه بعد أيـام فقال: أنـا العقَيليّ الذي سألكَ منذ أيام؛ فقال عمر: وأنا الفَزَارِيّ الذي منعَك منذ أيام؛ فقال: معذرةً إلى الله! إني سألتك وأنا أظنك يزيدَ بن هُبيرة المحارِبيّ؛ فقال: ذاك الأمُ لك، وأهونُ بك عليّ، نشأ في قومك مثلي ولم تعلم به، ومات مثـلُ يزيد ولا تعلم به! يا حَرَسيّ اسْفَعْ[٢] بيده.

أتى عبـدَ الله بنَ الـزبيـر أعـرابيٌّ[٣] يسألـه، فشكـا إليـه نَقَبَ[٤] نـاقتِـه واستحمله[٥]؛ فقـال له آبنُ الـزبير: ارقَعهـا بسبتٍ[٦] واخصِفْهَا بهُلبٍ[٧] وافعـل

(١) غرّ العلم: ألقماه وزقّاه زقًا.
(٢) أسفع بيده: أقبضها واجذبها.
(٣) هو عبد الله بن فضالة بن شريك الـوالبي الأسدي كمـا في الأغاني ج ١ ص ١٥ ط دار الكتب المصرية، وقد رويت فيه هذه الحكاية باختلاف عمّا هنا.
(٤) النقب: رقّةٌ وتثقُّب في خفّ البعير.
(٥) استحمله: طلب إليه أن يحمله على ناقةٍ له.
(٦) السِّبت: جلد البقر المدبوغ بالقرظ تحذي منه النعال السبتية.
(٧) الخصف: ومنه خصفُ النعل أي ربطه وخرزة، والهلّب: شعر الخنزير الذي يخرز به.

وافعل. . . ؛ فقال الأعرابيّ: إني أتيتُك مُستوصِلاً[1] ولم آتِكَ مُستوصِفاً، فلا حملَتْ ناقةٌ حملَتني إليكَ! فقال: إنَّ[2] وصاحِبَها.

والعربُ تقول لمن جاء خائباً ولم يظفَر بحاجته: «جاء على غُبَيْراءِ الظهرِ»[3].

وتقول هي والعوامّ: «جاء بخُفَّيْ حُنَينٍ» و«جاء على حاجبه صُوفةٌ».

وقال أبو عطاء السِّنْدِيّ[4] في عمرَ بن هُبَيرة: [وافر]

ثلاثٌ حُكْتُهنّ لقرم قيسٍ … طلبتُ بها الأخوةَ والثناءَ[5]
رجَعْنَ على حواجبهن صُوفٌ … فعند الله أحتسِبُ الجزاء

والأصل في قولهم: «جاء بِخُفَّيْ حُنَيْن» أن إسكافاً من أهل الحِيرة ساومَه أعرابيٌّ بخفَّيْن، فاختلفا حتى أغضبه، فازداد غِيظ الأعرابيّ؛ فلما ارتحل أخذ حُنَيْنٌ أحد خفَّيْه فألقاه على طريقه ثم ألقى الآخَرَ في موضع آخر؛ فلما مرّ الأعرابيّ بأحدهما قال: ما أَشبَهَ هذا بخفّ حنين! ولو كان معه الآخر لأخذته، ومضى؛ فلما انتهى إلى الآخر نَدِم على تَرْكه الأوّل، وأناخ راحلتَه فأخذه ورجع إلى الأوّل، وقد كمَن له حنينٌ فعمَد إلى راحلته وما عليها فذهب به؛ وأقبل الأعرابيّ ليس معه غيرُ الخفّين؛ فقال له قومه: ما الذي أتيتَ به؟ قال: بخفيْ حنين.

قالوا: فإن جاء وقد قُضِيتْ حاجتُه قيل: «جاء ثانياً من عِنانِه». فإن جاء

---

(١) المستوصل: الطالب للوصل أي الصّلة والعطاء.
(٢) إنّ: هنا بمعنى نعم.
(٣) غبيراء الظهر: الأرض، تصغير الغبراء.
(٤) أبو العطاء السّندي: اسمه مرزوق مولى أسد بن خزيمة وكان جيدّ الشعر. وكانت فيه عجمة.
(٥) القرم: السيد العظيم.

ولمّا تُقْضَ حاجتُه وقد أصِيب ببعض ما معه، قالوا: «ذهب يبتغى قَرْناً فلم يَرْجع بأُذُنْين». يقول بشار: [سريع]

فكنتُ كالعَيْرِ غَدَا يبتغِي قَرْناً فلم يَرجِعْ بأُذْنَيْنِ[1]

سأل أعرابيٌّ قوماً، فقيل له: بُورك فيك! فقال: وكَلَكم الله إلى دعوةٍ لا تحضُرها نِيّة.

أرسل الوليد خيلاً في حَلْبةٍ، فأرسل أعرابيٌّ فرساً له فسبقَت الخيلَ؛ فقال له الوليد: احمِلني عليها؛ فقال: إنّ لها حُرمةً، ولكني أحمل على مُهْر لها سَبَقَ الخيل عام أوّل وهو ريّض[2].

وتقول العرب فيمن يَشْغَلُه شأنُه عن الحاجةِ يُسْأَلُها: «شَغَلَ الحَلْىَ أهلُه أن يُعَارا» بِنَحصب الحلى، ويعار: من العارية. فأمّا قولهم: «أحقُّ الخيل بالركض المعار». فإنّ المُعار[3]: المَنْتوف الذَّنَبِ وهو المَهْلُوب؛ يريدون أنه أخفّ من الذيّال الذنب[4]، يقال: أعَرْتُ الفرس إذا نتفته.

وتقول العرب لمن سُئل وهو لا يَقدِر فرَدّ: «بيتي يَبْخَل لا أنا»؛ يريدون أنه ليس عنده ما يُعطي.

ووعد رجلٌ رجلاً فلم يَقدِرْ على الوفاء بما وعده؛ فقال له: كذَبْتَني؛ قال: لا، ولكن كذَبَك مالي.

وتقول العرب فيمن اعتذر بالمنع بالعُدْم وعنده ما سُئل: «أبى الحَقِينُ

(١) العير: الحمار الوحشي. (٢) الرّيض من الدواب: الذي لم يذلّل.
(٣) المعار: المسمّن، وقيل: المضمر.
(٤) الذّيّال الذنب: أي طويلة.

العِذرة»[١]. قال أبو زيد: وأصله أن رجلاً ضاف قوماً فاستسقاهم لبناً، وعندهم لبنٌ قد حَقَنوه في وَطْبٍ[٢]، فاعتذروا أنه لا لبنَ عندهم؛ فقال: أَبَى الحَقِينُ العِذْرةَ. ويقال: العِذْرةُ طَرَف البخل».

وقال الطائي يذكر المَطْل[٣]: [وافر]

وكانَ المَطْلُ في بدءٍ وعَوْدٍ ... دُخَاناً للصنيعةِ وهي نارُ
نسيبُ البخلِ مذ كانا وإن لم ... يكن نسبٌ فبينهما جِوارُ
لذلك قِيل بعضُ المنعِ أدنى ... إلى جُودٍ وبعضُ الجود عارُ

قال إسماعيل القراطيسيّ[٤] في الفضل بن الربيع: [هزج]

لئن أخطأت في مدحِـ ... ـك ما أخطأتَ في منعي
لقد أحللتُ حاجاتي ... بوادٍ غيرِ ذي زَرْعِ

غزا المُنْذِرُ بن الزُّبَيْر في البحر ومعه ثلاثون رجلاً من بني أسد بن عبد العُزّى؛ فقال له حكِيم بن حِزام[٥]: يآبن أخي، إني قد جعلتُ طائفةً من مالي لله عزّ وجلّ، وإني قد صنعتُ أمراً ودعوتكم له، فأقسمتُ عليك لا يردُّه عليّ أحدٌ منكم؛ فقال المُنْذِر: لاها اللهِ إذا[٦]، بل نأخذ ما تُعطِي، فإن نَحْتَجْ إليه

---

(١) الحقين: اللبن المحقون، والعِذرة: العذر.
(٢) الوطب: سقاء اللبن.
(٣) المطل: أي المماطلة في وفاء الحقّ أو قضاء الحاجة.
(٤) هذان البيتان نسبهما ابن حجّة في خزانته ص ٥٤٠ ط بولاق لابن الرومي، ونسبهما صاحب الأغاني إلى القراطيسي في ترجمته له ج ٢٠ ص ٨٨.
(٥) هو حكيم بن حزام: بن خويلد بن أسد بن عبد العزّي، أبو خالد، صحابي قرشي، وهو بن أخي خديجة أمّ المؤمنين كان صديقاً للنبيّ قبل البعثة وبعدها.
(٦) أي لا يردّه عليك أحد والله إذاً، فالهاء هنا للقسم.

نَستعِنْ به ولا نكره أن يـأجُرَك اللهُ، وإن نستَغْنِ عنـه نُعطِه من يـأجُرنَـا اللهُ فيه كما أجرَكَ.

سأل أعرابيٌّ رجلًا يقال له: الغَمْر فأعطاه درهمين، فردّهما وقال:

[طويل]

جعلتُ لغَمـرٍ درهـميـه ولـم يكـن ... ليُغْنِيَ عنّي فـاقتي دِرْهمـاً غَمْـرِ[1]

وقلت لغمـرٍ خـذهمـا فـاصْـطَرِفْهمـا ... سـريعيْنِ في نقض المُـرُوءة والأجـرِ

أتمنَـعُ سُؤَّال العـشيـرةِ بـعــد مـا ... تَسَمَّيْتَ غمـراً واكتنيت أبـا بحـرِ[2]

اختلف أبو العَتَاهيةَ إلى الفضل بن الربيع في حاجةٍ له زمانـاً فلم يقضِها له، فكتب: [منسرح]

أكـلَّ طُـولِ الـزّمـانِ أنـتَ إذا ... جئتُـكَ في حـاجـةٍ تقـولُ غَـدَا!

لا جـعــل الـلهُ لــي إلـيـك ولا ... عنــدك مــا عشتُ حــاجـةً أبـداً!

وقال آخر: [بسيط]

إن كنتَ لم تَنْـوِ فيمـا قلتَ لي صِلةً ... فمـا انتفاعُـكَ من حَبْسي وتَـرديـدي

فـالمنـعُ أجمَلُه مـا كــان أعـجَلَه ... والمَـطْل من غيـر عُسْـرٍ آفـةُ الجـودِ

وقال آخر: [طويل]

بسـطتَ لسـاني ثم أوثقتَ نصفَـه ... فنصفُ لسـاني في امتداحـك مُطْلَقُ

---

(١) الفاقة: الفقر والحاجة.

(٢) الغمر: الكثير.

فـإن أنتَ لم تُنْجِزْ عِـدَاتي تـركتَني ... وباقي لسانِ الشكـر باليـأسِ مُوثَقُ[1]

وقال آخر: [خفيف]

يـا جـوادَ اللسـانِ من غيـر فعـلٍ ... ليتَ جُـودَ اللسـانِ في راحـتَيْكـا

المواعيدُ وتَنَجُّزها

ذكرَ جبّار بن سلْمَى عامرَ بن الطُّفَيْل[2] فقـال: كان والله إذا وعَـد الخيرَ وفَى، وإذا أوْعَدَ بالشرّ أخلفَ وعفا.

وأنشد أبو عمرو بن العَلَاء في مثل هذا المعنى: [طويل]

ولا يَرهَبُ ابنُ العمِّ ما عشتُ صَوْلتي ... ويـأمَـنُ منّـي صـولـةَ المتـهـدِّدِ

وإنِّـيَ إنْ أوعـدتُـه أو وعـدتُـه ... لَيكـذِبُ إيعادي ويَصْـدُقُ مَوْعِـدِي[3]

وكان يقال: وَعْدُ الكريم نقدٌ، ووعدُ اللئيم تسويف[4].

وقال عبد الصّمد بن الفضل الرَّقاشِيُّ (أبو الفضلِ والعباسِ الرَّقـاشِيَّيْن البغدادِيَّيْن) لخالد بن دَيْسم عامل الرَّيّ: [طويل]

أخـالـدُ إنّ الـرَّيّ قـد أجحفتْ بنـا ... وضـاق علينـا رَحْبُهـا ومَعـاشُهـا

وقـد أطْعمتْنـا منـكَ يـومـاً سحـابـةٌ ... أضـاء لنـا بـرقٌ وكفّ رِشاشُـهـا[5]

فـلا غيمُهـا يصحـو فَيُؤْيَسَ طـامـعٌ ... ولا مـاؤهـا يـأتي فتُـروَى عِـطاشُهـا

---

(١) عداتي: أي الوعود التي قطعتها لي.

(٢) عامر بن الطفيل: بن مالك بن جعفر العامري، من بني عامر بن صعصعة، فارس قومه، وأحد فتّاك العرب وشعرائهم وساداتهم في الجاهلية.

(٣) أوعدته: هدّدته من الوعيد، ووعدته: من الوعد.

(٤) التسويف: المماطلة.

(٥) كفّ رشاشها: امتنع مطرها وخيرها.

وقال رجل في الحجاج: [طويل]

كـأنّ فـؤادي بيـن أظـفـارَ طـائـرٍ ... من الخـوف في جـوّ السمـاء مُحَلِّقِ
حِـذارَ امـرىءٍ قـد كنتُ أعلم أنّـهُ ... متى مَـا يَعِدْ من نَفْسِـه الشرَّ يَصْـدُقِ

قال عمر بن الحارث: كنتُ متى شئتُ أجد من يَعِد ويُنجز، فقد أعياني مَنْ يَعِـد ولا يُنجز. قـال: وكانـوا يفعلون ولا يقـولـون، فقـد صـاروا يقـولـون ويفعلون، ثم صاروا يقولون ولا يفعلون، ثم صاروا لا يقولون ولا يفعلون.

قال بشار: [بسيط]

وَعَـدتَني ثم لم تُـوفِي بمَـوْعِـدَتي ... فكنتِ كـالمُزْنِ لم يُمـطِرْ وقد رَعَـدَا

هذا مثل قول العرب لمن يَعِدُ ولا يَفِي: «برقٌ خُلَّب»[1].

وقال آخر: [مجزوء الرمل]

قـد بَلَوْنـاكَ بحـمـد اللـ ... ـه إنْ أغـنَـى الـبَـلاَءُ
فـإذا جُـلُّ مـواعـيـ ... ـدِكَ والـجـحـدُ سـواء

وقال آخر: [طويل]

لهـا كـلَّ عـامٍ مـوعـدٌ غيـرُ نـاجـزٍ ... ووقتٌ إذا مـا رأْسُ حـولٍ تَجَـرَّمـا[2]
فـإنْ أوعـدتْ شـرّاً أتى دون وقتِـهِ ... وإن وَعَـدَتْ خيـراً أراثَ وأعتمـا[3]

وعد عبد الله بن عمر رجلاً من قـريش أن يزوّجه ابنته؛ فلمـا كان عنـد موته أرسل إليه فزوّجه إياها، وقال كَرِهتُ أن ألقى اللهَ عز وجلّ بثُلُث اتّفاق.

وقال الطائي: [بسيط]

---

(١) برقٌ خلّب: أي ليس وراءه مطر.
(٢) تجرّم: مضى وانقضى.
(٣) أراث وأعتم: كلاهما بمعنى أبطأ.

تقـولَ قـولَ الـذي ليس الـوفـاءُ لـه خُلْقـاً وتُنجـزُ إنجـازَ الـذي حلفا

وأثنى الله تبارك وتعالى على نبيّه إسماعيل ﷺ فقال: ﴿إنَّـهُ كَانَ صَـادقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيّاً﴾[1].

وقال بشّار يمدح: [متقارب]

إذا قـال تَـمَّ عـلى قَـوْلِـه ومـاتَ الـعَـنَـاءُ بِـلاَ أو نَـعَـمْ
وبـعضُ الـرجـالِ بِـمَـوْعُـوده قـريبٌ وبالفعـلِ تحت الرَّجَمْ[2]
كجـاري السَّرابِ تَـرَى لَمْعَـهُ ولـستَ بـواجـده عـنـدكَـمْ[3]

وقال العبّاس بن الأحنف: [كامل]

مـا ضـرّ مَنْ قـطعَ الـرجـاءَ ببخله لـو كـان عـلّلني بـوعـدٍ كـاذبِ

وقال آخر: [طويل]

عسى منـك خيرٌ من نَعَمْ ألفَ مـرّةٍ مِنَ آخَـرَ غـالَ الصِّـدقَ منه غـوائلُهْ

وقال نُصَيْب: [وافر]

يقـول فيُـحسِـنُ القـولَ آبـنُ ليـلَى ويفعـل فـوق أحسِن مـا يـقـولُ

وقال زيادُ الأعجم[4]: [مجزوء الكامل]

لله درُّك مـن فـتـىً لـو كنتَ تفعـلُ مـا تـقـولْ
لا خـيـرَ في كَـذِبِ الـجـوا دِ وحَـبَّـذا صِـدقُ البخيـلْ

---

(١) سورة مريم الآية ٥٤.
(٢) الرّجم: القبر أو الحجارة التي توضع عليه.
(٣) السّراب: الذي تراه نصف النّهار كأنّه ماءوهو ليس بشيء، وكمْ: للاستفهام والخبر..
(٤) هو زياد بن سليمان الأعجم، ويكنّى أبا أمـامة وهـو من عبد العين أحـد بني عامـر بن الحارث شاعر مشهور.

والعرب تضرب المثلَ في الخُلْف بعُرْقوب. قال ابن الكلبيّ[١] عن أبيه: كان عُرْقوب رجلاً من العماليق؛ فأتاه أخٌ له فسأله شيئاً؛ فقال له عُرْقـوب: إذا أطْلَعَ نخلي[٢]. فلما أُطْلع أتاه. قـال: إذا أَبْلح. فلما أبلح أتـاه، فقـال: إذا أَزْهَى[٣]. فلما أزهى أتاه، قال: إذا أَرْطَب[٤]. فلما أرطب أتاه، قال: إذا صـار تمراً. فلما صار تَمْراً جَدَّه[٥] من الليل ولم يُعطِ أخاه شيئاً.

قال كعبُ بن زُهَيْر: [بسيط]

كـانتْ مـواعيـدُ عُـرْقـوبٍ لها مَثَـلاً ... ومـا مــواعيــدُهــا إلاّ الأبــاطيــلُ

وقال الأشجعيّ[٦]: [طويل]

وعـدتِ وكـان الخُلْفُ منـكِ سجيَّـةً[٧] ... مـواعيـدَ عُـرْقـوبٍ أخـاهُ بِيَتْـرَبِ

هكذا قرأته على البِصْريين في كتاب سيبويه بالتاء وفتح الراء.

وقال الشاعر: [طويل]

متى مـا أقُـلْ يـومـاً لـطالبِ حـاجـةٍ ... نَعَمْ، أقضِها قُدْماً وذلك من شَكْلي

وإن قلتُ لا، بيَّنتُهـا من مـكـانهـا ... ولـم أُوذِهِ منهـا بـجـرٍّ ولا مَـطْلِ

ولَلْبَخْلَةُ الأُولى أقـلُّ مَـلامـةً ... من الجُـود بَـدْءاً ثم يُتْبـع بـالبُخْـلِ

---

(١) ابن الكلبي: هو محمدّ بن السائب بن بشر بن عمر بن الحارث الكلبي أبو النضر نسَّابة راوية راجع ترجمته في ١١٦.

(٢) أطلع النخل: أي خرج طلعه، والطلع للنخل كالعنقود للعنب.

(٣) أزهى: تلوّن ثمره بالحمرة أو الصفرة.

(٤) أرطب: أصبح رطباً، أي نضج.

(٥) جدّه: قطعه.

(٦) الأشجعي: هو هذيـل بن عبد الله بن مسـالم بن بلال الأشجعي شـاعرٌ مـاجن هجّاء من أهـل الكوفة.

(٧) السجية: الخلق والطبع، ويترب: موضعٌ قريبٌ من اليمامة.

وقال أبو نُوَاس لامرأة: [بسيط]

أنضيتِ أحرفَ لا ممّا لَهِجتِ بها ... فحوِّلي رحلَها عنها إلى نَعَمِ[1]

أو حوِّليها إلى «لا» فهي تَعْدِلُها ... إن كنتِ حاولت في ذا قلّةَ الكَلِمِ

قِستُم علينا فعارضنا قياسَكُمُ ... يا مَن تناهَى إليه غايةُ الكَرَمِ

وفي هذا معناً لطيفٌ.

كتب رجلٌ إلى صديق له: قد أفردتك برجائي بعد الله، وتعجَّلتُ راحةَ اليأس ممن يجود بالوعد وَيَضَنُّ بالإنجاز، ويحسُدُ أن يُفْضَل، ويَزْهَدُ أن يُفْضِل، ويعيبُ الكذبَ ولا يصدُق.

وقال آخر: [وافر]

وذي ثقةٍ تبدَّلَ حين أثْرَى ... ومن شِيَمي مراقبةُ الثِّقاتِ

فقلتُ له عَتَبْتَ عليّ إثماً ... فِراراً من مَؤوناتِ العِدَاتِ

فعُدْ لمودّتي وعليّ نَذْرٌ ... سألتُك حاجةً حتّى المماتِ[2]

وقال آخر في أصحاب النبيذ: [طويل]

مواعيدُهم رِبحٌ لمن يَعِدونَه ... بها قطعوا بردَ الشتاء وقاظُوا[3]

وقال مسلم[4]: [طويل]

لسانُك أحلَى من جَنَى النحلِ موعداً ... وكفُّك بالمعروف أضيقُ من قُفْلِ

تُمَنِّي الذي يأتيك حتّى إذا انتهَى ... إلى أجلٍ ناولْته طَرَفَ الحبلِ

وسأل خَلُف بن خليفة أبَان بن الوليد أن يَهبَ له جاريةً، فوعده وأبطأ

(١) أنضيت: اهزلت.

(٢) الكلام على تقدير «لا» أي نذرٌ عليّ أن لا أسألك حاجة.

(٣) القيظ: الحرّ.

(٤) هو مسلم بن الوليد الشاعر العبّاسي المعروف بصريع الغواني.

عليه؛ فكتب إليه: [طويل]

أرى حاجَتي عند الأميرِ كأنّما ... تَهُمُّ زماناً عنده بمُقَامِ
وأحْصَرُ من إذْكارِه إن لَقِيتُهُ ... وصدقُ الحياءِ مُلْجِمٌ بِلجامِ[1]
أراها إذا كان النهارُ نَسِيئةً ... وبالليلِ تُقضَى عندَ كلِّ منامِ[2]
فيا رَبِّ أخرِجْها فإنك مُخرِجٌ ... من المَيْتِ حَيّاً مُفصِحاً بكلامِ
فَتعْلَمَ ما شُكرِي إذا ما قَضَيتَها ... وكيف صَلاَتِي عندها وصِيامي
وإنْ حاجَتِي من بعد هذا تأخَّرتْ ... خَشِيتُ لما بي أن أزور غُلامِي

والعرب تقول: «أنجزَ حُرٌّ ما وَعَدَ».

وقال أميّة بن أبي الصَّلْت لعبد الله بن جُدْعان: [وافر]

أأذكُر حاجَتي أمْ قد كفاني ... حَياؤك إنّ شِيمتَكَ الحياءُ
إذا أثنَى عليك المرءُ يوماً ... كَفَاهُ مِنْ تَعَرُّضه الثناءُ[3]

وقال الطائيّ: [خفيف]

وإذا المجدُ كان عَوْني على المر ... ءِ تقاضَيْتُهُ بترك التَّقاضِي

وقال الزُّهْرِيّ: حقيق على مَنْ أَوْرَقَ بِوعدٍ، أن يُثمر بفعل.

وقال المُغيرةُ: من أخرّ حاجةَ رجلٍ فقد تضمّن قضاءها.

وقال الشاعر: [وافر]

كفاكَ مُذَكِّراً وجهي بأمري ... وحَسْبِي أن أراكَ وأنْ تَرَانِي
وكيف أحُثّ من يُعْنَى بشأني ... ويَعرِف حاجتي ويرى مكاني

---

(١) الحصر: العي.
(٢) النّسيئة: التأخير.
(٣) الثناء: الذّكر الطيب.

وقال الشاعر: [مجزوء الكامل المرفّل]

يـا صـاحِ قُـلْ فـي حـاجـتـي أذَكَـرْتَـهـا فـيـمـا ذكـرتَـا
إنّ الـسَّـراحَ مـن الـنـجـا ح إذا شَـقِـيـتَ بـمـا طـلـبـتَـا[1]

وقال آخر: [خفيف]

في تَصـدِّيـكَ للمـطالبِ إذْكـا رٌ بـوعـدٍ جـرى بـه المِقـدارُ

وكتب بعضُ الكتاب إلى صديق لـه: إن من العَجَب إذكارَ مَعْنِيٍّ، وحَث مُتيقِّظ، وآستِبْطاءَ ذاكرٍ، إلّا أن ذا الحاجة لا يَدعُ أن يقولَ في حاجته، حَلَّ بذلك منها أو عَقَلَ. وكتابي تذكِرةٌ والسلام.

وقال الطِّرِمّاحُ: [كامل]

أَلحسْنِ مَنْـزِلـتي تُـؤخِّـرُ حـاجتي أم ليسَ عنـدكَ لي بخيرٍ مَـطْمَـعُ

وقال حمزةُ بن بَيْضٍ[2] لمخلد بن يزيدَ بن المُهلَّب: [متقارب]

أتَينـاكَ في حـاجـةٍ فـآقضِهـا وقُـلْ مَـرْحبـاً يَجِبُ المـرحَ
ولا تَـكِـلَنّـا إلـى مَـعْـشَـرٍ متى يَعِـدوا عِـدَةً يكـذِبـوا

وقال بعض المحدَثِينَ: [منسرح]

حـوائـجُ الـنـاسِ كُلُّهـا قُـضِيَـتْ وحـاجـتـي لا أَراكَ تَـقْـضِـيـهـا
أنـاقـةُ الله حـاجـتـي عُـقِـرَتْ أم نَبَتَ الـخُـرْفُ في نـواحِيهـا[3]

---

(١) السّراح: قال في اللسان مادّة «سرح»: «وفي المثل السّراح من النجاح، أي إذا لم تقدر على قضاء حاجة الرجل فأيسه فإن ذلك عنده بمنزلة الاسعاف».

(٢) هو حمزة بن بيض بن نمر بن عبد الله بن شمر الحنفي من بني بكر بن وائل، شاعر مجيد، سائر القول كثير المجون من أهل الكوفة.

(٣) أناقة الله: يعني بناقة الله هنا، ناقة صالح التي عقرتها ثمود، والخرف: سوء الخطّ والطالع.

وقال جريرٌ لعمرَ بن عبد العزيز: [بسيط]

أأذكُر الضُّرَّ والبَلْوَى التي نزلتْ أم تكتفِي بالذي بُلِّغْتَ من خبري

وقال آخر: [طويل]

أروعُ لتسليمٍ عليك وأغتدِي وحسبُك بالتّسليم منّي تقاضيَا
كفى بِطلابِ المرءِ ما لا يَنالُه عناءً وباليأسِ المصرِّحِ ناهِيَا[1]

وقال آخر: [كامل]

ما أنتَ بالسّبب الضّعيف وإنما نُجْحُ الأمورِ بقوّةِ الأسبابِ
فاليومَ حاجُتنا إليك وإنّما يُدعَى الطبيبُ لكثرة الأَوْصَابِ[2]

كتب بعضُ الكتّاب إلى بعضِ السلطان: أنا أنزّهك عن التجمُّلِ لي بوعدٍ يطول به المَدَى ويَعْتزِله الوفاء، وأُحِبّ أن يتقرّرِ عندك أن أملي فيك أبعدُ من أن أختلِسَ الأمورَ منك آختلاسَ من يَرى في عاجِلك عِوضاً من آجِلك، وفي الراهنِ من يومِك بدلاً من المأمول في غَدِك، وألّا تكون منزلتي في نفسك منزلةَ مَنْ يُصرَفُ الطرفُ[3] عنه وتُسْتكرَهُ النفسُ عليه ويُتكلّفُ ما فوق العفوِ له، وأن تَختارَ بين العذرِ والشكرِ؛ فاللهُ يعلمُ أنّ آثَر الحظّينِ عندي أحقُّهما عليكَ، وأصوبُهما لحالِي عندك.

وفي كتاب: ذو الحرمة مَلُومٌ على فَرْطِ الدّالّةِ، كما أنّ المتحرَّمَ به مذمومٌ على التناسي والإزالة. ومن مذهبي الوقوفُ بنفسي دون الغاية التي يُقَدّمني إليها حقّي، لأمرين: أحدُهما ألّا أرضى بدون الحقّ أزيدَ في الحقِّ.

---

(١) اليأس لمصّرح: الخالص الذي ليس للإنسان معه أمل في شيء، ومنه الصّريح النسب: أي الخالص الصافي.

(٢) الأوصاف: الأمراض الموجعة.

(٣) الطرف: العين والنظر.

والثاني أن أرى النفيس من الحظّ زهيداً إذا أتى من جهة الإرهاقِ. ولِي ذِمامُ المودّةِ الصادقةِ التي كلُّ حُرْمةٍ تَبَعٌ لها، وحق الشكر الذي جعله الله وفاءً بالنعم وإن جلّ قدرُها؛ وأنتَ مُرَاعِي المعالي وحافِظُ بقيَّةِ الكرم؛ فأيُّ سبيلٍ لِلعذِر، بل أيّ موضع لِلإكداء بين حُرْمتي ورِعايتك، وذِمَامِي وكرمِك!.

قال أحمد بن يوسف: أوّلُ المعروفِ مُسْتَخفٌّ، وآخرُه مُسْتَثْقَلٌ؛ يكاد أوّلُه يكون اللهوى دون الرأي، وآخرُه للرأي دون الهوى. ولذلك قيل: رَبُّ[1] الصّنيعةِ أشدُّ من آبتدائها.

قال أبو عطاء السِّنْديّ في يزيدَ بن عمر بن هُبَيرة: [وافر]

ثلاثٌ حُكْتُهنَّ لقَرْمِ قيسٍ رجَعْنَ إليّ صِفْراً خائِباتِ[2]
أقام على الفُرات يزيدُ شهراً فقال الناسُ أيُّهما الفراتُ[3]
فيا عجباً لبحرٍ فاض يسقِي جميعَ الناسِ لم يَبْلُلْ لَهَاتِي[4]

حال المسؤول عند السؤال

قال الشاعر[5]: [وافر]

سألناه الجزيلَ فما تَلَكّا وأعطى فوق مُنيتنا وزادا[6]
مِراراً ما أعود إليه إلّا تبسّم ضاحكاً وثَنى الوسادا

وقال آخرُ: [كامل]

---

(١) ربَّ الصنيعة ربّاً: أي نمّاها وتعهّدها.

(٢) القرم: السيد.

(٣) في البيت إقواء، وهو تغيرّ حركة الرديّ عمّا قبله.

(٤) اللّهاة: اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم.

(٥) هو زياد الأعجم.

(٦) تلكّأ: أبطأ.

قـومٌ إذا نـزل الغـريبُ بـدارهم ... تـركـوه رَبَّ صَـوَاهـلٍ وقِيـانِ[١]
وإذا دعـوتَهُمُ لـيـومِ كـريهـةٍ ... سَـدُّوا شُعَاع الشمس بـالفُـرْسـانِ
لا ينقُـرُون الأرضَ عنـد سؤالهم ... لِتلَمُّسِ العِـلَّات بِـالعيـدانِ[٢]
بـل يبسُطون وجـوهَهم فترى لهـا ... عنـد السؤال كـأحسنِ الألـوانِ[٣]

وقال آخرُ: [مديد]

يَجعَـلُ المعـروفَ والبِـرَّ ذُخْـراً ... ويَعُـدّ الحمـدَ خيـرَ التِّجـارَهْ
وإذا مـا جئـتَـه تَـجـتـدِيـهِ ... خِـلْتَـه بشَّـرْتَـه بِـبشـارَهْ[٤]
فتـرى في الـطَّرْف منـه حيـاءً ... وتـرى في الـوجـه منـه آستِنـارَهْ

وقال آخر: [سريع]

إذا غـدا الـمـهـدِيُّ فـي جـنـده ... أو راح في آل الـرسـول الغِضـابْ
بـدا لـك المعـروفُ في وجهـه ... كالضوء يجرِي في ثنايا الكِعابْ[٥]

وأنشدني العُتْبيّ: [طويل]

لـه في ذُرَى المعروف نُعْمَى كـأنها ... مـواقـع مـاءِ المُـزن في البلد القَفْـرِ
إذا مـا أتـاه الـسـائلون تـوقّـدتْ ... عليـه مصـابيـحُ الـطلاقـةِ والبِشـرِ

والمشهور في هذا قول زهير: [كامل]

تَـراه إذا مـا جِئـتَـه مُـتـهـلّلاً ... كـأنّـك تُعـطِيه الـذي أنتَ سـائِلُهْ

---

(١) الصواهل: الخيل وغيرها. والقيان: العبيد، كناية عن كرمهم.
(٢) العلّات: الأعذار.
(٣) يبسطون الوجوه: أي يلقونك بالبشر وحسن الضيافة.
(٤) تجتديه: أي تطلب منه المعروف، من الجِدي.
(٥) الكعاب: جمع كاعب وهي الفتاة الناهد، والثنايا: أربع أسنان مقدّم الفم: ثنتان في الأعلى وثنتان في الأسفل.

وسأل رجل من الأعراب[١] رجلاً فلم يُعْطِه شيئاً؛ فقال: [طويل]

كَدَحْتُ بأظفاري وأعْمَلْتُ مِعْوَلِي ... فصادَفْتُ جُلْمُوداً من الصَّخر أملَسَا
تشاغلَ لما جئتُ في وجه حاجتي ... وأطرَق حتى قلتُ قد ماتَ أو عسَى
وأجمعتُ أن أنعَاه حين رأيتُه ... يفوقُ فُواقَ الموت ثم تَنفَّسَا
فقلتُ له لا بأسَ، لستُ بعائذٍ ... فأفْرَخ تَعلُوهُ الكآبةُ مُبلِسَا[٢]

وقال مسلمٌ: [منسرح]

أطرقَ لما أتيتُ ممتدِحاً ... فلم يقُلْ لا فضلاً على نَعَمِ
فخفتُ إن ماتَ أن أُقادَ به ... فقمتُ أبغى النَّجاءَ من أمَمِ[٣]
لو أنّ كنزَ البلادِ في يده ... لم يَدَعِ الإعْتِلالَ بالعَدَمِ[٤]

وقال الحارث الكِنْدِيّ: [وافر]

فلما أن أتيناه وقلنا ... بحاجتنا تَلوَّنَ لَونَ وَرْسِ[٥]
وآضَ بكفّه يَحْتكُّ ضِرساً ... يُرينا أنّه وَجِعٌ بِضرْسِ[٦]
فقلتُ لصاحبي أبِه كُزازٌ ... وقلتُ أسِرُّه أتُراه يُمْسِي[٧]
وقمنَا هاربيْن معاً جميعاً ... نُحاذِرُ أن مِزَنَّ بقَتلِ نَفسِ[٨]

قال الأصمعيّ:

دخل أعرابيّ على المُساوِرِ الضَّبِّيّ وهو بُنْدَارُ الرَّيّ[٩]، فسأله فلم يُعطِه

(١) تنسب هذه الأبيات للحطيئة الشاعر المخضرم.
(٢) العائذ: الملتجيء، وأفرخ روعه: ذهب. والمبلس: الحزين المفكرّ.
(٣) أقاد به: أي أن أُوخذ به، والأمَمْ: القرب.
(٤) الإعتلال بالعدم: أي التعلُّل بالفقر.
(٥) الورس: نبات أصفر اللون ينبت باليمن.
(٦) آض: صار وعاد.
(٧) الكزاز: داء يحصل من شدّة البرد، أوْ رِعدة.
(٨) نزنّ: نُتّهمُ.
(٩) البندار: الحافظ، والرّي: موضعٌ فى العراق.

شيئاً، فأنشأ يقول: [متقارب]

أتيتُ المساوِرَ في حاجةٍ فما زال يَسعُلَ حتى ضَرَطْ
وحكَّ قفاه بكُرْسُوعِه ومَسَّح عُثْنُونَه وامتَخَطْ[1]
فأمسكتُ عن حاجتي خِيفةً لأخرى تُقَطِّعُ شَرْجَ السَّفَطْ[2]
فأقسِمُ لو عُدتُ في حاجتي لَلَطَّخ بالسَّلْحِ وَشْيَ النَّمَطْ[3]
وقال غَلِطْنا حسابَ الخراج فقلتُ من الضَّرْطِ جاء الغَلَطْ

قال: فكان العاملُ كلَّما ركِبَ صاح به الصِّبيانُ: «من الضرط جاء الغلط فهرب من غير عَزْل إلى بلاد أصبهانَ.

وقال نهارُ بنُ تَوْسِعةَ[4] في قُتَيبَةَ بن مسلم: [بسيط]

كانتْ خُراسانُ أرضاً إذ يزيدُ بها وكلُّ بابٍ من الخيرات مَفتوحُ
فَبُدِّلَتْ بعدَه قِرداً نُطِيفُ به كأنّما وجْهُهُ بالخلِّ مَنضُوحُ[5]

وقال جرير: [طويل]

يَزيدُ يغُضّ الطَّرفَ دوني كأنّما زَوَى بين عينَيْهِ عليّ المحاجِمُ[6]
فلا يَنبَسِطْ من بينِ عينَيكَ ما انزوَى ولا تَلقَنِي إلا وأنفُكَ رَاغِمُ

وقال آخرُ: [منسرح]

لا تَسألِ المرءَ عن خلائِقه في وجهِهِ شاهدٌ من الخبَرِ

---

(١) الكرسوع: طرف الزند الذي يلي الخنصر، والعثنون: الأنف.
(٢) وشرج السّفط: كناية عن الاست.
(٣) السّلح: النجو والغائط، والنّمط: الفراش.
(٤) نهار بن توسعة بن أبي عتبان من بني بكر بن وائل، شاعربكر في خراسان، كان هجاءً وقد هجا قتيبة بن مسلم.
(٥) منضوح: مبلّل، والنّضح: رشّ الماء ورشحه من القربة.
(٦) زوى وجهه: تقبض، والمحاجم: جمع محجم، وهو قارورة الحجام.

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ عن الأبجْ عن التَّيِّ قال قال محمد بن واسع: إنك لتعرِف فجورَ الفاجر في وجهه.

قال أبو العتاهية: [متقارب]

مالي أرَى النّاس قد أبرقُوا بلُؤم الفِعال وقد أرعدوا[1]
إذا جئتَ أفضلَهم للسلا م ردّ وأحشاؤه تُرْعَدُ
كأنّكَ، من خشيةٍ للسّؤا ل، في عينه الحيّةُ الأسودُ

وقال آخر: [وافر]

إذا ما الرّزق أحجمَ عن كريمٍ فألجأه الزمانُ إلى زيادِ[2]
تلقّاه بوجهٍ مُكْفَهِرٍّ كأنّ عليه أرزاقَ العِبادِ

وقال آخرُ: [منسرح]

ولي خليلٌ ما مسَّني عَدَمٌ مذ نَظَرتْ عينُه إلى عَدَمِي
بشّرَني بالغِنَى تهلُّلُه وقبل هذا تهلُّلُ الخَدَمِ
ومِحنةُ الزائرينَ بَيِّنَةٌ تُعرَفُ قبل اللقاء في الحَشَمِ

العادةُ من المعروف تُقطَعُ

كان يقال: اِنتزاعُ العادةِ ذنبٌ محسوبٌ.

وقال أبو الأسود الدُّؤلي: [مديد]

ليت شعري عن أميري ما الذي غاله في الودّ حتى ودّعَهْ[3]
لا تُهِنّي بعد إذ أكْرَمتَني وشديدٌ عادةٌ مُنتَزعَهْ

(١) دخل هذا البيت الحرم وهو حذف الحرف الأول من فعولن، وفي هذه الحالة يسمّى «أثلم».
(٢) أحجم: امتنع وابتعد وتجافى.
(٣) غالة في الودّ: أي قيل له حتى تغيّر.

أُذكُـرِ الـبـلوَى الـتـي أبـلَيـتـنِي وكـلامـاً قُـلتَـهُ في الـمَجْـمَعَـهْ[١]
لا يـكُـنْ بـرقُـك بـرْقـاً خُـلَّبـاً إنّ خيـرَ البَـرْقِ مـا الـغيـثُ معَـهْ

والمشهورُ في هذا قولُ الأعشى: [كامل]

عَـوَّدتَ كِـنـدةَ عـادةً فـاصبِـرْ لهـا واْغفِـرْ لجـاهلهـا ورَوِّ سِجَـالَهـا[٢]

سأل أعرابيّ قوماً، فرَقَّ له رجلٌ منهم فضمّه إليه وأجرى له رزقاً أياماً ثم قطع عنه؛ فقال الأعرابيّ: [طويل]

تَسـرَّى فلمّـا حـاسبَ المـرءُ نفسَـه رأى أنّـه لا يستـقيـم لـه السَّـرْوُ[٣]

وقدِم أبو زيادٍ الكِلَابيّ مع أعرابٍ سنةَ القَحْمَة[٤]، فأجرى عليهم رجلٌ رغيفاً لكل رجلٍ ثم قَطَعه؛ فقال أبو زياد: [طويل]

إن يقـطعِ العـبّـاسُ عنّـا رَغيفَـهُ فـمـا يـأتِيني مـن نِعـمـةِ أكثـرُ[٥]

والحكماء تقول: «العادة طبيعةٌ ثانيةٌ».

وفي الحديث: «الخيرُ عادةٌ والشّرّ لجَاجَةٌ»[٦].

وقال بعضُ الشعراء لرجلٍ من الأشراف: [كامل]

ولقـد ضـرَبنـا في البـلاد فلم نَجِـد أحـداً سِـواكَ إلى المكـارم يُنْسَبُ
فـاصبِـرْ لعـادتـك التي عـوَّدَتنـا أو لاَ فـأرشِـدْنـا إلى مَنْ نَـذهَـبُ

وتقولُ العربُ فيمن اصطنعَ معروفاً ثم أفسده بالمنّ أو قطعه حين كاد

(١) المجمعة: موضع الإجتماع.
(٢) السّجال: جمع سجْل، وهي الدّلو.
(٣) تسرّي: تكلّف السّرو وهو السخاء.
(٤) القحمة: القحط.
(٥) دخل هذا البيت الحزم وقد تقدّم ذكره في صفحة ١٥٥ حاشية رقم ٤.
(٦) اللّجاجة: الإلحاح في الطلب.

يتمّ: «شَوَى أخوكَ حتى إذا أنضجَ رمَّد»[١].

قال أبو كعب القاصّ: كان رجل يُجرِي عليَّ رغيفاً في كلّ يوم، وكان يقول إذا أتاه الرغيفُ: لعنك الله ولعن من بعث بك، ولعنني إن تركتُك حتى أُصيبَ خيراً منك.

والعربُ تقولُ في مثل هذا: «خُذْ من الرَّضَفةِ ما عليها»[٢].

وقال الشاعر: [كامل]

وخُذِ القليلَ من اللئيم وذُمَّه   إنّ اللئيم بما أتى معذورُ

ومعذور: موسوم في موضع العِذار، وليس هو من العذر.

الشكر والثناء

حدّثني شيخ لنا عن وَكيع عن سفيان عن منصور عن هلال بن أساف[٣] قال قال ﷺ: «إذا صَلّى أحدُكم فَلْيُدْنِ عليه من سِتر بيته فإنّ الله عزّ وجلّ يَقسِمُ الثناء كما يَقسِمُ الرزقَ».

وحدّثني أيضاً عن وَكيع عن سعيد عن أبي عِمران الجَوْني عن عبد الله ابن الصّامت قال قال أبو ذرّ: قلتُ للنبيّ ﷺ: الرجلُ يعمَل العملَ ويحبّه الناس؟ قال: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى المؤمِن. وقال النبيّ ﷺ: إذا أَردتُم أن تَعْلَمُوا ما لِلْعبدِ عند اللهِ فانظُروا ما ذا يَتْبَعُه مِن الثَّناءِ».

---

(١) شوى: من الشيِّ بالنار، ورمّد: ألقى الشيء بالرماد.

(٢) الرّضفة: الحجارة المحّماة يسخّن بها اللبن، وهي إذا ألقيت في اللبن لزق بها شيء منه، وهذا المثل يضرب في اغتنام الشيء من البخيل حتى ولو كان نزراً.

(٣) هلال بن أساف: ترجم له في الخلاصة، وتهذيب التهذيب تحت إسم هلال بن يساف، وقال في التهذيب: ويقال ابن أساف، وهو من الصحابة.

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال: كان يقال: الثناء يُضاعَفُ كما تُضاعَفَ الحسناتُ؛ يكون الرجل سخِيّاً فيزيدُ اللهُ في سَخائِه، ويكون شُجاعاً فيزيدُ الله في شجاعته.

وحدّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ عن العُمَريّ قال: قال رجلٌ لعمر بن الخطّاب رضي الله عنه: إنّ فلاناً رجلُ صِدْقٍ؛ قال: سافرتَ معه؟ قال لا. قال: فكانت بينك وبينه خُصُومةٌ؟ قال لا. قال: فهل ائتمنتَه على شيءٍ؟ قال لا. قال: فأنت الذي لا علم لَك به، أُراك رأيتَه يرفع رأسَه ويَخْفِضه في المسجد!.

قال بعضُ الحكماء: إذا قَصُرتْ يدُك عن المكافأة فَلْيَطُلْ لسانُك بالشكر.

وقال آخرُ: حقُّ النِّعمةِ أن تُحْسِنَ لباسَها، وتَنسُبَها إلى وليّها، وتذكرَ ما تَنَاسى عندك منها.

وقال بعضُ الحارثيّين: [بسيط]

عثمانُ يَعلَمُ أنّ الحمدَ ذو ثمنٍ ... لكنّه يَشْتهِي حَمْداً بمَجّانِ[1]
والناسُ أكيَسُ من أن يَحْمَدُوا أحداً ... حتى يَرَوْا قبله آثارَ إحسانَ

وقال حمّادُ عَجْرَد: [بسيط]

قد يَنقِضي كلُّ ما أُولِيتَ من حَسَنٍ ... إذا أتى دونَ ما أُولِيتَ يومانِ
تَنْأَى بودّك ما استغنَيتَ عن أحدٍ ... وإن طمِعتَ فأنتَ الواصِلُ الدّاني
الشَّهدُ أنتَ إذا ما حاجةٌ عرَضَتْ ... وحَنْظَلٌ كلّما استغنيتَ خُطْبان[2]

(١) بمجّان: أي بدون ثمن.
(٢) أخطب الحنظل: أصفرّ وصار خطباناً، والحنظل نبات ثمره شديد المرارة.

وقال عِمْرانُ بن حِطّان[1]: [طويل]

وقد عَرَضَتْ لي حاجةٌ وأَظُنّني ... بأنّي إذا أنزلتُها بك مُنْجِحُ
فإن أكُ في أخْذ العطيّة مُرْبَحاً ... فإنك في بذل العطيّة أربَحُ
لأنّ لك العُقْبَى من الأجرِ خالصاً ... وشُكرِيَ في الدنيا، فحظُّك أرجحُ

وقال معاويةُ بن أبي سُفيانَ يعاتب قُرَيشاً: [طويل]

إذا أنا أعطيتُ القليلَ شكوتُمُ ... وإن أنا أعطيتُ الكثيرَ فلا شُكْرُ
وما لمتُ نفسي في قَضاء حقوقكمْ ... وقد كان لي فيما اعتذرتُ به عُذرُ
وأمنَحُكُمْ ما لي وتُكْفَرُ نِعمتي ... وتَشْتِمُ عِرضِي في مجالسها فِهْرُ[2]
إذا العذرُ لم يُقْبَلْ ولم يَنفعِ الأسى ... وضاقت قلوبٌ منهُمُ حَشْوُها الغِمرُ[3]
فكيف أُداوِي داءَكم ... يَزيدكم غَيّاً! فقد عَظُم الأمرُ
سأَحْرِمُكُمْ حتى يَذِلّ صِعابُكم، ... وأبلَغُ شيءٍ في صَلاحِكُمُ الفقرُ

وقال طُرَيْح الثَّقفيّ[4]: [طويل]

سَعَيْتُ ابتغاءَ الشكر فيما صنعتَ بي ... فقصّرتُ مغلوباً وإنّي لشاكرُ

ومثله قول الخُرَيْميّ[5]: [طويل]

لِأنك تُعطيني الجزيلَ بَداهةً ... وأنت لِمَا استكثرتُ من ذاك حاقِرُ

---

(١) هو عمران بن حطان بن ظبيان السدوسي الشيباني الوائلي، أبو سماك رأس القعدة من الصفرية. وخطيبهم وشاعرهم. وكان من رجال العلم الحديث.

(٢) فهرٌ: اسم قبيلة.

(٣) الغِمرُ: الحقد.

(٤) هو طريح الثقفي بن اسماعيل بن عبيد بن أسيد الثقفي. ابو الصلت. شاعر الوليد بن يزيد الأموي وخليله، وأكثر شعره في مدحه.

(٥) هو الخريمي اسحاق بن حسّان ويكنّى أبو يعقوب من العجم، وكان مولى ابن خريم الذي يُقال لأبيه خريم الناعم.

ومثلُه قولُه أيضاً: [رمل]

زاد معروفَكَ عِظَماً أنّه عندك مَحْقُورٌ صَغِيرُ
تَتَناساه كأنْ لم تأتِه وهو عند الناس مشهورٌ كبيرُ

قال رجل لبعض السلطان: المواجهةُ بالشكر ضربٌ من المَلَق[١]، منسوبٌ من عُرف بها إلى التخلُّق[٢]؛ وأنت تمنعُني من ذلك وترفع الحالُ بيننا عنه، ولذلك تركتُ لقاءك به. غير أنّي من الاعتراف بمعروفك ونَشْرِ ما تَطْوِي منه والإشادةِ بذكره عند إخوانك والانتسابِ إلى التقصير مع الإطناب في وصفه، على ما أرجو أن أكونَ قد بلغتُ به حالَ المحتمِلِ للصّنيعة، الناهِض بحقّ النعمة.

قال ابنُ عنقاء الفَزَارِيّ[٣]: [طويل]

رآني على ما بي عُمَيلَةُ فاشتكى إلى ما له حالي أسَرّ كما جَهَرْ
دعاني فآساني ولو صَدّ لم أُلُمْ على حين لا بَدْوٌ يُرَجّى ولا حَضَرْ
فقلتُ له خيراً وأثنيتُ فعلَه وأوفاك ما أسديتَ مَنْ ذَمّ أو شَكَرْ[٤]

وقال آخرُ[٥]: [طويل]

سأشكر عَمراً إنْ تَراخَتْ منيّتي أيادِيَ لم تُمْنَنْ وإنْ هي جَلّتِ
فتىً غيرُ محجوبِ الغِنَى عن صديقه ولا مُظْهِرِ الشكوَى إذ النعلُ زَلّتِ
رأى خَلّتي من حيثُ يَخفَى مكانُها فكانت قَذَى عينَيْه حتى تَجلّتِ[٦]

---

(١) الملق: التودّد والتلطّف، ومنه التملّق: أي إكثار الود.
(٢) التخلّق: إظهار المرء ما ليس من خلقه وفعاله.
(٣) ابن عنقاء الفزاري: هو قيس بن بجرة الفزاري، شاعر فحل من فحول عطفان له شعر كثير، وهو أحد بني لؤي بن شمخ بن فزارة راجع معجم الشعراء ص ١٥٨.
(٤) أسديت: قدّمت من صنيع.
(٥) يقال: إنّه محمد بن سعيد الكاتب «انظر ديوان الحماسة لأبي تمام ص ٦٩٧ ط أوروبا».
(٦) الخلّة: الفقر والحاجة، والقذي: ما يقع في العين من أذى.

وقرأت في كتاب للهند: أربعةٌ ليست لأعمالهم ثمرة: مُسَارُّ الأصمِّ، والباذِرُ في السَّبَخَة[1]، والمُسْرِجُ في الشمس، وواضعُ المعروف عند مَنْ لا شكر له.

وقال بعضُ الشعراء المُحْدَثِين، وقيل: إنه للبحتريّ. فبعثتُ إليه أسأله عنه فأعلمني أنه ليس له: [متقارب]

فلو كان للشكر شخصٌ يَبِينُ إذا ما تأمّله النّاظرُ
لبيّنتُه لك حتّى تراه فتعلمَ أنّي آمرؤٌ شاكِرُ
ولكنه ساكنٌ في الضميرِ يُحَرّكه الكَلِمِ السائِرُ

وقال آخر: [طويل]

فلو كان يَستغني عن الشّكر سيّدٌ لعزّة مُلْكٍ أو عُلوّ مَكانِ
لَمَا أمر اللهُ الجليلُ بشكره فقال اشكروني أيُّها الثَّقلانِ[2]

وقال آخر: [طويل]

فأثْنُوا علينا لا أبَا لأبيكمُ بإحسانِنا إنّ الثناءَ هو الخُلدُ

وقال رجل من غَنِيٍّ[3]: [كامل]

فإذا بلغتم أهلَكم فتحدّثوا ومن الثناء مَهالِكٌ وخُلودُ

وكانت عائشة رضي الله عنها تَتَمثَّلُ بقول الشاعر:

يَجْزِيكَ أو يُثني عليك وإنّ مَنْ أثنى عليك بما فعلتَ كمن جَرَى

وقال الحارثُ بن شدّاد في عليّ بن الربيع الحارثيّ: [بسيط]

---

(١) السّبخة: الأرض ذات الملح والنّزّ أي التي لا تصلح للزراعة.
(٢) الثقلان: الجنُّ والإنس.
(٣) نمنيّ: إسم قبيلة.

ألنّـاسُ تحتـك أقـدامٌ وأنت لـهم رأسٌ وكيف يُسَـوَّى الـرأسُ والقـدمُ
فحَسْبُنـا من ثنـاء الـمـادحين إذا أثنَـوْا عليك بـأن يُثنـوا بمـا عَلِمُـوا[1]

وقال آخرُ: [وافر]

بـأيّ الخَصْلتيْـن عليـك أُثْـني فـإنّي عنـد مُنْصَـرَفي مسـولُ[2]
أبِ الحُسْنَى وليس لهـا ضيـاءٌ علـيّ فمَـنْ يُـصَـدِّقُ مـا أقـولُ
أمِ الأُخـرَى ولستَ لها بـأهـلٍ وأنت البحـرُ من ذهـبٍ يسيـلُ

وقال بشّار: [بسيط]

أُثني عليـك ولي حـالٌ تُـكَـذِّبني فيمـا أقـول فـأستحيي من النـاسِ
قـد قلتُ إنّ أبـا حفصٍ لأكـرمُ مَنْ يمشي فخـاصَمني في ذاك إفـلاسي

وكتب بعض الكتّاب إلى وزير: لستَ تُشبه حالَنا في الحُرْمـة، ولا نُشبه حالَك في الجاه والقُدرة، ولا ظاهرُ مـا نحن عليه البـاطن. وليس بعد حُـرْمتي حرمةٌ، ولا فـوق سببي سببٌ، ولا بعد حـالك حـالٌ يُرتَجى، ولا بعـد منزلتـك منزلةٌ تُتَمَنَّى، ولا تنتـظر شيئاً ولا أنتظره؛ ولا لُتوقّع حقّاً أزيـدُه في حقوقي، ولا تتوقّع فائدة تزيدهـا في ذات يدك. وكم تحتـال بالألفـاظ، وتُموّه[3] بـالمعاني، والناس يحتجّون بالعمل ويَقْضون بالعِيان.

وقال بعض الشعراء: [طويل]

وزهّـدني في كـلّ خيـرٍ صنعتُـهُ إلى الناس ما جـرّبتُ من قلّة الشكرِ

وقال أبو الهَوْل في أبي المراء عُتْبة بن عاصم: [طويل]

---

(١) الثناء: المدح والإشادة.
(٢) مسول: أي سوف أُسأل عن خصالك.
(٣) تموّه: تتلاعب وتخفي.

إذا فاخَرَتْنا من مَعَدٍّ عِصابةٌ فخرنا عليها بابن عُتْبةَ عاصمِ[1]
يَجُرّ رِياط الحمدِ في دار قومه ويختال في عِرْضٍ من الذمّ سالمِ[2]

وقال رجل لبعض السلطان: مِثلك أوجب حقّاً لا يجب عليه، وسمَح بحقّ يجب له، وقبِل واضحَ العذر، واستكثرَ قليلَ الشكرِ. لا زالت أيادِيك فوق شكرِ أوليائك، ونعمةُ الله عليك فوق آمالهم فيك.

وكتب آخر:

ما أنتهي إلى غايةٍ من شكرك، إلا وجدتُ وراءَها غايةً من معروفك يَحسُرُوني[3] بلوغُها. وما عَجَز الناسُ عنه فاللهُ من ورائه. فلا زالت أيامك ممدودةً بين أملٍ لك تبلغه، وأملٍ فيك تُحقِّقُهُ، حتى تَتَملَّى من الأعمار أطولَها، وتنالَ من الهِبَاتِ أفضلَها.

ونحو هذا قولُ آخر:

كان لي فيك أمَلانِ: أحدُهما لك، والآخَرُ بك. فأمّا الأملُ لك فقد بَلَغته، وأمّا الأملُ بك فأرجو أنْ يُحقّقَه الله ويُوشِكَه.

وفي كتاب آخر:

أيّامُ القدرةِ وإن طالتْ قصيرةٌ، والمُتْعةُ بها وإن كَثُرتْ قليلٌ، والمعروفُ وإنْ أُسْدِيَ إلى من يَكفُرُه مشكورٌ بلسان غيره.

وفي كتاب بعض الكتّاب:

وما ذكرتُ ـ أعزّك الله ـ من ذلك قديماً ولا جَدّدتَ منه حديثاً، إلاّ

(١) معدّ: اسم قبيلة، والعصابة: الجماعة.

(٢) الرّياط: جمع ربطة، وهي الملاءة.

(٣) يحسُرني: يعييني ويتعبني.

وأصغرُ أملِي فيكَ فوقَه وإن كان استحقاقي دونه. فإن أقضِ واجبَ حقِّ الله عليَّ في شكر نِعَمِك فبتوفقه وعَوْنه، وإن أُقَصِّرْ عن كُنْهه فعن غيرِ تقصيرٍ في بلوغ الْجهدِ فيه.

وفي هذا الكتاب:

أمّا ما بَذَلَ الأميرُ من ماله، فذلك ما قد سَبَق الرجاءُ بل اليقينُ إليه، مَعْرِفةً منِّي بطَوْله وكرمه، وليس يُنكَر أيادِيه ولا بِدْعُ صنائعه. وما يُرشِدُني أملي بعد الله إلاّ إليه، ولا أفزَعُ[1] لحادثةٍ إلى غيره، ولا أتضاءلُ لنائبة معه. ولو عَجَزتُ عن النَّهضةِ لمَا حاولتُ الإستقلالَ والانتعاشَ إلاّ به. ومالُ الأميرِ الكثيرُ المذخورُ عند انقطاع الحِيَل، لا مُعَنَّفٌ طالبُه، ولا مُخوَّفٌ على الردّ عنه واهبُه، ولا عائقَ مَنْعٍ دونه، ولا تنغيصَ من ورائه؛ ولا كنزَ أولَى بالصون وأن يجعَلَ وَقْفاً على النوائب والعواقبِ مِنْ كنزٍ مَنْ هذه حالُه.

قالت بنو تميم لِسَلامَةَ بن جَنْدَل[2]: مَجِّدْنا بشعرك؛ فقال: افعلوا حتّى أُثْنيَ. ونحوه قولُ عمرو بن مَعْدِ يكرِبَ[3]: [طويل]

فلو أنّ قومِي أنطقتني رِماحُهم نطقتُ ولكنّ الرِّماحَ أجَرَّتِ[4]

قال رجل من قريش لأشعبَ: والله ما شكرتَ معروفي عندك؛ فقال: إنّ معروفك كان من غير مُحتسبٍ، فوقع عند غير شاكر.

---

(١) أفزع: ألتجىء.

(٢) هو سلامة بن جندل بن عبد عمرو من بني كعب بن سعد التميمي، أبو مالك. شاعر جاهلي من الفرسان من أهل الحجاز.

(٣) هو عمرو بن معدي كرب بن ربيعة بن عبد الله الزبيدي فارس اليمن وصاحب الغارات المذكورة. قتل عطشاً يوم القادسية.

(٤) أجرّت: قطعت،، يقول: لو قاتل قومي أو أبلو لذكرت ذلك وفخرت بهم، لكن رماحهم قطعتني عن الكلام لفرارهم.

وقال أبو نُوَاس: [كامل]

أنت آمرؤٌ أوليتني نِعَماً … أوهتْ قُوَى شكري فقد ضَعُفا[1]

فإليكَ بعد اليوم تَقْدِمةً … وَالَتْك بالتصريح مُنكشِفا[2]

لا تُحدِثنّ إليّ عارفةً … حتّى أقومَ بشكر ما سَلَفا[3]

وقال أبو نُخَيْلة[4]: [طويل]

شكرتُكَ إنّ الشكرَ حبلٌ من التُّقى … وما كلُّ مَنْ أقْرضتَه نعمةً يَقضِي

فأحييت من ذكري وما كان ميِّتاً … ولكن بعض الذكر أنبهُ من بعض

آخر: [طويل]

لأشكرنّك معروفاً هَمَمتَ به … إنّ آهتمامَك بالمعروفِ معروفُ

ولا ألومُك إن لم يُمْضِه قَدَرٌ … فالشيءُ بالقَدَرِ المحتومِ مصروفُ

وقال رجل لسعيد بن جُبَير: المجوسيُّ يُوليني خيراً فأشكرُه، ويُسلِّمُ عليّ فأردُّ عليه؛ فقال سعيد: سألتُ ابن عبّاس عن نحو هذا، فقال لي: لو قال لي فرعونُ خيراً لرَدَدْتُ عليه مثله.

أنشد ابن الأعرابيّ: [رمل]

أهلكتْني بفلانٍ ثِقَتي … وظُنونٌ بفلانٍ حَسَنَهْ

ليس يَستوجبُ شكراً رجلٌ … نِلتُ خيراً مِنه من بعد سنهْ

---

(١) أوليتني نعما: أي جيتني، وأوهت: أضعفت.

(٢) والتك: نابعتك.

(٣) العارفة: المعروف.

(٤) هو أبو نخيلة يعمر بن حزن بن زائدة، شاعرٌ راجزٌ. متقدمٌ في القصيدة والرجز. يكنّى أبا نخيلة لأنه ولد في أصل نخلة «راجع معجم الشعراء ص ١٩٣».

وقال بعضهم: لا تَثِقْ بشكر من تُعْطيه حتى تمنَعه؛ فإنّ الصابرَ هو الشاكر، والجازعَ هو الكافر[١].

وقال أَوْسُ بن حَجَر[٢]: [طويل]

سأَجْزيكِ أو يَجْزيكِ عَنّي مُثوِّبٌ ... وقَصْدُكِ أنْ يُثْنَى عليكِ وتُحْمَدِي

والعربُ تقول: فلانٌ أشْكَرُ من البَرْوَق وهو نبت ضعيف ينبتُ بالسحاب إذا نشأ وبأدنى مطر.

وقال الشاعر: [طويل]

لئِنْ طِبتَ نَفْساً عن ثَنَائِي فإنّني ... لأَطيَبُ نفساً عن نَذَاك على عُسْرِي

فلستُ إلى جَدْواكَ أعظَمَ حاجةً ... على شِدَّةِ الإعسارِ منكَ إلى شُكرِي[٣]

وقال آخر: [كامل]

حَسْبُ آمرىءٍ إن فاتني غرضٌ ... من بِرِّه أنْ فاتَه شُكْرِي

إنّي إذا ضاق امرؤٌ بجَداً ... عنِّي آتَّسعتُ عليه بالعُذْرِ[٤]

وقال الطائيّ لإسحاق بن إبراهيم: [كامل]

ومُحَجَّبٍ حاولتُه فوجدته ... نَجْماً عن الركب العُفاةِ شَسُوعَا[٥]

أعدمتُه لمّا عَدِمتُ نوالَه ... شُكرِي فرُحْنا مُعدِمَيْن جميعَا

---

(١) الجازع: القانط.

(٢) هو أوس بن حجر: بن مالك التميمي ابو شُريح: شاعر تميم في الجاهلية. أو من كبار شعرائها، كان كثير الأسفار وأكثر اقامته عند عمرو بن هند.

(٣) الجدوى: العطاء، والإعسار: من العُسر وهو الضّيق.

(٤) المجدا: العطيّة.

(٥) العفاة: الفقراء، والشسوع: البعيد.

وقال: [طويل]

فإنْ يكُ أرْبَى عفوُ شكرِي على نَدَى أُنَاسٍ فقد أرْبَى نَدَاهُ على جُهدِي[1]

وقال:

وكيفَ يجورُ عن قَصْدٍ لسانِي وقلبي رائحٌ برِضَاكَ غادِي

وممّا كانتِ العلماءُ قالتْ لسانُ المرءِ مِن خَدَمِ الفُؤادِ

وقال:

أبا سَعيدٍ وما وصفِي بمُتَّهَمٍ على الثَّناءِ وما شكري بمُخْتَرَمِ[2]

لئن جَحَدتُكَ ما أوْليتَ من نِعَمٍ إنِّي لفي الشُّكرِ أحظَى منك في النِّعَمِ[3]

أنسَى ابتسامُكَ والألوانُ كاسِفةٌ تَبسُّمَ الصّبحِ في داجٍ من الظُّلَمِ[4]

رَدَدتَ رَوْنَقَ وجهي في صَفيحَتِه رَدَّ الصِّقالِ بَهاءَ الصّارِمِ الخَذِمِ[5]

وما أُبالي، وخيرُ القولِ أصدقُه، حَقَنتَ لي ماءَ وجهي أم حقنتَ دَمِي

وقال: [وافر]

فلا تَكْدَرْ حِياضُك لي فأنّي أُمُتُّ إليك آمالاً طِوالاً[6]

وفِرْ جاهِي عليّ فإنّ جاهي إذا ما غَبَّ يومٌ كان مالاً[7]

وقال: [بسيط]

يا مِنّةً لك لولا أُخَفِّفُها به من الشكر لم تُحمَلْ ولم تُطَقِ

---

(١) أربى: زاد وفاض.

(٢) المخترم: المنتقص، واخترمته المنايا: أي أردته.

(٣) أوليت: أسديت.

(٤) الكاسفة: العابسة.

(٥) الرّونق: البهجة والإشراق، والصارم: السيف. والخذم: القاطع.

(٦) الحياض والأحواض واحد: أي ما يجمع الماءبه، وأمُتُّ: أمُدُّ وأصل.

(٧) فِرْ: فعل أمر من وفر أي صان وحمى، وغبّ يوم: ضاق عيشه وتغيّر حاله.

بـآللهِ أدفـعُ عنّي ثِـقْـلَ فـادِحِهـا ... فـإنّني خـائفٌ منـه عـلى عُنـقِي[١]

وقال بشارٌ في عمرَ بنِ العلاء: [متقارب]

دعـانـي إلـى عُـمـرٍ جُـودُه ... وقـولُ الـعشيـرةِ بَـحـرٌ خِـضَـمّ

ولـولا الـذي زعـمـوا لـم أكـن ... لأمـدحَ رَيْـحـانـةً قـبـلَ شَـمّ

ويقال: الشكر ثلاثُ منازلَ: لِمن فوقك بالطاعـةِ، ولِنظيـرِكَ بالمكـافأةِ، ولمن دونك بالإفضال عليه.

قال إبراهيمُ بن المهديّ[٢] يشكر المأمونَ: [بسيط]

رَددتَ مـا لـي ولم تَـمنُـنْ عليّ بـه ... وقبـلَ ردِّكَ مـا لي قـد حقَنْتَ دَمِي

فَـأُبْتُ منـكَ وقـد جلّلتَني نِعَـمـاً ... هي الحيـاتـان من مـوتٍ ومن عَـدَمِ

فلو بـذلتُ دَمي أبغِـي رضـاكَ بـه ... والمـالَ حتى أسُلَّ النعـلَ من قـدَمِي

مـا كـان ذاك سِـوى عـاريَّـةٍ رجعَتْ ... إليـكَ لـو لم تُعِـرْهـا كنتَ لم تُلِمَ[٣]

وقـام علمُكَ بي فـاحتجَّ عنـدكَ لي ... مقـامَ شـاهـدِ عـدلٍ غيـرِ مُتَّهَمِ

وقال آخرُ، وبلغني أنه الخَثْعَميّ[٤]: [خفيف]

فـاذْهَبـا بي إن لم يكن لكمـا عَقْـ ... ـرٌ إلى جَنـب قبـره فـاعـقِـرَاني[٥]

وانضحـا من دمي عليـه فقـد كـا ... ن دمـي من نَـداه لـو تَـعْلمـانِ[٦]

---

(١) الفادح: الأمر الجليل.

(٢) هو إبراهيم بن المهدي: بن عبد الله المنصور، العباسي الهاشمي، أبو إسحاق ويقال لـه ابن شكله، أخـو هارون الـرشيد، طلبـه المأمـون بعد أن دعـا لنفسه بـالخلافـة إثـر اقتتـال الأمين والمأمون ثم عفا عنه.

(٣) العاريّة: الأمانة.

(٤) الخثعمي: هو العباس بن سفيان قائدٌ بحري كان أميراً على غازية البحر في خلافة المنصور غزا قبرس بجيشٍ سنة ١٤٦ هـ.

(٥) العقر: ما يعقر من الإبل.

(٦) نضح الدّم: رشّه.

وفد رجل على سليمانَ بن عبد الملك في خلافته؛ فقال له: ما أقدمكَ؟ قال: ما أقدمني عليك رَغْبَةٌ؛ قال: وكيف ذاك؟ قال: أما الرّغبةُ فقد وصَلَتْ إلينا وفاضتْ في رِحالنا وَتَناوَلها الأقصى والأدنى منّا، وأما الرّهبَةُ فقد أمِنّا بعَدْلِ أمير المؤمنين علينا وحُسنِ سِيرتِه فينا من الظلم، فنحن وَفدُ الشكر.

وقال الفرزدقُ في عمرو بن عُتبةَ: [بسيط]

لولا آبنُ عُتبةَ عمرٌو والرّجاء له ... ما كانت البَصْرةُ الحمقاءُ لي وطَنا

أعطانِيَ المالَ حتى قلتُ يُودِعُني ... أو قلتُ أُودِعَ لي مالاً رآه لنَا

فجودُهُ مُتعِبٌ شكري ومِنّتُه ... وكلّما زدتُ شكراً زادني مِنَنَا

يَرمِي بهمّتِه أقصى مسافتِها ... ولا يُريدُ على معروفِه ثمنَا

هذا مثل قول الأعرابيّ: ما زال فلانٌ يُعطيني حتى ظننتُ أنه يُودِعُني مالَه. وما ضاع مالٌ أورثَ المحامدَ.

ويقال: خمسةُ أشياءَ ضائعةٌ: سراجُ يُوقَدُ في شمسٍ، ومَطَرٌ جَوْدٌ في سَبَخَةٍ[١]، وحَسناءُ تُزفُّ إلى عِنّينٍ[٢]، وطعامٌ استُجِيدَ وقُدّمَ إلى سَكرانَ، ومعروفٌ صُنِعَ إلى مَنْ لا شكرَ له.

وكان يقال: الشكرُ زيادةٌ في النّعم وأمانٌ من الغِيَرِ.

وقال أسماءُ بنُ خارجةَ[٣]: إذا قَدُمَتِ المصيبةُ تُرِكَتِ التَّعزيةُ، وإذا قَدُمَ الإخاءُ قَبُحَ الثناء.

بَعثَ رَوْحُ بنُ حاتم[٤] إلى كاتبٍ له بثلاثين ألفَ درهم، وكتب إليه: قد

---

(١) السبخة: الأرض التي فيها ملحٌ ونزٌ، ولا تصلح للزراعة.

(٢) العنين: الناقص الفحولة.

(٣) هو أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة الفزاري، تابعي من رجال الطبقة الأولى من أهل الكوفة، كان سيّد قومه، مقدماً عند الخلفاء.

(٤) روحُ بن حاتم بن قبيصة بن المهلب الأزدي. أمير. من الأجواد الممدوحين كان حاجباً للمنصور العباسي. وولاه المهدي السند. ثم نقله إلى البصرة.

بعثْتُ بها إليك، ولا أُقَلِّلُها تكبُّراً، ولا أُكَثِّرها تَمنُّناً، ولا أَستَثِيبُكَ عليها ثناء، ولا أقطَعُ عنك بها رجاء.

وفي كتاب للهند: لا ثَناءَ مع كِبْر. وفيه: سِتَّةُ أشياءَ لا ثَباتَ لها: ظِلُّ الغمامِ، وخُلَّةُ الأشرارِ، وعِشقُ النساءِ، والمالُ الكثيرُ، والسّلطانُ الجائرُ، والثناءُ الكاذبُ.

والعربُ تقول: «لا تَهْرِفْ قبل أن تَعْرِف» أي لا تُطنِبَنّ في الثّناء قبل الاختبار.

وكتب أبو نُوَاس من الحبس إلى الفضل بن الربيع: [كامل]

ما مِن يدٍ في الناسِ واحدةٍ ... كَيَدٍ أبو العباس مَولاها
نام الثِّقاتُ على مَضاجعهم ... وسَرَى إلى نفسي فأحياهَا
قد كنتُ خِفتُكَ ثم آمَنَني ... من أن أخافَكَ خوفُكَ اللهَ
فعفوتَ عنّي عفوَ مُقتَدِرٍ ... وَجَبَتْ له نِقمٌ فألغاهَا

والبيت المشهور في هذا قول النَّجَاشيّ[1]: [بسيط]

لا تَحمَدنّ آمرأً حتى تُجَرِّبَه ... ولا تَذُمَّنَّ مَنْ لم يَبْلُه الخُبُرُ[2]

وقال آخَرُ في الاختبار: [كامل]

إنّ الرجالَ إذا آختبَرْتَ طِباعَهم ... ألفيتَهُمْ شَتَّى على الأخبارِ
لا تَعجَلَنَّ إلى شَريعةِ مَوْرِدٍ ... حتى تَبيَّنَ خُطّةَ الإصدارِ[3]

وقال الرّياشيّ: أنشدَني أبو العاليةِ[4]: [طويل]

---

(١) النجاشي: هو قيس بن عمرو بن مالك من بني الحارث بن كعب. من كهلان شاعر هجّاء مخضرم اشتهر في الجاهلية والإسلام.
(٢) يبلُهُ الخُبُر: أي لم تحنّكه التجارب.
(٣) الشريعة: الماء، والورود: إتيان الماء والإصدار: العودة عنه.
(٤) أبو العالية: أحد المحدّثين الثقات، والعالمين بالتفسير والأدب

إذا أنــا لم أشكـر على الخيــر أهلَه ولـم أذْمُمِ الجِبْسَ اللئيمَ المـذمَّمَـا؟[١]
ففيمَ عـرَفْتُ الخيـرَ والشـرَّ بـاسمِـهِ وشَقَّ لِيَ اللهُ المـســامـعَ والفـمَـا

قال ابن التَّوءمِ: كلُّ مَنْ كان، جُودُه يرجِع إليه؛ ولولا رجوعـه إليه لمـا جاد عليك، ولو تهيّأ له ذلك المعنى في سِواك لما قصدَ إليك، فليس يجب له عليـكَ شكرٌ. وإنمـا يُوصفُ بـالجود في الحقيقـةِ ويُشكرُ على النفـع في حُجّةِ العقلِ، الذي إن جـاد عليك فلك جـادَ، ونفْعَك أراد، من غيـر أن يرجـع إليه جودُه بشيءٍ من المنافع على جهةٍ من الجهات، وهو الله وحـدَه لا شريـكَ له. فإن شَكَرْنا الناسَ على بعض ما جرى لنـا على أيديهم، فلأمرينِ: أحـدُهما التعبُّدُ؛ وقد أمرَ اللهُ تعالى بتعظيم الوالِدَينِ وإن كانـا شيطانَينِ وتَعـظيم مَنْ هو أسنُّ منّا وإن كنّا أفضـلَ منه. والآخـرُ: لأن النفسَ ما لا تُحصِّـلُ الأمورَ وتُمَيِّـزُ المعانيَ، فالسابقُ إليها حُبُّ مَنْ جَرَى لها على يَديهِ الخيـرُ وإن كان لم يُـرِدْها ولم يَقْصِد إليها. ألا تَرَى أنّ عطيّة الرجـلِ صاحِبَـه لا تَخلُو أن تكونَ للهِ أو لغير الله؛ فإن كـانتْ لله فثوابُـه على الله؛ وكيف يَجبُ في حجّةِ العقـل شكرُه وهـو لو صـادف ابنَ سبيلٍ غيـرِي لمَا أعـطاني؛ وإما أن يكـونَ إعـطاؤه إيـاي للذكرِ؛ فإن كـان كذلـك فإنمـا جعلني سُلّماً إلى حـاجته وسبباً إلى بُغْيَتهِ؛ أو يكونَ إعطاؤه إياي طلباً للمكافأةِ؛ فإنما ذلـك تِجارةٌ؛ أو يكـونَ إعطاؤه لخـوف يَـدِي أو لِسَاني أو اجتـرارِ مَعُونَتي ونُصـرتِي، وسبيلُ هـذا معـروفٌ؛ أو يكـونَ إعطاؤه للرحمةِ والـرّقةِ ولِمـا يجدُ في فؤادِه من العصـر[٢] والألمِ، فإنّمـا داوَى بتلك العطيّةِ من دائهِ ورفّه من خِناقِه[٣].

---

(١) الجبس: الدنيء الجبان.
(٢) العصر: احتباس الألم.
(٣) رفّه: من الترفيه.

وكان محمد بن الجَهْم يقول: نحوُ هذا قول الشاعر: [متقارب]

لَعَمْــرُك مــا النّــاسُ أثنَــوْا عليــك ولا عظّموك ولا عَــظَّمــوا
ولا شـايَـعُـوك عـلى مـا بَـلَغْـ ـتَ من الصـالحـات ولا قـدّمـوا
ولـو وَجَـدوا لَـهُـمُ مَـطْعـنـاً إلى أن يَعيبـوك مـا جَـمْجَـمـوا[١]
ولـكـن صَـبَـرتَ لِمَـا ألـزمـوك وجُـدتَ بـمـا لـم يـكـن يـلزمُ
وكـان قِـراكَ إذا مـا لَـقُـوكَ لسـانـاً بـمـا سـرَّهـم يُـنْـعِـمُ[٢]
وخَفْضَ الجنـاح وَوَشْـكَ النجـاح وتـصـغـيـرَ مـا عـظَّم الـمُـنْـعِـمُ[٣]
فـأنـتَ بـفـضـلك ألـجـاتَـهـم إلـى أن يُـجـلّوا وأن يُـنـعـمـوا

وقال خَلَف بن خليفة الأَقْطع[٤]: [طويل]

وفي اليأس من أن تسألَ الناسَ راحةٌ تُميتُ بها عُسْراً وتُحْيي بهـا يُسْـراً
ولـيس يـدٌ أَوْلَـيْـتَـهـا بـغَـنِـيـمـةٍ إذا كـنتَ تَـبْغِي أن يُـعَـدّ شُـكْـرَا
غِنَى النفس يَكْفِي النفسَ ما سدّ فاقةً فـإن زاد شيئـاً عـاد ذاك الغِنَى فَقْـرَا

قـال ابن عائشـة: بلغني أنّ عبد الـرحمن بن حسّان سـأل بعضَ الـولاة حاجةً فلم يَقْضِيها له، فسألها آخرَ فقضاها له؛ فقال: [طويل]

ذُممتَ ولم تُحْمَـدْ وأدركتُ حـاجتي تَـوَلَّى سِواكم أَجْـرَهـا واصْـطِنـاعَهـا

---

(١) جمجم: قال ما لم يعرف.
(٢) القرى: الضيافه.
(٣) خفض الجناح: كناية عن البشاشة والدّعة والتواضع.
(٤) هـو خلف بن خليفة الأقـطع: شاعـر أمويّ مـطبوع، راويـة، من قيس بن ثعلبة بـالولاء، اتهّم بسرقةٍ في صباه فقطعت يده، كان لسناً بذيئاً من الظرفاء.

أبى لك كَسْبَ الحمدِ رأيٌ مُقَصِّرٌ ونفسٌ أضاقَ اللهُ بالخير باعَها[١]
إذا هي حَثَّتْه على الخير مَرَّةً عَصَاها وإن هَمَّتْ بشرٍّ أطاعَها

وقال ابن عائشه: قال رجلٌ يوماً لابن عُيَينة: ما شيء تُحْدِثونه يا أبا محمد؟ قال: ما هو؟ قال: يقولون إن الله تعالى يقول: أيّما عَبْدٍ كانت له إليّ حاجةٌ فشغله الثناء عليَّ عن سؤال حاجته، أعطيته فوق أُمْنِيّته؛ فقال له: يابن أخي، وما تُنْكر مِن هذا! أما سمعتَ قول أُميّة بن أبي الصَّلْت في عبد الله بن جُدْعان: [وافر]

إذا أثنَى عليه المرءُ يوماً كَفاهُ مِن تَعَرُّضِهِ الثناءُ

فكيف بأكرم الأكرمين!.

وكان يقال: في طلب الرجل الحَاجَة إلى أخيه فتنةٌ: إن هو أعطاه حَمد غيرَ الذي أعطاه، وإن منعه ذَمّ غيرَ الذي منعه.

حدّثنا الرِّياشيّ قال: أنشدنا كَيْسان لدُكَين الراجز[٢]: [طويل]

إذا المرءُ لم يَدْنَس من اللُّؤم عِرْضُه فكُلُّ رداءٍ يَرْتَدِيه جَميلُ[٣]
إذا المرءُ لم يَصْرَع عن اللؤم نفسَهُ فليس إلى حُسْن الثناء سبيلُ[٤]

وكان يقال: أوّلُ منازِل الحمدِ السلامةُ من الذمّ.

---

(١) الباع: كناية عن اليد، لأنّ العطاء يكون بها.
(٢) دكين الرّاجز: هو دكين بن رجاء من بني فقيم، أحد الرجّاز المشهورين، ورد على الخلفاء الأمويين وامتدح عمر بن عبد العزيز «راجع الشعر والشعراء» ص ٤٠٥».
(٣) تنسب هذه الأبيات السموءل بن عادياء اليهودي وهي معروفة.
(٤) يصرع: يمنع.

قال عُرْوةُ بن أُذَيْنَةَ اللَّيثيّ[١]: [منسرح]

لا تَتْـرُكَنْ، إنْ صنِيعةٌ سَلَفَتْ منـكَ وإن كنتَ لا تُصَغِّـرُها

إلى امـرِئٍ، إنْ تَقولَ إن ذُكِـرَتْ عنـدكَ في الجِـدِّ لستُ أذكُـرُهَا

فـإنّ إحيـاءهـا إمـاتَـتُـهـا وإنّ مَـنّـاً بـهـا يُـكَـدِّرُهـا

وإن تَـوَلَّـى امـرؤٌ بـشُـكـرِ يَـدٍ فـاللهُ يَجْـزِي بـهـا ويَشكُـرُهـا

ويقال: أحيُوا المعروف بإماتته.

أبو سُفيان الحِميْريّ قال: كان مَسْعَدَةُ الكاتب أبو عمرو بن مسعدة مَوْلىً لخالد القَسْريّ، وكان في ديوان الرسائل بواسط، وكان مُوجِزاً في كُتُبه، فكتب إلى صديقٍ له: أما بعد، فإنه لن يَعْدمك من معروفك عندنا أمران: أجرٌ من الله وشكرٌ منّا. وخيرُ مواضع المعروف ما جمع الأجر والشكر. والسلام.

وكتب بعضُ الكتّاب إلى بعض العمّال: وما أتأمَّلُ في وقت من الأوقات ولا يومٍ من الأيّام آثارَ أياديك لديّ، ومواقعَ معروفك عندي، إلاّ نَبَّهنِي التأمُّل على ما يُحسِرُ[٢] الشكرَ ويُثقل الظهرَ، لأنك أنعشتَ مِنْ عَثْرَة، وأنهضتَ من سَقْطة، وتلافَيْتَ نعمةً كانت على شَفَا زَوَالٍ ودُروس[٣]، وَتَلَقَّيتَ ما ألقيتُ عليك من الكَلِّ بوجهٍ طَلِيق وباع رَحِيب. والسلام.

الترغيب في قضاء الحاجة واصطناع المعروف

حدّثني محمد بن عُبَيد قال حدّثنا داود بن المُحَبَّر عن محمد بن الحسن الهَمْدَاني عن أبي حمزة عن عليّ بن الحسين عن أبيه عن جدّه عليّ بن أبي

(١) هو عروة بن أذينة الليثي: شاعر غزلٌ مقدم من أهل المدينة وهو معدود من الفقهاء والمحدثين. ولقبه «أذينة».

(٢) يحسر الشكر: يعجزه.

(٣) دروس النعمة: زوالها.

طالب رضوان الله عليه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَـركَ مَعُونـةَ أخيه المسلم والسَّعْيَ معـه في حاجتِـه قُضِيَتْ أوْ لم تُقْضَ كُلِّف أن يسعى في حاجـة مَنْ لا يُؤْجَرُ في حاجته. ومَنْ ترك الحجَّ لحاجةٍ عَرَضتْ له لم تُقْضَ حاجتُهُ حتى يرى رءوس المحلّقـين».

حدّثني محمد بن عُبَيد قال حدّثنا ابن عُيَينة عن يزيد بن عبد الله بن أبي بُرْدة عن أبيه عن جدّه عن أبي موسى قال: قال رسـول الله ﷺ: «اشْفَعُوا[١] إليَّ ويَقْضِي اللهُ على لِسَانِ نَبيّكم ما شاءَ».

بلغني عن جعفر بن أبي جعفر المازنيّ عن ابن أبي السَّرِيّ عن إبـراهيم بن أدهم عن منصـور بن المعتمِـر قـال: قـال رسـول الله ﷺ: «إن أحببتَ أن يُحِبَّك اللهُ فآزهَدْ في الدنيا وإن أحببتَ أن يُحبّك النـاسُ فلا يقـع في يدك من حُطامها شيء إلا نبذتَه إليهم»[٢].

حدّثني محمد بن داود عن محمـد بن جابـر قال: قـال ابن عُيَينَة: ليس أقـول لكم إلّا ما سمِعتُ: قيـل لابن المنكـدر: أيُّ الأعمـال أفضـلُ؟ قـال: إدخـالُ السرور على المؤمن. وقيـل: أيّ الدنيـا أحبُّ إليك؟ قـال: الإفضـالُ على الإخوان.

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال: حدّثنا زَرِيرُ العُطَارِدِيّ قـال: صلّى بنـا أبو رجـاء العُطَارِديُّ العَتَمَـةَ ثم أوَى إلى فراشـه، فأتتـه امرأةٌ فقـالت: أبـا

(١) اشفعوا إليّ: من الشفاعة، أي أن يتشفع الرّسول صلّى الله عليه وسلّم لهم.
(٢) نبذ الشيء: رماه وتركه.

رجاءٍ، إنّ لطارق الليل حقاً، وإنّ بني فلان خرجوا إلى سَفْوَان[١] وتركوا كُتُبَهم وشيئاً من متاعهم؛ فانتعل أبو رَجَاء وأخذ الكُتُبَ وأدّاها وصلّى بنا الفجرَ، وهو مسيرةُ ليلةٍ للإبل، والناسُ يقولون: إنها أربعة فراسخ.

حدّثني أحمد بن الخليل عن محمد بن سعيد قال حدّثنا آبن المبارَك عن حميد عن الحسن قال: لأنْ أقْضِيَ حاجةً لأخٍ أحبُّ إليَّ من أن أعتكفَ سنةً.

قال ابنُ عائشةَ: كان عمرو بن معاوية العُقَيليّ يقول: اللهم بَلِّغْني عَثَراتِ الكرام.

قال المأمونُ لمحمد بن عبّاد المُهَلَّبيّ: أنت مِتلافٌ؛ فقال: يا أميرَ المؤمنين، مَنْعُ الموجود سُوءُ ظنٍّ بالله، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[٢].

وكان ابنُ عبّاس يقول: صاحبُ المعروفِ لا يَقَعُ، فإن وَقَع وجد مُتَّكَأً. هذا نحوُ قولِ النبيّ ﷺ: «المعروفُ يَقي مَصَارِعَ السُّوءِ».

وكان ابنُ عبّاس يقول أيضاً: ما رأيتُ رجلاً أَوْلَيتُه معروفاً إلاّ أضاء ما بيني وبينه، ولا رأيتُ رجلًا أَوْلَيتُه سوءاً إلاّ أظلم ما بيني وبينه.

قال جعفر بن محمد: إنّ الحاجة تَعرِضُ للرجل قِبَلي فأُبادِر بقضائها مخافة أن يستغنيَ عنها أو تأتِيَه وقد استبطأها فلا يكون لها عنده موقع.

وقال الشاعر: [طويل]

وبادِرْ بسلطانٍ إذا كنتَ قادراً زوالَ اقتدارٍ أو غِنىً عنك يُعقب[٣]

---

(١) سفوان: ماء على قدر مرحلة من باب إلمربَد بالبصرة وبه ماء كثير السّافي (أي التراب).

(٢) سورة سبأ الآية ٣٩.

(٣) يعقب: أي تكون له عاقبة.

وقال آخر في مثله: [متقارب]

بـدا حيـن أثـرى بـإخـوانـه ... فـفكَّـك عـنـهـم شبـاةَ الـعَـدَمْ[١]
وذكّـره الـحـزم غِـبَّ الأمـور ... فـبـادَرَ قبـل انـتـقـال الـنِّـعَـمْ[٢]

وقرأتُ في كتاب للهند: مَنْ صَنَع المعروفَ لِعاجل الجزَاء، فهو كمُلْقِي الحبِّ لِيَصِيدَ به الطيرَ لا لِينفَعَه.

قال ابن عباس: ثلاثةَ لا أكافِئهم: رجل بَدَأني بالسلام، ورجلٌ وسّع لي في المجلس، ورجل اغبرّت قدماه في المشي إليّ إرادةَ التسليم عليّ؛ فأما الرابع فلا يكافِئه عنّي إلا الله جلّ وعزّ؛ قيل: ومن هو؟ قال: رجل نَزَل به أمرٌ فبات ليلَته يفكرّ بمَنْ يُنزله، ثم رآني أهلاً لحاجته فأنزلها بي.

وقال سَلْم بن قُتَيْبة: رَبُّ المعروفِ أشدّ من ابتدائه[٣].

ويقال: الابتداء بالمعروف نافِلة، ورَبُّه فريضة.

قيل لبُزُرْجِمهر: هل يستطيع أحد أن يفعل المعروف من غير أن يُرْزَأ[٤] شيئاً؟ قال: نعم، من أحببتَ له الخير وبذلتَ له الوُدّ، فقد أصاب نصيباً من معروفك.

قال جعفر بن محمد: ما توسّل إليّ أحدٌ بوسيلةٍ هي أقربُ به إلى ما يُحِبّ من يدٍ سَلَفتْ منّي إليه، أتبعتُها أختَها لأُحْسنَ رَبّها وحِفظَها؛ لأن منعَ الأواخرِ يقطع شكر الأوائل.

---

(١) بدا: أي بدا، وفكَّك: أزال، والشّباه: طرف السيف وحدّه، والعدم: الفقر، والمقصود أنّه أزال عنهم لسعة الفقر.
(٢) غبّ الأمور: عاقبتها.
(٣) ربُّ المعروف: تنميته وتعهده.
(٤) يرزأ: يصاب.

قال رجل من مجلس خالد بن عبد الله القَسْريّ؛ فقال خالد: إنّي لأُبغض هذا الرجل وما له إليَّ ذنب، فقال رجل من القوم: أَوْلِهِ أيّها الأمير معروفاً ففعل، فما لبِث أن خفّ على قلبه وصار أحدَ جلسائه.

قال ابن عباس: لا يتمّ المعروف إلا بثلاثٍ: تعجيلُه وتصغيرُه وسَتْرُه، فإنه إذا عجّله هنّأه، وإذا صغّره عظّمه وإذا ستره تمّمه.

وقال الخُرَيميّ في نحو هذا: [رمل]

زاد معروفَك عندي عِظَماً أنّهُ عندك محقورٌ صغيرُ
تتناساه كأنْ لم تأته وهو عند الناس مشهورٌ كبيرُ

وقال الطائيّ: [كامل]

جودٌ مشيْتَ به الضَّرَاءَ تواضعاً وعَظُمْتَ عن ذكراه وهو عظيمُ[1]
أخفيتَه فخَفيتُه وطويتَه فنشرتُه والشخصُ منه عميم[2]

وكان يقال: سَتَرَ رجلٌ ما أولَى، ونَشَرَ رجلٌ ما أُولِيَ.

وقال رجل لبنيه: إذا اتخذتم عند رجل يداً فانسَوْها. وقالوا: المنّة تهدم الصنيعة. قال الشاعر: : [بسيط]

أفسدتَ بالمنّ ما أسديتَ من حَسَنٍ ليس الكريمُ إذا أسدى بِمَنّانِ

قال رجل لابن شُبْرُمة[3]: فعلتُ بفلانٍ كذا وفعلتُ به كذا؛ فقال: لا خيرَ في المعروف إذا أُحصِيَ.

وفي بعض الحديث: كُلُّ معروفٍ صَدَقةٌ وما أنفقَ الرجلُ على أهله ونفسِه وولدِه صَدَقةٌ وما وقى[3] المرء به عِرضَه فهو صدقة وكلُّ نفقةٍ[4] أنفقها فعلى

(١) الضَّرّاء: ما واراك من شجرٍ وغيره، وهو أيضاً: الاستخفاء فيما يواريك عمن تكيده وتختله.
(٢) أخفيته: سترته، وخفيته: أظهرته، والعميم: الطويل التام. (٣) وقى: حفظ.
(٤) قال العزيزي في شرحه لهذا الحديث: إنّه البنيان الذي لم يقصد به وجه الله تعالى.

الله خَلَفُها مثلها إلا في معصية أو بنيانٍ. وفي الحديث المرفوع «فَضلُ جاهِكَ تَعودُ به على أخيكَ صدقةٌ منك عليه ولِسانُكَ تُعبّر به عن أخيك صدقةٌ منك عليه وإماطتُك[1] الأذى عن الطريق صدقةٌ مِنك على أهله.

وكان يقال: بذلُ الجاهِ زكاةُ الشرف.

وقال بعض الشعراء: [طويل]

وليس فتى الفِتْيانِ مَنْ راحَ واغتدَى | لشُرب صَبُوحٍ أو لشُرب غَبوقِ[2]

ولكنْ فتى الفِتيان مَنْ راح واغتدَى | لِضَرِّ عدوٍّ أو لنفع صَدِيقِ

قال ابن عباس: لا يُزَهِّدنَّك في المعروف كفرُ من كفره، فإنه يشكرك عليه من لم تصطنِعه إليه.

وقال حمّاد عَجْرد: [بسيط]

إنّ الكريمَ لَيُخفِي عنك عُسْرتَه | حتى تراه غَنِيّاً وهو مجهودُ[3]

إذا تكرّمتَ أنْ تُعطِي القليلَ ولم | تَقْدِر على سَعَةٍ لم يَظهر الجودُ

ولِلبخيلِ على أمواله عِللٌ | زُرْقُ العيونِ عليها أوجُهٌ سودُ

أوْرِق بخير ترجي لِلنوال فما | تُرْجَى الثِّمارُ إذا لم يُورِقِ العُودُ[4]

بُثّ النوالَ ولا تمنعْكَ قِلّتُه | فكلُّ ما سَدّ فقراً فهو محمودُ[5]

والعرب تقول: مَنْ حَقَرَ حَرَمَ.

حدّثني عبد الرحمن عن عمه قال: قال سَلْم بن قتيبة[6]: أحدُهم يَحْقِر

---

(١) أماطتك الأذى: إزالته ورفعه.

(٢) الصبوح والغبوق: شرب الخمر صباحاً ومساءً والغدوة والرّواح: الصباح والمساء.

(٣) المجهود: المقل.

(٤) أورق بالخير: أظهره

(٥) بثّ النّوال: أي تكرّم بالعطاء.

(٦) هو سلم بن قتيبة: بن مسلم الباهلي الخراساني أبو عبد الله والي البصرة وليها ليزيد بن عمر بن هبيرة أيام مروان بن محمد. فكان من الموثوق بهم في الدولتين الأموية والعباسية.

الشيءَ فيأتِي ما هو شرٌّ منه، يعني المنع.

وقال الشاعر: [بسيط]

ومـا أبـالـي إذا ضيفٌ تضيَّفَنِي ما كان عندي إذا أعطيتُ مَجهودِي
جُهدُ المِقلّ إذا أعطاك مُصْطَبِراً ومُكثِرٌ مِن غِنىً سِيّانِ في الجودِ

وفي الحدِيث المرفوع «أفضلُ الصّدقةِ جُهْدُ المُقِلّ».

وقال البُرَيْق الهُذَليّ[1]: [متقارب]

أبـو مـالـكٍ قـاصـرٌ فقـرَه على نفسِـه ومُشِيـعٌ غِنَـاه

وكان خالد بن عبد الله يقول على المِنبر: أيها الناس عليكم بالمعروف، فإنّ فاعل المعروف لا يَعْدَم جوازِيَه[2]، وما ضَعُفَ النـاسُ عن أدائه قَـوِيَ اللهُ على جَوازِيه، والبيت المشهور في هذا قول الحطيئة: [بسيط]

مَنْ يفعَـلِ الخيـرَ لا يَعْـدَمْ جـوازيَـه لا يـذهبُ العُرْفُ بين الله والناسِ[3]

ويقال: إنه في بعض كتب الله عزّ وجلّ.

قـال وَهْبُ بن مُنَبِّه: إن أحسنَ النـاس عيشاً من حَسُنَ عيشُ النـاسِ في عَيْشِه، وإنّ مِن ألَذ اللّذّة الإفْضالَ على الإخوان. وفي الحـديث المرفـوع «إنَّمَا لَكَ مِن مالِكَ ما أكلتَ فأفنيتَ أو لبست فأبليتَ أو أعطيتَ فأمضيتَ[4] وما سِوى ذلك فهو مِلكُ الوارثِ».

وقال بشارٌ: [رمل]

أنـفِـقِ الـمـالَ ولا تَـشْـقَ بـه خـيـرُ دِيـنـارَيْـك دِيـنـارٌ نَـفَـقْ[5]

---

(١) البريق الهذلي: هو عياض بن خويلد الهذلي، والبريق لقبه حجازي مخضرم، له مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه حديث «راجع معجم الشعراء ص ٢٦٨».

(٢) جوازيه: جزاءه وثوابه. (٣) العرف: المعروف.

(٤) أمضيت العطاء: أي أوصلته إلى أصحابه.

(٥) نفق: فني وذهب، ونفقت الماشية: ماتت.

قال بُزُرْجِمْهر: إذا أقبلت عليك الدنيا فأنفِق فإنهـا لا تَفْنَى وإذا أدبرت عنك فأنفِق فإنها لا تَبْقَى. أخذه بعض المُحْدَثين فقال:

فـأنفِقْ إذا أنفقتَ إن كنتَ مُـوسِـراً   وأنفِقْ على مـا خيّلتْ حين تُعْسِـرُ[١]
فـلا الجودُ يُفنِي المـالَ والجَدُّ مقبِـلٌ   ولا البخـلُ يُبْقِي المالَ والجَـدّ مُدْبِـرُ

وفي كتاب كليلة: لا يُعَدّ عائِشاً من لا يُشارَك في غِناه.

مرّ الحسنُ برجلٍ يقلّب درهماً؛ فقـال له: أتُحِبّ دِرهَمـك هذا؟ قـال: نعم، قال: أما إنه ليس لك حتى يخرجَ من يدك.

قـال الربيـعُ بن خَيْثَم لأخٍ لـه: كن وصيَّ نفسـك ولا تجعـلْ أوصيـاءك الرجالَ.

وقال بعضُ الشعراء: [متقارب]

سـأحْبِس مالي على حـاجتي   وأُوثِـر نـفسِـي عـلى الـوارِثِ
أعـاذِلُ عـاجِـلُ مـا أشتـهِي   أحَبُّ مِن المُبـطِيءِ الـرّائِـثِ[٢]

قـال عبيد الله بن عِكْـراشٍ: زمَنٌ خَؤون[٣]، ووارِثٌ شَفُون[٤]؛ فـلا تأمِن الخؤون وكن وارِثَ الشَّفونِ.

وقـال أبو ذَرٍّ: لـك في مـالِـك شـريكـانِ إذا جـاءَا أخـذَا ولم يؤامِـراك: الحَدَثان[٥] والقَـدَر، كلاهمـا يمرّ على الغَثّ والسمينِ، والـورثةُ ينتـظرون متى

---

(١) خيّلت: أي شبّهت ولوّنت، ومعناه على أيّ حال.
(٢) الرائث: المتمهل ومنه التريُّث في الأمر.
(٣) الخؤون: الذي لا أمانة له.
(٤) الشّفون: الذي ينظر إليك كالكاره أو المبغض.
(٥) الحدثان: الليل والنهار.

تموت فيأخذون ما تحتَ يديك وأنتَ لم تقدم لنفسك؛ فإن استطعتَ ألّا تكونَ أخسّ الثلاثة نصيباً فافعل.

وقال سعيد بن العاص في خطبة له: من رزَقه الله رزقاً حسناً فليكن أسعدَ الناس به فإنه إنما يترُك لأحدِ رجلين: إمّا مصلِح فلا يقلّ عليه شيءٌ، وإمّا مُفْسِدٍ فلا يَبقي له شيء. فقال معاوية: جمع أبو عثمان طرَفَي الكلام.

وقال حُطَائط بن يَعْفُر: [طويل]

ذَريني أكُنْ للمال ربّاً ولا يَكُنْ لِيَ المالُ ربّاً تَحْمَدِي غِبَّه غدا[1]

أريني جواداً مات هَزْلاً لعلّني أرى ما تَرَيْنَ أو بخيلاً مخلَّدا

وقلت ولم أعْيَ الجوابَ تبيّني أكان الهُزال حتفَ زيدٍ وأربدا[2]

قال أعرابيّ: الدراهم ميسمٌ تسمُ حمداً أو ذمّاً؛ فمن حبَسها كان لها، ومن أنفقها كانت له، وما كلّ من أعطي مالاً أُعطي حمداً، ولا كلّ عديم ذميم.

وقال بعضُ المُحدثين: [رمل]

أنتَ للمال إذا أمسكتَه فإذا أنفقتَه فالمالُ لكْ

حدّثني يزيد بن عمرو عن يزيد بن مروان قال: حدّثنا النعمان بن هلال عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «تَنْزلُ المعُونةُ على قَدْرِ المؤُونة».

قال معاوية لوَرْدان مولى عمرو بن العاص: ما بَقِي من الدنيا تَلَذّه؟ قال: العريض الطويل؛ قال: وما هو؟ قال: الحديث الحسن أو ألقى أخاً قد

(١) ربّا: أي مالكاً، والغبّ: العاقبة.

(٢) أربد: اسم علم، والألف للإطلاق، وهو ممنوع من الصّرف، والأربد: المتجهم.

نكبه الدهرُ فأجبره[١]؛ قال: نحن أحقّ بهما منك؛ قال: إن أحقّ بهما منك من سَبَقك إليهما.

وقال أعرابيّ: [طويل]

وما هذه الأيام إلّا مُعَارةٌ فما استطعتَ من معروفها فتزوَّدِ[٢]
فإنك لا تدري بأيّةِ بلدةٍ تموت ولا ما يُحدث اللهُ في غدِ
يقولون لا تَبْعَدْ، ومن يك بُعدُه ذِراعَيْن من قُربِ الأحِبّة يَبْعَدِ

وقال آخر: [سريع]

إن كنتَ لا تَبْذُلُ أو تَسألُ أفسدتَ ما تُعطِي بما تفعلُ

قال بعضهم: مضى لنا سَلَفٌ أهلُ تواصُلٍ، اعتقدوا مِنناً، واتّخذوا أياديَ ذخيرةً لمن بعدهم: كانوا يرون اصطناعَ المعروف عليهم فرضاً، وإظهارَ البِرّ حقّاً واجباً، ثم حال الزمان بنَشْءٍ اتخذوا مِنَنَهم صناعةً، وبرَّهم مرابحةً، وأياديَهم تجارةً واصطناعَ المعروف مقارضة كنقد السُّوق خذ منّي وهاتِ.

قال العُتْبيّ: وقع مِيراثٌ بين ناس من آل أبي سفيان وبني مروان، فتشاحُّوا[٣] فيه، فلما انصرفوا أقبل عمرُو بن عُتْبة على ولده، فقال لهم: إن لقريش دَرَجاً تزلَقُ[٤] عنها أقدامُ الرجال، وأفعالاً تخشع لها رقابُ الأموال، وألْسُناً تَكِلُ معها الشِّفار[٥] المشحوذة، وغاياتٍ تقصر عنها الجيادُ المنسوبة؛

(١) أجبره: أقوّيه وأعينه، وجبر العظم: قواه.
(٢) المعارة: الامانة.
(٣) تشاحوا فيه: تنازعوا وأراده كلُّ فريق لنفسه ضنّا به.
(٤) تزلقا: تزلّ وتسقط.
(٥) تكل: تضعف وتوهي، والشِّفار: السيوف.

ولـو كانت الـدنيا لهم ضـاقت عن سعة أحـلامهم، ولو احتفلتْ مـا تزيّنتْ إلا بهم. ثم إنّ ناساً منهم تخلّقوا بأخلاق العوامّ، فصـار لهم رفقٌ باللؤم وخُـرقٌ[١] في الحرص، لو أمكنهم قاسموا الـطير أرزاقَهـا، إنْ خافـوا مكروهـاً تعجّلوا له الفقر، وإنْ عُجِّلتْ لهم نعمة أخّروا عليها الشكـر، أولئك أَنْضَـاء[٢] فِكَرِ الفقـر وعَجَزة حَمَلة الشكر.

قال بعض الحجازيّين: [متقارب]

فـلو كـنـتَ تـطلب شأو الـكـرام ... فـعلتَ كـفعـلِ أبـي البَـخْـتَـري[٣]

تـتَّـبـعَ إخـوانَـه فـي الـبـلاد ... فـأغْـنَى الـمُـقِـلَّ عـن الـمُـكْـثـرِ

القَناعة والاستعفاف

حدّثني شيخٌ لنا عن وكيع عن ابن أبي ذِئْبٍ عن محمد بن قيس عن عبد الرحمن ابن يزيدَ عن ثَوْبانَ[٤] قال: قال رسول الله ﷺ: مَنْ يَتَقَبَّلُ لي بـواحدةٍ وأتقبّل له بـالجنة فقـال ثوبـانُ: أنا يـا رسول الله، قـال: لا تَسْأَلِ النـاسَ شيئاً فكان ثوبانُ إذا سقط سوطُه من يدِه نزل فأخذه ولم يَسألْ أحداً أن يُناولَه إياه.

وحدّثني أيضاً عن عبد الرحمن المحارِبيّ عن الأعمش عن مجاهد قال: قـال عمرُ رضي الله عنـه: ليس من عبـدٍ إلا وبينـه وبين رزقِـه حجـابٌ، فـإن آقتصدَ أتاه رزقُه وإن اقتحم هتكَ الحجابَ ولم يُزَدْ في رزقِه.

---

(١) الخـرق: ضـدّ الـرّفق، وهـو الجهـل والطيش.

(٢) أنضاء فكر الفقر: أي الذين أهزلهم التفكّر في الفقر فمالوا إلى الحرص والبخل،

(٣) الشأو: الغاية والأمد، وهنا بمعنى فِعل وأبو البختري: هو وهب بن وهب بن كبير بن عبـد الله ابن رمعـة من بني المطلب بن أسـد بن عبد العـزّى من قريش، كـان جواداً كثير العـطايـا تقصده الشعراء.

(٤) هو ثوبان بن يجدد أبو عبد الله. مولى رسول الله ﷺ أصله من أهل السراة! اشتراه النبي ﷺ ثم أعتقه فلم يزل يخدمه إلى أن مات.

وحدّثني أيضاً عن وَكيع عن سفيان عن أُسامة بن زيد عن أبي مَعْنٍ الإسكندرانيّ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الصّفَا الزّلّالَ[١] الذي لا تَثْبُت عليه أقدامُ العلماء الطمعُ». وقال عليه السلام: «إن رُوحَ القُدُسِ نَفَثَ في رُوعِي[٢] أنّ نَفْساً لَن تَموتَ حتى تَسْتَكمل رِزقهَا فاتقُوا اللهَ وأجمِلُوا[٣] في الطلب».

قال ابن حازم: [بسيط]

للنّاسِ مالٌ ولي مالان.ما لَهُما ... إذا تحارسَ أهلُ المالِ أَحْرَاسُ
ما لي الرضا بالذي أصبَحْتُ أملِكُه ... وما ليَ اليأسُ ممّا يملِكُ الناسُ

أخذ هذا من قول أبي حازم المدنيّ، وقال له بعضُ الملوكِ: ما ما لُكَ؟ قال: الرضا عن الله، والغِنى عن الناسَ.

وقال بشّارُ بن بِشر[٤]: [طويل]

وإنّي لعَفٌّ عن فكاهةِ جارتي ... وإني لمشْنُوءٌ إليّ اغتِيَابُها[٥]
إذا غابَ عنها بعلُها لم أكن لها ... زَءُوراً ولم تأنس إليّ كلَابُها[٦]
ولم أكُ طَلَّاباً أحاديثَ سِرِّها ... ولا عالِماً من أيّ حَوْكٍ ثِيابُها
وإنّ قِرابَ البطنِ يكفيكَ مِلؤُه ... ويكفيك سوءآت الأمورِ اجتنابُها
إذا سُدّ بابٌ عنكَ من دون حاجةٍ ... فذَرْها لأُخرى لَيِّنٍ لكَ بابُها

وقال ابن أبي حازم: [مخلع البسيط]

---

(١) الصّفا الزلّال: أي الأملس من الحجارة.
(٢) رُوعي: أي في خَلَدي وبالي: والرُّوع: القلبُ العقل.
(٣) أجملوا في الطلب: أي تصبّروا ولا تفرطوا.
(٤) بشّار بن بشر: كذا في الأصل ولم نجد في كتب الأدب التي بين أيدينا شاعراً بهذا الاسم، وقد نسب البيت الأخير في حماسة البختري ص ٣٤٢ ط أوروبا لزياد بن منقذ التميمي.
(٥) المشنوء: من الشنآن: أي البغض.
(٦) الزّءور: الذي يكثر الزّيارة.

أوجعُ من وَخْزَةِ السِّنانِ لِذي الحِجَا وَخزة اللسانِ[١]
فاسْتَرْزِقِ اللهَ واستعِنْهُ فإنه خيرُ مُستعانِ
وإن نبا منزلٌ بحُرٍّ فمن مكانٍ إلى مكانِ[٢]
لا يَثبتُ الحرّ في مكانٍ يُنسبُ فيه إلى الهوَانِ
الحرُّ حرٌّ وإن تَعدّتْ عليه يوماً يدُ الزّمانِ

حدّثني محمد بن داود عن جابر بن عثمانَ الحنفيّ عن يوسفَ بن عطيةَ قال حدّثني المعلَّى بن زياد القُرْدُوسِي: أن عامر بن عبد قيس العَنْبريّ كان يقول: أربعُ آياتٍ من كتاب الله إذا قرأتُهنَّ مَسَاءً لم أُبالِ على ما أُمْسِي، وإذا تَلوتُهنَّ صباحاً لم أُبالِ على ما أُصْبِحُ: ﴿ما يَفْتَحِ اللهُ لِلنّاسِ مِن رحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾[٣]. ﴿وَإن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾[٤]. ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرضِ إلاَّ عَلَى ٱللهِ رِزْقُهَا﴾[٥]. ﴿سَيَجْعَلُ ٱللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً﴾[٦].

حدّثني عبد الرحمن عن بِشْر بن مُصلِح قال قال إبراهيم بن أدهم[٧]: لاَ تَجعل بينك وبين الله مُنعماً عليك، وعُدَّ النِّعَم منه عليك مَغْرماً[٨].

حدّثني الرِّياشيّ عن الأصمعيّ قال: أَبرعُ بيتٍ قالته العربُ بيتُ أبى

---

(١) السِّنان: الرمح، والحجا: العقل والنُّهي.

(٢) نبا: تجافى عنه وتباعد.

(٣) سوره فاطر الاية ٢.

(٤) سورة يونس الآية ١٠٧.

(٥) سورة هود الآية ٦.

(٦) سورة الطلاق الاية ٧

(٧) هو ابراهيم بن أدهم: بن منصور التميمي البلخي أبو إسحاق، زاهد مشهور، كان من الأغنياء، لكنّه تزهد.

(٨) المغرم: الدين والدّية.

ذُؤَيبٍ الهُذَليّ(١): [كامل]

والنَّفسُ رَاغِبَـةٌ إذا رَغَّبـتَـهـا وإذا تُـرَدُّ إلى قَـلـيـلٍ تَـقْـنَـعُ

قال أبو حاتم عن الأصمعيّ قال حدّثنا أبو عمرو الصَّفّار عن الحجاج بن الأسود قال: احتاجت عجوزٌ من العُجُزِ القُدُمِ، قال: فجزعتْ إلى المسألة، ولو صبرَتْ لكان خيراً لها. ولقد بلغني أن الإنسانَ يَسألُ فيُمنَعُ، ويَسأل فيُمنَعُ، والصَّبرُ مُنتبَذٌ ناحيةً يقول: لو صِرتَ إليّ لكَفَيتُكَ.

وكان يقال: أنت أخو العزّ ما ٱلتَحْفتَ القناعةَ، ويقال: اليأس حرٌّ والرَّجاء عبدٌ.

وقال بعضُ المفسِّرين في قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾(٢) قال: بالقناعة.

وقال سعد بن أبي وَقّاص لابنه عمر: يا بنيّ إذا طلبت الغِنى فاطلبْه بالقناعةِ، فإن لم تكن لك قناعةٌ فليس يُغنيكَ مالٌ.

وقال عروةُ بن أُذَيْنَةَ(٣): [بسيط]

لقد علِمتُ ـ وما الإسرافُ في طمع ـ أنّ الذي هو رزقي سوفَ يأتيني

أسْعَى له فيُعنّيني تَطَلُّبُه ولو قعدتُ أتاني لا يُعنّيني(٤)

وقال أبو العَتاهِيَةِ: [رجز]

إن كان لا يُغنِيكَ ما يَكفِيكا فكلّ ما في الأرض لا يُغنِيكا

(١) أبو ذؤيب الهذليّ: هو خويلد بن خالد جاهليٌّ إسلاميّ، وكان راوية لساعدة بن جؤيّة الهذليّ، خرج مع عبد الله بن الزّبير في مغزى نحو المغرب فمات هناك راجع الشعر والشعراء ص ٤٣٥.

(٢) سورة النحل الآية ٩٧.

(٣) هو عروة بن أذينة الليثي تقدّمت ترجمته ص ١٧٣ نفس الجزء.

(٤) يعنيني: من العناء وهو التعب والشّقاء.

وقال بعضهم: الغِنى والفقرُ يجولان في طلب القناعةِ فإذا وجداها قطَناها[١].

حجّت أعرابيةٌ على ناقة لها، فقيل لها: أين زادُكِ؛ قلت: ما معي إلا ما في ضَرْعِها. وقال الشاعر: [كامل]

يا رُوحَ مَنْ حَسَمَتْ قناعتُه سَببَ المطامِع من غدٍ وغدِ
مَنْ لم يكن لله مُتَّهِماً لم يُمسِ مُحتاجاً إلى أحد

وقال أرْدَشِيرُ: خيرُ الشِّيم القناعةُ، ونماءُ العقلِ بالتعلّم.

وقال النَّمِرُ بن تَوْلَب: [كامل]

وَمَتى تُصِبْكَ خَصاصَةٌ فارجُ الغِنَى وإلى الذي يَهَبُ الرّغائِبَ فارْغَبِ
لا تَغضبَنَّ على آمرىءٍ في ما لِه وعلى كرائم صُلْبِ مالِكَ فاغضَبِ[٢]

وقال أبو الأسود: [طويل]

ولا تَطْمَعَنْ في مال جارٍ لقُربه فكلُّ قَريبٍ لا يُنَالُ بَعِيدُ

وقال كعبُ بن زُهَير[٣]: [بسيط]

قد يعوِز الحازِمُ المحمودُ نِيَّتُه بعدَ الثَّراءِ ويُثْرِي العاجِزُ الحَمِقُ
فلا تَخافي علينا الفقر وانتظِري فضلَ الذي بالغنى مِنْ فضلِه نَثِقُ

وشكا رجلٌ إلى قوم ضِيقاً فقال له بعضهم: شكوتَ مَنْ يَرحَمُك إلى مَنْ لا يرحَمُك.

---

(١) قطناها: سكناها.

(٢) صلب المال: أساسه ونتاجه.

(٣) هو كعب بن زهير بن أبي سلمى، شاعر فحل مخضرم، هجا النبيّ عليه الصلاة والسلام قبل أن يسلم، ثمّ مدحه بقصيدة مشهورة وهو متخفٍّ فلمّا انتهى من مدحه أسفر عن وجهه، وكساه النبيّ صلوات الله عليه بردته راجع الشعر والشعراء ص ٨٠.

وقال هشامُ بن عبد الملك لسالم بن عبد الله ودخلا الكعبة: سلني حاجتَكَ، قال: أكرهُ أن أسألَ في بيتِ الله غيرَ الله. ورأى رجلاً يسألُ في الموقفِ فقال: أفي مثل هذا الموضعِ تسألُ غيرَ اللهِ عز وجلّ!.

وقال ابن المعذَّل[1]: [طويل]

تُكَلِّفني إذلاَلَ نفسي لِعِزِّها وهانَ عليها أن أُهانَ لِتَكْرُمَا
تقول سَلِ المعروفَ يحيىَ بن أكثم فقلتُ سَليهِ رَبَّ يحيىَ بنِ أكثمَا[2]

وقال ابن عباس: المساكين لا يعودونَ مريضاً ولا يَشهَدُون جنازةً، وإذا سألَ الناسُ اللهَ سألوا الناسَ.

وكان الحسنُ يَطرُدُ السُّؤَّالَ يومَ الجمعةِ، ولا يَرى لهم جُمعَةً.

وقال بعضُ الشعراء: [بسيط]

حبُّ الرياسة داءٌ لا دواءَ له وقَلَّ ما تَجِدُ الراضينَ بالقِسَمِ[3]

وقال محمودُ الورّاق: [كامل]

شادَ الملوكُ قصورَهمْ وتَحصَّنُوا عن كلّ طالبِ حاجةٍ أو راغبِ
غالَوْا بأبواب الحديدِ لِعزّها وتَنوّقوا في قُبحِ وجه الحاجبِ[4]
وإذا تلطّف للدّخول إليهمُ راجٍ تلقَّوهُ بوَعْدٍ كاذبِ
فارغَبْ إلى مَلكِ الملوكِ ولا تَكُنْ يا ذا الضَّراعةِ طالباً من طالبِ

---

(١) ابن المعذّل: هو عبد الصّمد بن المعذل بن غيلان بن الحكم العبدي من بني عبد القيس، من شعراء الدولة العباسيّة ولد في البصرة، وكان هجاءاً سكّيراً.

(٢) يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن التميمي المرزوي قاضٍ رفيع القدر عالي الشهرة.

(٣) القِسم: الأرزاق، أو ما يقسم للإنسان من رزق.

(٤) تنوّقوا: أي تأنّقوا، يقال: تنوّق في مطعمه وملبسه، إذا تجوّد وبالغ.

وُجِدَ على مِيلٍ [١] في طريقِ مكّةَ : [هزج]

ألا يــا طــالــبَ الــدّنــيــا دَعِ الــدنــيــا لِــشَــانِــيــكَــا
إلــى كَــم تــطلبُ الــدنــيــا وظِــلُّ الــمِــيــلِ يَــكْــفِــيــكَــا [٢]

قال مُطرِّفُ بن عبد الله لابن أخيه : إذا كانت لكَ إليّ حاجةٌ فاكتُبْ بها رُقعةً فإني أضِنّ بوجهكَ عن ذُلِّ السؤالِ .

وقال أبو الأسود :

وإنّ أحَقَّ النــاس إنْ كنتَ مــادِحــاً بمـدحكَ مَنْ أعـطاكَ والوجـهُ وافِرُ [٣]

وكان معاويةُ يتمثّل بهذين البيتين : [مجزوء الكامل المرفّل]

وفــتــىً خَــلاَ مــن مــالــه ومــن الــمُــروءة غــيــرُ خــالِــي
أعــطاكَ قــبــل ســؤالــه فــكــفــاكَ مــكــروهَ الــســؤالِ

وقال آخر : [طويل]

أبـا مالـكٍ لا تَسْـأل النـاسَ وٱلتَمِسْ بكفّيـك سَيْبَ اللهِ فـاللهُ أوسَـعُ [٤]
فلو تَسْـأل النـاسَ التـرابَ لأوشَكُـوا إذا قُلتَ هــاتُـوا أن يَمِيلُوا فيَمْنَعُــوا

والمشهور في هذا قول عَبِيد [٥] : [مخلع البسيط]

مَنْ يَســأل الــنــاس يَحْـرِمُــوهُ وســائـلُ الــلهِ لا يَــخِــيــبُ

قال سليمانُ لأبي حازمٍ : سَلْ حوائجَك ؛ فقال : قد رفعتُها إلى من لا

---

(١) الميل : منارٌ يبنى للمسافر في أنشاز الأرض وأشرافها ، أي أعاليها .
(٢) نسب هذان البيتان في الأغاني «ج ٣ ص ١٦٧ ط بولاق» لأبي العتاهية .
(٣) الوافر : المصون .
(٤) السيب : العطاء .
(٥) هو عبيد بن الأبرص بن عوفي الأسدي شاعراً جاهلياً قديماً من المعمّرين شهد مقتل حُجر ابي امرىء القيس . قتله النعمان يوم بؤسه .

تُخْذلُ الحوائجُ دونه.

قال بعضُ المفسّرين في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّازِقِينَ﴾[١] أي المخلوقُ يَرْزُقُ فإذا سَخِط قطع رِزقَه، واللهُ عزّ وجل يَسْخَط ولا يقطع.

وقال الشاعر: [بسيط]

لا تَضْـرَعنّ لمخلوقٍ على طمـعٍ فـإنّ ذلك وَهْنٌ منـك بـالـدِّينِ[٢]

واسترزِق اللهَ رِزقـاً من خـزائنـهِ فـإنّما هـو بين الكـافِ والنـونِ[٣]

وقال الخليل بن أحمد[٤]: [بسيط]

أبلغْ سُليمـانَ أنّي عنـه في سَعَـةٍ وفي غِنىً غيـرَ أنى لستُ ذَا مـالِ[٥]

شُحّـاً بنفسِيَ، إنّي لا أرَى أحـداً يمـوتَ هَـزْلاً ولا يبقَى على حـالِ[٦]

فـالرزقُ عن قَـدَرٍ لا الضُّعفُ يَمنَعـهُ ولا يَـزِيـدُكَ فيـه حـولُ محتـالِ[٧]

وقال المَعْلُوطُ: [طويل]

متى مـا يَـرَ النـاسُ الغَنيَّ وجـارُه فَقيـرٌ يقـولـوا عـاجـزٌ وجَليـدُ[٨]

وليس الغِنىَ والفقـرُ من حيلة الفتى ولـكن حُـظوظٌ قُـسِّمَـتْ وجُـدُودُ[٩]

وقال آخر: [طويل]

(١) سورة المؤمنون الآية ٧٢.

(٢) تضرعن: أي تذلّنّ نفسك، والوهن: الضعيف.

(٣) بين الكاف والنون: أي أن الرزق بأمر الله يقول له «كن» فيكون.

(٤) هو الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الازدي. أبو عبد الرحمن من أئمة اللغة والادب. وواضع علم العروض. وهو أستاذ سيبويه النحوي.

(٥) سليمان: هو سليمان بن حبيب بن المهلَب بن أبي صفره الأزديّ، وكان والي فارس والأهواز.

(٦) الهزل: الضعف، ولا يبقى على حال: أي لا بدّ أن يتغير من حال إلى حال.

(٧) الحول: القوة والمحتال: الطالب.

(٨) الجليد: الصبور.

(٩) الجدود: الحظوظ.

يَخِيبُ الفتى من حيثُ يُـرزَقُ غيـرُه ويُعْطَى الفتَى من حيثُ يُحرَمُ صاحِبُهْ

وقال أبو الأسود[١]: [منسرح]

لـيـتـكَ آذنْـتَـنـي بـواحـدةٍ تـجْـعَـلُـهـا مـنـك سـائـرَ الأبـدِ
تَـحـلِفُ ألاّ تَـبـرَّنـي أبـداً فـإنَّ فـيـهـا بـرداً عـلى كـبـدي
إن كـان رِزْقـي إلـيـك فـارمِ بـه في نـاظِـرَيْ حيَّـةٍ عـلى رَصَـدِ[٢]

وقال عمر بن الخطّاب رضي الله عنه: حِرفةٌ يقالُ فيها خيرٌ من مَسْألَةِ الناس.

وقال سعيدُ بن العاص: مَوْطِنانِ لا أستحيي من العَيِّ[٣] فيهما: عند مُخاطَبتي جاهلاً، وعند مَسْألتي حاجةً لنفسي.

حدّثني محمد بن عبيد عن أبي عبد الله عن محمد بن عبد الله بن واصل قال: جاء رجلٌ إلى شُرَيح يَستقرِضُ دراهمَ؛ فقال له شريحٌ: حاجتُكَ عندنا فأْتِ مَنزلَكَ فإنّها ستأتيك، إنّي لأكره أن يَلْحَقَكَ ذُلُّها.

حدّثني الرِّيَاشِيّ عن الأصمعيّ عن حَكيم بن قيس بن عاصم عن أبيه أنه أوصى بنيه عند موته فقال: إيّاكم والمسألةَ، فإنها آخرُ كسبِ الرجل.

وقال بعضُ المحدَثِينَ: [طويل]

عَـوّدتُ نفسي الضِّيقَ حتى أَلِفْتُـه وأحْـرَجني حسنُ العـزاءِ إلى الصَّبـرِ
ووسّـع قلبي لـلأذى الأنسُ بـالأذى وقـد كنتُ أحيانـاً يَضِيقُ بـه صـدْرِي
وصَيَّـرني يـأسِي من النـاس راجيـاً لِسُرعةِ لُـطفِ اللهِ من حيثُ لا أدْرِي

(١) هو أبو الأسود الدؤلي قيل إن اسمه عمرو بن ظالم بن سفيان الكناني. وقيل هو ظالم بن عمرو ابن سفيان ادرك الرسول ﷺ وهاجر الى البصرة على عهد عمر. وهو لغوي معروف.
(٢) الرّصد: الحرس أو الذي يرقب الشيء.
(٣) العيّ: الثقل في الكلام.

وقال آخر: [مجزوء الرجز]

حَسْبِي بِعِلْمِي لو نَفَعْ ما الذُّلُّ إلّا في الطَّمَعْ
مَنْ راقب اللهَ نَزَعْ عن قُبح ما كان صَنَعْ[1]
ما طار شيءٌ فارتفعْ إلّا كما طارَ وقعْ

الحِرصُ والإلحاحُ

لما قتلَ كِسرىَ بُزُرْجِمِهْرَ وجَد في مِنْطَقَتِه كتاباً: إذا كان القَدَرُ حقّاً فالحِرصُ باطلٌ، وإذا كان الغَدْرُ في الناس طِباعاً فالثِّقةُ بكلّ أحدٍ عجزٌ، وإذا كان الموتُ لكل أحدٍ راصِداً فالطمأنينةُ إلى الدنيا حُمْقٌ.

وقال بعض الشعراء: [كامل]

من عفّ خفّ على الصَّديقِ لِقاؤه وأخو الحوائج وجهُه مَمْلولُ

وفي كتاب للهند: لا يُكثر الرجلُ على أخيه الحوائجَ؛ فإنّ العِجْلَ إذا أفرط في مصّ أمه نَطَحته ونحّته.

وقال عَدِيّ بن زيد: [سريع]

قد يُدرِكُ المُبْطِىءُ من حظِّه والرزقُ قد يَسبِقُ جهدَ الحريْص

وقال ابن المقفَّع: الحرصُ مَحْرمةٌ، والجبنُ مَقْتلةٌ، فانظُرْ فيما رأيتَ وسمِعتَ أَمَنْ قُتِل في الحرب مُقْبِلاً أكثرُ أم مَنْ قُتِل مُدْبِراً، وانظرْ مَنْ يطلبُ إليك بالإجمال والتكرم أحقّ أن تسخوَ نفسُك له بالعطيّة أم مَنْ يطلبُ ذلك

(١) نزع: تحوّل.

بالشَّرَه[١] والحِرص.

وقال الشاعر: [بسيط]

كم مِنْ حَريص على شيءٍ لِيُدْرِكَه وعَلَّ إدراكَه يُدْني إلى عَطَبِهْ[٢]

وقال آخر: [متقارب]

ورُبَّ مُلِحٍّ على بُغيةٍ وفيها مَنيّتُه لو شَعَرْ[٣]

والعربُ تقول في الرجل المُلِحّ في الحوائج الذي لا تنقضِي له حاجةٌ إلا سأل أخرى: [بسيط]

لا يُرسِلُ السّاقَ إلاّ مُمسِكاً ساقاً

وأصلُ المثل في الحِرْباء، إذا اشتدّ عليه حَرُّ الشمس لجأ إلى شجرة ثم تَوَقَّى في أغصانها، فلا يُرسل غُصناً حتّى يَقبِض على آخرَ.

وقال الشاعر: [بسيط]

أنّى أُتِيحَ له حِرْباءُ تَنْضُبَةٍ لا يُرسلُ الساق إلاَّ مُمسِكاً ساقَا[٤]

وفي كتاب كليلة: لا فقرَ ولا بلاءَ كالحِرص والشَّرَه، ولا غِنَى كالرِّضا والقناعة، ولا عقلَ كالتّدبير، ولا وَرَعَ كالكفِّ، ولا حَسَبَ كحسن الخلق.

قال ابن المقفع: الحرصُ والحسدُ بِكْرا الذنوب[٥] وأصلُ المهالك؛ أمّا الحسدُ فأهلك إبليسَ، وأما الحرصُ فأخرج آدمَ من الجنّة.

---

(١) الشره: غلبة الحرص.

(٢) العطب: الهلاك.

(٣) البغية: الطلب.

(٤) التنضبة: واحدة التنضب، وهو شجرٌ عيدانه بيضٌ ضخمة، وورقه متقبّض ولا تراه إلاّ كأنه يابسٌ مغبّر.

(٥) بكرا الذنوب: أي أولاها، والبكر: الولد الأوّل.

وفي كتاب كليلة: خمسةٌ حُرَصاءَ، المالُ أحبُّ إليهم من أنفسهم: المُقاتِلُ بالأُجرة، وحفّار القُنِيّ[1] والأسرابِ، والتَّاجِرُ يَركَبُ البحر، والحاوي يُلسِعُ يدَه الحيّةَ، والمُخاطِرُ على شُرب السمّ.

دخل مالك بن دِينار على رجل محبوسٍ قد أخِذ بمال عليه وقُيِّدَ، فقال له: يا أبا يحيى، أمَا تَرى ما نحن فيه من هذه القيود! فرفَع مالك رأسَه فرأى سَلَّةً، فقال: لمن هذه؟ قال: لي، قال: فأمر بها أن تُنزلَ، فأُنزِلتْ فوُضعتْ بين يديه، فإذا دَجَاجٌ وأَخْبِصةٌ[2]، فقال مالك: هذه وَضعت القيودَ في رجلك.

كان أشعب يقول: أنا أطمع وأُمِّي تَيقَنُ[3] فقلّ ما يفوتُنا.

وقال النابغةُ[4]: [كامل]

واليأسُ عمّا فات يُعقِب راحةً ... ولَرُبَّ مَطْعَمَةٍ تعودُ ذُبَاحا[5]

وقال أبو عليٍّ الضريرُ: [وافر]

فإنّي قد بلوتُكُمُ جميعاً ... فما منكمْ على شكري حريصُ
وأرخصتُ الثّناءَ فعِفتُموهُ ... ورُبَّتَما غلا الشيء الرّخيصُ
فعِفتُ نوالَكم ورَغِبتُ عنه ... وشَرُّ الزادِ ما عاف الخَصِيصُ[6]

وقال أعرابيّ: [خفيف]

أيّها الدّائبُ الحريصُ المُعَنَّى ... لك رزقٌ وسوف تستوفِيهِ

---

(١) القنيّ: جمع قناة وهي الآبار والأخاديد التي تحفر في الأرض.
(٢) الأخبصة: جمع خبيص، والخبيص: ضربٌ من الحلواء.
(٣) تيقن: ترقب.
(٤) هو النابغة الذبياني الشاعر الجاهلي المعروف.
(٥) الذُباح: القتل.
(٦) الخصيص: الفقير الذي به خصاصة.

قبح الله نائلاً ترتجيه … من يدي من تريد أن تقتضيه
إنّما الجودُ والسّماحُ لِمن يُعـ … ـطيك عفواً وماءُ وجهك فيهِ(١)
لا ينالُ الحريصُ شيئاً فيكفيـ … ـه وإن كان فوق ما يكفِيه
فَسَلِ الله وَحدَه ودَعِ النا … سَ وأسخِطْهمُ بما يُرضيهِ
لا تَرَى مُعطياً لِما مَنع اللـ … ـهُ ولا مانعاً لما يُعطيهِ

وجد بالأصل بآخر هذا الجزء ما يأتي:

آخر كتاب الحوائج، وهو الكتاب الثامن من عيون الأخبار لابن قتيبة رحمة الله عليه. وكتبه الفقير إلى رحمة الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد ابن عليّ الواعظ الجَزَريّ وذلك في شهور سنة أربع وتسعين وخمسمائة. والحمد لله ربّ العالمين، وصلاتُه وسلامُه على سيِّدنا محمد النبيّ وآله أجمعين. ويتلوه الكتاب التاسع وهو كتاب الطعام، والله الموفِّق للصّواب.

وفيه كذلك ـ وهو من زيادات النسّاخ ـ:

في الاستعفاف: [سريع]

عليك باليأس من الناسِ … إنّ غِنَى نفسِك في اليأسِ
كم صاحبٍ قد كان لي وامقاً … إذ كان في حالة إفلاس(٢)
أقول لو قد نال هذا الغِنَى … صَيَّرني منه على الرّاس
حتى إذا ما صارَ فيما اشتَهي … وعدّه النّاسُ من النّاسِ
قَطّع بالصدّ حبالَ الصَّفا … منّي ولَمّا يَرْضَ بالقاسي(٣)

وقال آخرُ وقد أحسن(٤): [مجزوء الرّمل]

(١) ماء الوجه: كناية عن الحياء والكرامة.
(٢) الوامق: العاشق والمحبّ.
(٣) الصدّ: من الصدود، وهو الجفاء والامتناع.
(٤) هو أبو العتاهية.

إنّ للمعروف أهلاً وقليلٌ فاعِلوهُ
أهنأُ المعروفِ ما لم تُبتذَلْ فيه الوجوهُ
أنت ما استغنيتَ عن صا حبك الدّهرَ أخوهُ
فإذا احتجتَ إليه ساعةً مَجّك فوهُ
إنما يَعْرِف الفضـ لَ من الناس ذووه
لو رأى الناسُ نَبِيّاً سائلاً ما وَصَلوهُ

وكتب أبو العيناء[1] إلى أبي القاسم بن عُبَيدِ الله بن سُليمان رُقعة يقول فيها: أنا ـ أعزّك الله ـ وولدي وعِيالي زرعٌ من زَرْعك، إن سَقيتَه راعَ[2] وزكا، وإن جفوتَه ذَبُل وذَوَى. وقد مسَّني منك جفاءٌ بعد بِرٍّ وإغفالٌ بعد تَعَهُّد، فشَمتَ عدوٌّ، وتَكلَّم حاسد، ولَعِبتْ بي ظنونٌ؛ وانتزاعُ العادةِ شديدٌ. ثم كتب في آخرها: [رمل]

لا تُهِنّي بعدَ إكرامك لي فشديدٌ عادةٌ مُنتزَعَهْ

وقال آخر: [بسيط]

ما لي مَعَاشٌ سوى ضدِّ المعاشِ فلا أغدوُ إلى عملٍ إلّا بلا أمَلِ
وليس لي شُغُلٌ يُجْدِي عليّ إذا فَكّرتُ فيه ومَا أنفكُّ من شُغُلِ
كلُّ امرىءٍ رائحٌ غادٍ إلى عملٍ وما أروح ولا أغدو إلى عمل
ولستُ في الناسِ موجوداً كبعضهمُ وإنّما أنا بعضُ الناس في المثل

وقال آخر: [سريع]

المرءُ بعد الموتِ أُحدوثةٌ يفنَى وتبقَى منه آثارُهُ

---

(١) أبو العيناء: هو محمد بن القاسم بن خلّاد اليمامي مولى بني هاشم وكان ضريراً ذا لسان وعارضة ورواية واسعة توفي بالبصرة.

(٢) راع: نما واخضرّ.

يَـطْوِيـه مـن أيّـامـه مـا طـوى … لـكـنّـه تُـنـشَـر أسـرَارُهُ
وأحسنُ الحـالاتِ حـالُ امـرىءٍ … تَـطِيـبُ بـعـد المـوت أخبـارُهُ
يـفنَـى ويبـقَـى ذكـرهُ بـعـدَه … إذا خَـلَـتْ مـن شـخـصـه دارُهُ

وقال حبيب الطائي: [بسيط]

ومـا ابنُ آدمَ إلّا ذكـرُ صـالـحـةٍ … أو ذكـرُ سيئـةٍ يَسـرِي بهـا الكَلِمُ
أمَـا سَمِعتَ بـدهـرٍ بـاد أُمّتُـه … جاءت بأخبارها من بعـدها أُمَمُ

في البخل: [متقارب]

طَـرَقْـتُ أُنَـاسـاً عـلى غِـرَّةٍ … فـذُقتُ من العيشِ جهـدَ البـلاء[١]
فـأمّـا الـقـدِيـدُ وأشـبـاهُـه … فـذاك مـفـاتِيحُـه في السمـاء[٢]
وأمـا الـسَّـوِيقُ فـفـي عَـيْـبـةٍ … يُـشَـمُّ ويُـدْعَـى لـه بـالـبـقـاء[٣]
ومَـنْ حـاولَ الـخـبـز قـالـوا لـه … أتـذكـر شـيـئـاً خُـبِـي لـلدَّواء[٤]

---

(١) الغرّة: الغفلة.
(٢) القديد: اللحم المجفّف في الشمس.
(٣) السّويق: شراب معروف، والعينة: وعاء يحفظ فيه الشّراب.
(٤) خبي: سُتّر، من خبأ.

كتاب الطعام

صنوف الأطعمة

قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قُتَيبة الدِّينَوَرِيّ رحمة الله عليه: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للأحنف: أيُّ الطعامِ أحبُّ إليك؟ قال: الزُّبْدُ والكَمْأةُ[١]؛ فقال عمر: ما هما بأحبِّ الأطعمةِ إليه، ولكنه يُحِبّ الخِصْبَ للمسلمين.

قال الأصمعيّ: قال رجلٌ في مجلس الأحنف: ليس شيءٌ أبغضَ إليَّ من التمر والزُّبد: فقال الأحنف: رُبَّ مَلُومٍ لا ذنبَ له.

عن أبي عمرو بن العَلَاء قال: قال الحجّاج لجلسائه: لِيَكْتُبْ كلُّ رجلٍ في رُقْعةٍ أحبَّ الطعامِ إليه ويجعلْها تحت مُصَلَّاى؛ فإذا في الرِّقاع كلِّها الزُّبْدُ والتمرُ.

عن الأصمعيّ قال قال مَدَنِيّ: الكُبَادات[٢] أربع: العصيدةُ[٣] والهريسة والحَيْسةُ[٤] والسَّمِيذةُ[٥].

---

(١) الكماة: اسم للواحد وللجمع: وهو نبات يقال له: شحم الأرض مستديرٌ كالقلقاس، لا ساق له ولا عرق، لونه إلى الغبرة، يوجد في الربيع تحت الأرض.

(٢) الكبّادات: من الكبد، ويعني به الأطعمة السّهلة.

(٣) العصيدة: طحين يلتّ بالسّمن ويطبخ.

(٤) الحبسة: الإقطّ يخلط بالتمر واللبن.

(٥) السّميذة: الحوّاري وهي لباب الدّقيق.

عن الأصمعيّ عن حزم قال: قال مالك بن حِقْبة لحَسّان بن الفُرَيْعة: ما تَزَوَّدْتَ إلينا؟ قال: الحَيْسُ؛ قال: ثلاثةُ أسْقيَة في وعاء.

قال الأصمعيّ: قال بعض الأعراب: أشتهي ثريدةً[١] دَكْناء من الفُلْفُل، رَقْطاء[٢]، من الحِمَّص، ذات حِفَافين[٣] من اللحم، لها جَناحان من العُرَاق[٤]، أُضْرِب فيها ضَرْب وليّ السَّوْء في مال اليتيم.

وقال ابن الأعرابيّ: يقال: أطيبُ اللحم عُوَّذُهُ، أي أطيبه ما وَلِيَ العظمَ، كأنه عاذَ به.

عن أبي عُبَيدة قال: مرّ الفرزدقُ بيحيى بن الحُصَين بن المُنْذِر الرَّقَاشيّ، فقال له: هل لك يا أبا فِرَاسٍ في جَدْيٍ سمين ونَبيذِ زبيبٍ جيِّد؟ فقال الفرزدق: وهل يأبى هذا إلا ابنُ المَرَاغة[٥]! يعني جريراً.

وقال الأَحْوَص[٦] لجرير: ما تُحِبُّ أن يُعَدّلك؟ قال: شِواءٌ وطِلاءٌ[٧] وغِناءٌ؛ قال: قد أُعِدَّتْ لك.

وقال مَدَنِيٌّ لصديق له: والله أشتهي كَشْكيَّةً[٨]، ومدّ بها صوتَه فخرجت

---

(١) الثريدة الدّكناء، أي الكثيرة الأبازير، والأبازير: التوابل وهو ما يطيّب به الطعام.

(٢) الرقطاء: السوداء تشوبها نقط بيضاء.

(٣) الحفافين: مثنى حفاف وهو الجانب.

(٤) العراق: العظام إذا أخذ عنها معظم اللحم وبقي عليه لحومٌ رقيقة تؤكل وتتمشّش العظام، ولحمها من أطيب اللّحمان عندهم.

(٥) المراغة: اسم من أسماء الأتان.

(٦) هو الأحوص بن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبي الأصلح، وكان الأحوص يرمي «بالأبنة» وهي العيب والزنا، فنفاه عمر بن عبد العزيز من المدينة إلى قرية باليمن، راجع الشعر والشعراء ص ٣٤٥.

(٧) الطّلاء: الخمر، من الطلى.

(٨) الكشكيّة: من الكشك، وهو ضربٌ من الحساء مصنوع من القمح واللبن.

منه ريح ؛ فقال له : ما أسرع ما لَفَحَتْكَ يابنَ عمّ .

وعن الأصمعيّ قال : قال شيخ من أهل المدينة : أتيتُ فلاناً فأتاني بمَرَقةٍ كان فيها مُسَقًّى[1]، فلم أر فيها إلا كَبِداً طافيةً، فغَمَستُ يدي فوجدت مُضْغة[2]، فمددتُها فلامتدّتْ حتى كأني أزمُر في ناي .

أُدخِل أعرابيّ على كِسْرَى ليتعجّبَ من جَفائه وجَهْله ؛ فقال له : أيّ شيء أطيبُ لحماً؟ قال : الجمل . قال : فأيُّ شيء أبعدُ صوتاً؟ قال : الجمل . قال : فأيّ شيء أنهضُ بالحِمْل الثقيل؟ قال : الجمل . قال كسرى : كيف يكون لحم الجمل أطيبَ من البَطّ والدَّجاج والفِراخ والدُّرّاج[3] والجِداء؟ قال : يُطبَخ لحم الجمل بماءٍ ومِلْح ، ويُطبخ ما ذكرتَ بماءٍ ومِلْح حتى يُعرفَ فَضْلُ ما بين الطعمين . قال : كيف يكون الجمل أبعدَ صوتاً ونحن نسمع الصوتَ من الكُرْكيّ[4] من كذا وكذا مِيلاً؟ قال الأعرابيّ : ضَعِ الكُرْكيّ في مكانِ الجملَ وضعِ الجملَ في مكان الكركيّ حتّى تعرفَ أيُّهما أبعدُ صوتاً . قال كسرى : كيف تزعمُ أنّ الجمل أحملُ للحِمل الثقيل والفيلُ يحمِل كذا وكذا رطلاً؟ قال : لِيُبْرَكِ الفيلُ ويُبْرَكِ الجملُ ولْيُحْمَلْ على الفيلِ حِمْلُ الجمل ، فإن نهض به فهو أحمل للأثقال .

عن جعفر بنِ سليمان قال : شيئانِ لا يزيدهما كثرةُ النفقة طِيباً : الطِّيبُ والقِدْر ، ولكن تُطَيِّبُهما إصابةُ القَدْر .

وفيما أجاز لنا عمرو بن بحر الجاحظ من كتبه[5] قال : كان أبو عبد

---

(١) المسقّى : من السِّقاء ، وهو الحساء وغيره من الأطعمة السائلة .

(٢) المضغة : قطعة اللحم .

(٣) الدّراج : طائرٌ يشبه الحجل جميل المنظر ملوّن الريش .

(٤) الكركي : طائرٌ يقرب من الإوز أبتر الذّنب رماديّ اللون في خدّه لمعات سود ، قليل اللحم ، صلب العظم ، يأوي إلى الماء أحياناً .

(٥) قد أورده الجاحظ هذه القصة في كتابه البخلاء (ص ١١٥ ط أوروبا) .

الرحمن الثوريّ يُعْجَبُ بالرءوس ويَصِفُها ويُسمِّي الرأس عُرْساً لِما تجمَّع فيه من الألوان الطيّبة، وكان يسميه مرّةً الجامعَ ومرّةً الكاملَ، ويقول: الرأس شيء واحد وهو ذو ألوانٍ عجيبةٍ وطعومٍ مختلفةٍ، وكلّ قِدْرٍ وكلّ شِواءٍ فإنما هو شيءٌ واحد، والرأسِ فيه الدِّماغُ وطَعْمُه مُفْرد، والعينان وطعمهما مفرد وفيه الشحمة التي بين أصل الأذن ومُؤْخِرِ العين وطعمها على حدة، على أنه هذه الشَّحمة خاصّةً أطيبُ من المُخّ وأنْعم من الزُّبْد وأدسم من السِّلَاء[1]، ثم يَعُدّ أسقاطه[2] كلها. ويقول: الرأسُ سيِّد البَدَن، وفيه الدّماغ وهو مَعْدِن العقل، ومنه يتفرّق العَصَبُ الذي فيه الحس، وبه قِوَامُ البَدَن، وإنما القلبُ بابُ العقل؛ كما أنّ النفس هي المدركةُ والعينُ هي باب الألوان، والنفس هي السامعة الذائقة وإنما الأنف والأُذُن بابان. ولولا أنّ العقل في الرأس لما ذهب العقل من الضربة تُصيبه؛ وفي الرأس الحواسّ الخمس. وكان يُنشد:

هُمو ضَرَبُوا رأسي وفي الرأس أَكْثَرِي وغُودِرَ عندَ المُلْتَقَى ثَمَّ سَائِرِي[3]

وكان لا يَشتري الرأسَ إلا في زيادة الشهر لمكان زيادة الدماغ، ولا يشتريه إلا يوم السبت لأن الرءوس يوم السبت أكسدُ، للفضلات التي تَبقى في منازل التجار عن يوم الجمعة. وكان إذا فرغ من غَدَائه يوم الرأس، عَمَد إلى القِحْف[4] و الى اللَّحْيَيْن[5] فوضعه قُرْبَ بيوتِ النمل والذرّ، فإذا اجتمعْنَ عليه أخذه وَنفَضَه في طَسْتٍ فيه ماء، ولا يزال يُعِيد ذلك على تلك المواضع حتى

---

(١) السَلاء: السّمن الخالص أو نحوه.

(٢) أسقاطهُ: أي أعضاءهُ.

(٣) سائر الشيء: كلُّه وتمامه.

(٤) القحف: العظم الذي يغطى الدماغ.

(٥) اللحيين: عظما الحنك.

يُقلِع النملُ والذرّ من داره، فإذا فَرَغ من ذلك ألقاه من الحطب فاستوقده في التّنُّور.

الأصمعيّ قال: قال أبو صَوّارة أو ابن دُقَّة: الأرز الأبيض بالسَّمن المَسْليّ بالسكر الطَّبَرْزد[1]، ليس من طَعام أهل الدنيا.

قال: وقال أبو صَوّارة أو ابن دُقّة: أطولُ الليالي ثلاث: ليلةُ العقرب، وليلة الهرِيسة، وليلة جُدّة إلى مكة.

الأصمعيّ عن جعفر بن سليمان قال: قال أبو كامل مولي عليّ رضي الله عنه: أَطْعِموني حَفْنَةَ زُبْدٍ ثم اختموا سراويلي ثلاثاً.

وقال رجل للثّوْرِيّ في الحديث: إن الله يُبْغِض البيتَ اللَّحِم؛ فقال: ليس هو الذي يؤكل فيه اللحم، وإنما هو الذي يؤكل فيه لحومُ الناس.

عن أبي الصِّدِّيق[2] الناجي عن النبيّ ﷺ أنه قال: «خيرُ تَمَراتكم البُرْنِي[3] يذهب بالداء ولا داءَ فيه».

وعن ابن عُمَر عن عمر أنه قال: يا غلام أَنْضِجِ العصيدةَ تَذْهَبْ حرارةُ الزيت.

وعن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «بيتٌ ليس فيه تَمْرٌ جياعٌ أهلُه».

شيخٌ من أهل البادية قال: أضافنا فلان فأتانا بِحنْطة كأنها مناقيرُ الغِرْبان، وتمرٍ كأنه أعناقُ الوَزّ يَوْحَلُ[4] فيه الضِّرس.

---

(١) الطبرزَد: السُّكر الأبيض الصّلب، فارسيّ.

(٢) هو بكر بن عمرو أو ابن قيس، كما في تهذيب التهذيب والخلاصة.

(٣) البرنيّ: ضرب من التمر أصفر مدوّر، وهو أجود التمر.

(٤) يوحل فيه الضرس: أي يغرق لكثرة شحمه.

الأصمعيّ قال: قال أعرابيّ: تَمْرنا جُرْدٌ[١] فُطْسٌ[٢] يَغِيبُ فيه الضِّرسُ، كأن نواه ألسُن الطير، تَضَع التمرةَ في فِيكَ فتجدُ حلاوتها في كَعبَيْك.

الأصمعيّ عن أبيه قال: أَسَرَ رجلٌ رجلين في الجاهلية فخيَّرهما بم يُعَشِّيهما، فٱختار أحدُهما اللحمَ واختار الآخرُ التمرَ، فعُشِّيا وأُلْقِيا في الفِناءِ وذلك في شِتاءٍ شديدٍ، فأصبح صاحب اللحم خامداً وأصبح صاحب التمر تَزِرُّ[٣] عيناه.

وقال غيرُ الأصمعيّ: قيل لأعرابيّ: ما رأيك في أكل الجِرِّيِّ[٤]؟ قال: تَمْرة نِرْسيانَةٌ[٥] غرَّاءُ الطَّرَفِ صفراءُ السائر عليها مِثلُها زُبْداً أحبُّ إليّ منها، ثم أدركه الوَرَعُ فقال: وما أُحَرِّمُهما.

وقال بعضُ الأعراب: [طويل]

ألَا ليتَ لِي خُبْزاً تَسَرْبَلَ رَائِباً وخيلاً من البَرْنِيّ فُرسَانُها الزُّبْدُ[٦]

قال: ورأى أعرابيٌّ دقيقاً وتمراً فٱشترى التمر؛ قيل له: كيف وسعرُ الدقيق والتمر واحد! قال: إنّ في التمر أُدْمَه[٧] وزيادةَ حلاوةٍ.

عن زياد النُّمَيريّ قال: قالت عائشة: من أكل التمرَ وِتراً[٨] لم يضرّه.

---

(١) الجرد: الناعمة.
(٢) فطس: صغار الحبّ لاطئة الأقماع.
(٣) تزرّ عيناه: توقدان.
(٤) الجِّريّ: ضربٌ من السّمك.
(٥) التمر النرسيان: نوع من التمر الجيد.
(٦) تسربل: أي لبس، والرائب: اللبن.
(٧) الأدمة: السّواد.
(٨) الوتر: الإفراد.

الأصمعيّ قال: حدّثني شيخٌ عالمٌ قال: أطيبُ التمر صَيْحَانِيّة[1] مُصَلَّبَة.

الأصمعي قال: حدثني رجل من آل حزم قال: كان يقال: مَنْ خلا[2] على التمر فالعَجْوة، ومن أكله على ثِقَلٍ فالصَّيْحاني.

الأصمعيّ قال: قال أعرابيّ يُفَضِّلُ الرُّطَبَ على العسل: أتجعلُ عَسَلَةً في أخثاءِ[3] البقر كعَسَلَةٍ في جوِّ السماءِ لها مَحَارِسُ من جَرِيدٍ[4] وذوائبُ[5] من زُمُرُّدٍ!.

وقال الأصمعيّ: قيل لابن القَدَّاح: التمرِ أطيبُ؟ فدعا بأنواع التمر، فلمّا أكلوا قال: انظروا أيُّ النوى أكثرُ؟ قالوا: نوى الصيحانيّ، قال: هو أطيبُ.

وقال الأصمعيّ: العرب تقول للبخيل الأكول: أبرَماً قَرُوناً[6] أي لا يُخرِج مع أصحابه شيئا ويأكل تَمْرتَينِ تمرتين.

وقال النابغة يصِف تمراً: [طويل]

صغار النَوى مكنوزةٌ ليس قشرُها إذا طار قشرُ التمر عنها بطائرِ

سمع الحسنُ رجلًا يَعيبُ الفالُوذجَ[7] فقال: فُتاتُ البُرِّ بلُعَابِ النحل

---

(١) الصيحاني: ضربٌ من التمر أسود صلب المضغ نسب إلى صيحان، وهو كبشٌ كان يربط إلى نخلة بالمدينة فأثمرت تمر فنسب إليه.

(٢) خلا: اقتصر.

(٣) أخثاء البقر: روثه، والخثوة: أسفل البطن إذا كان مسترخياً.

(٤) الجريد: الذي يجرد عنه الخوص، الواحدة جريدة، ولا يسمّى جريداً ما دام عليه الخوص وإنّما يسمّى سعَفاً.

(٥) الذوائب: خصل الشعر في مقدّم الرأس.

(٦) أبرماً قروناً: البَرَم: الذي لا يدخل مع القوم في الميسر لبخله. القرون: الذي يقرن بين الشيئين، ويضرب مثلاً لمن يجمع خصلتين مكروهتين.

(٧) الفالوذج: حلوء يسوّى من لبّ الحنطة، فارسيٌّ معرّب.

بخالِص السَّمْنِ! ما عاب هذا مسلمٌ. وقال لِفَرْقدٍ السَّبَخيّ: يا أبا يعقوبَ، بلغني أنك لا تأكلُ الفالوذج؛ فقال: يا أبا سعيدٍ، أخافُ ألاّ أُؤدِّيَ شكرَهُ؛ فقال: يا لُكَع[1]! وهل تُؤدِّي شكرَ الماءِ البارد[2] في الصيف والحارِّ في الشتاء! أما سمعتَ قول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾[3].

الأصمعيّ قال: اختصم روميّ وفارسيّ في الطعام، فحكّما بينهما شيخاً قد أكلَ طعامَ الخُلفاءِ، فقال: أمّا الروميّ فذهب بالحَشْوِ والأحشاء، وأما الفارسيّ فذهب بالبارد والحَلْواء.

وعن الأصمعيّ قال: كنا عند الرشيد فقُدِّمتْ إليه فالُوذَجةٌ، فقال: يا أصمعيّ حَدِّثْنا بحديث مُزرِّدٍ، فقلت: إنّ مُزرِّداً أخا الشمّاخ[4] كان غلاماً جَشِعاً وكانت أُمّه تُؤثِرُ عيالَها بالطعام عليه وكان ذلك يُحْفِظُه[5]، فخرجَتْ أُمّه ذاتَ يوم تزورُ بعضَ أهلها، فدخل مُزرِّدُ الخيمةَ وعمَد إلى صاعَيْ دقيقٍ وصاعٍ من تمر وصاعٍ من سمن فجمعه ثم جعل يأكله وهو يقول: [طويل]

ولمّا غَدتْ أُمّي تَمِيرُ بَناتِها   أَغرتُ على العِكْم الذي كان يُمنعُ[6]

---

(١) اللّكع: اللئيم.

(٢) ما بين القوسين زيادة عن العقد الفريد (ج ٣ ـ ص ٣٨١).

(٣) سورة البقرة الآية ١٧٢.

(٤) مزرِّد والشّمّاخ: هما: ابناضرار، يقال إنّما سمّي، ضرار لقوله في زبدة.

فقلت تزرّدها عبيد فإنّني   لدُرو الشيوخ في السنين مزرِّدُ

وأمّه وأمّ الشّماخ من ولد الخرشب، وقيل: إن اسم الشّماخ: معقل بن ضرار، وهو من أوصف الشعراء للقوس والحُمر الوحشية.

(٥) يحفظه: يغضبه ويثير حقده.

(٦) تمير: تطعم. والمير الطعام، والعِكم: النمط تجعله المرأةَ كالوعاء تدّخر فيه متاعها.

لَبكتُ بصاعَيْ حِنْطةٍ صاعَ عَجوةٍ ... إلى صاعِ سمنٍ فوقَهُ يتَربَّعُ[١]
ودَبَّلتُ أمثالَ الأثافِي كأنها ... رُءوسُ نِقادٍ قُطِّعَتْ يومَ تُجمَعُ[٢]
وقلتُ لبطني أبْشرِ اليوم إنّه ... حِمَى أُمِّنا ممّا تَحُوزُ وَتَرفَعُ
فإن كنتَ مَصْفُوراً فهذا دواؤه ... وإن كنتَ غَرْثاناً فذا يومُ تَشْبَعُ[٣]

فضحك الرشيد حتى استلقى على ظهره، ثم قال: كلوا باسم الله، هذا يوم تشبع (يا أصمعيّ)[٤].

قال: وكتب الحجاجَ إلى عامِله بفارسَ: ابعَثْ إليّ عسلاً من عسلِ خُلاَّر[٥]، من النَّحْل الأبكار، من الدَّسْتَفْشَار[٦]، الذي لم تمسّه النار.

وقال الأصمعيّ: كتب بعض الخلفاء إلى عامله بالطائف: أن أرسِل إليّ بعسلٍ أَخْضَرَ في سقاء، أبيضَ في الإناء، من عسَلِ النَّدْغ[٧] والسَّحَاء[٨]، من حِدَابِ بني شبابة[٩].

والعربُ تِصف العسلَ بالبرودة.

وفي حديث ابن عباس أنّ النبيّ ﷺ سئِل عن أفضل الشراب قال: «الحلْواءُ البارِدُ يعني العسلَ». وقال الأعشى: [هزج]

كما شِيبَ بماءٍ بارِدٍ من عسلِ النحلِ[١٠]

(١) لبكت: خلطت، واللبيكة: أقط ودقيق أو تمر ودقيق يصب عليه السّمن، ويتربّع: يتميّع ها هنا وها هنا لا يستقرّ له وجه لكثرته.
(٢) دبّلت: جمعت بعضه على بعض وعظّمته مثل الكتلة، والأثافي: حجارة الموقد، والنقاد: صغار الغنم.
(٣) المصفورة: داء في البطن يصفر منه الوجه، والغرثان: الجائع.
(٤) زيادة عن العقد، والأصمعي: هو عبد الملك بن قريب. إمام اللغة والأخبار والغريب.
(٥) خلاّر ركرمان: موضع بفارس ينسب إليه العسل الجيد.
(٦) الدستفشار: كلمة فارسية ومعناها ممّا عصرته الأيدي وعالجته.
(٧) الندغ: الصعتر البرّي وهو ممّا ترعاه النحل، وعسله أطيب العسل.
(٨) السّحاء: نبت ترعاه النحل وعسلة طيب.
(٩) حداب بني شبابة إجبال بالسّراة ينزلها بنو شبابة، قوم من فهم بن مالك.
(١٠) شيب: مزج.

ويقال: أجودَ العسلِ الذهبيّ الـذي قَطَرتْ منـه قَطرةٌ على وجـه الأرض ٱستدارَ كما يَستدِيرُ الزئبقُ ولـم يَنفُشْ ولـم يختلط بالأرض والتراب.

والرومُ تقول: أجودُه ما يُلطَخ على فَتيلةٍ ثم تُشعَلُ فيه النارُ فيَعْلَقُ.

وسُئلَ ديمقراطيس العـالِمُ عمـا يَـزيـدُ في العُمْـر فقـال: مَنْ أدام أكـلَ العَسل ودهَن جِسمَه به زاد الله بذلك في عمره.

والعَسـلُ إن جُعل فيـه اللحمُ الطريّ بقي كهيئَتِـه حتى لا يَنتُنَ. ويقال: مَنْ كان به داء قديمٌ فليأخُذْ درهماً حلالاً ولْيَشْتَر به عسلاً ثم يَشرَبْهُ بماءٍ سواء فإنه يبرأ بـإذن الله تعالى. وكـان الحسنُ يُعجِبُه إذا ٱسْتمشَى[1] الـرجلُ أن يَشـربَ اللبنَ والعسَلَ.

ويزعم أصحابُ الطبائع أن العسلَ إذا دِيفَ[2] بالماء وخُلِطَ معـه زيتٌ أو دُهنُ سِمسمٍ نافعٌ لمن شَرِبَ السُّمومَ والأدويةَ القاتلةَ يُتقيّأ به.

ميمونُ بن مِهرانَ عن ابن عبّاس قال ـ ولا أعلمـه إلّا عن النبيّ ﷺ ـ أنه قال: «أكرِمُوا الخبزَ فإنّ الله سخّر له السمواتِ والأرضَ».

الأصمعيّ قال: كانت امرأةٌ من بكر بن وائل تَنزِلُ الـطُّفَاوَةَ[3] وكـانت قد أدركت بعض أصحـابِ النبيّ ﷺ، وكان العُبّـادُ يَغشَوْنَهـا في منـزلهـا؛ فعـابَ عـائبٌ عنـدهـا السّوِيقَ، فقـالت: لا تَفْعَـلْ! إنـه طعـامُ المسـافِـر، وطعـامُ العَجْلانِ[4]، وغِذاءُ المبكّرِ، وبُلْغَةُ المريضِ[5]، ويَشُدُّ فؤادَ الحَـزينِ، ويَرُدُّ من

---

(١) استمشى: استطلق بطنه وأصابه الجريان».

(٢) ديف: خلط ومزج.

(٣) الطفاوة: حيٌّ من قيس عيلان، وموضع بالبصرة سمِّي بالقبيلة التي نزلته.

(٤) طعام العجلان: أي طعام المسافر، وفي فقه اللغة للثعالبي: العجالة: طعام المسافر.

(٥) بلغة المريض: ما يُتبلّغ به من العيش.

نَفس الضَّعيفِ؛ وهو جيّدٌ في التّسمِين ونقاوَة البلغمِ، ومَسْمُونُه[١] يُصَفّي الدمَ، إن شِئتَ كان ثريداً، وإن شئت كان خَبيصاً، وإن شِئت كان خُبزاً.

وكان غسَّانُ بن عبد الحميد كاتب سليمان بن عليّ يقول لجاريتِه: خَوِّضِي[٢] لنا سويقاً فأَخْثِريه[٣]، فإنّ الرجلَ لا يَستحِي أن يزدادَ ماءً فيرقِّقه، ويستحي أن يزدادَ سويقاً فيُخثِرَه به.

مرّ عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بعبد الحميد بن علّي وهو في مَزْرَعتِه وقد عَطِش، فاستسقاه فخاضَ له سَويقَ لَوْزٍ فسقاه إياه؛ فقال عبد الله: [وافر]

شَربتُ طَبَرْزذاً[٤] بغَريض مُزْنٍ ... ولكنّ المِلاحَ بكم عِذابُ
وما هو بالطَّبَرْزَذِ طاب لكن ... بِمَسِّكَ إنّه طاب الشرابُ
وأنت إذا وَطِئتَ ترابَ أرضٍ ... يَطيبُ إذا مشيتَ به الترابُ
لِأنّ نَدَاكَ يَنفِي المَحْلَ عنها ... وتُحْيِيها أيادِيكَ الرِّطابُ

وقال الحسنُ: لا تَسْقُوا نِساءكم السَّوِيقَ، فإن كنتم لا بدّ فاعِلينَ فاحفَظُوهنّ.

وقال الرّقاشِيّ: السّمنَةُ لِلنّساءُ غُلْمةٌ[٥] وهي للرجال غَفْلَةٌ.

عن ابن عمرَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ثَلاثَةٌ لَا تُرَدُّ: اللّبنُ والسِّواكُ[٦].

---

(١) المسمون: ما مزج بالسمن ولته به.

(٢) خوّضي: اخلطي وحرّكي.

(٣) الخثورة: ضدّ الرقة، يقال أختر الشيء أي أغلظه بعد رقة.

(٤) الطبرزذ: فارسي معرّب، وهو السُّكر الصلب، والغريض من اللحم والماء واللبن والتمر: الجديد الطازج.

(٥) الغلمة: من الغلام.

(٦) السِّواك: عودٌ تخلل به الأسنان

والدُّهْنُ».

الرِّياشيّ قال: سمعتُ أبا يـزيدَ يقـول: رأيتُ رجلاً كـأنّ أسنانَـه الذَّهَبُ لشربِه اللَّبَنَ حاراً.

الأصمعيّ عن ذي الـرُّمَّةِ أنـه قـال: إذا قلتَ للرّجـل: أيُّ اللّبن أطيبُ؟ فإن قال: قارِصٌ[1]، فقُلْ: عبد مَنْ أنت[2]؟ وإن قال: الحليبُ، فقُـلْ: ابنُ مَن أنتَ؟.

مـرّ رجل من قـريشٍ بامـرأةٍ من العرب في بـاديةٍ، فقـال: هـل من لبنٍ يُباعُ؟ فقالت: إنك لئيمٌ أو قريبُ عهدٍ بقومٍ لِئامٍ

وكان يقال: اللبنُ أحدُ اللّحمَيْنِ.

وقال بعضُ المدنِيّينَ: مَنْ تَصبّحَ[3] بِسبعِ مَـوْزَاتٍ وبقدَحٍ من لبن إبـلٍ أَوَارِكَ[4] تَجَشّأ[5] بخَورَ الكعبةِ.

وقف معاويةُ على امرأةٍ فقال: هـل مِن قِرىً؟ فقـالت: نعم، قال: ومـا هو؟ قالت: خُبزٌ خَمير ولَبنٌ فَطِير[6] وماءٌ نمير[7]، والعرب تقول: إنّ الرّثِيئةَ تَفْثأُ الغضب. والـرّثِيئةُ: اللبنُ الحـامضُ يُحلَبُ عليه الحليبُ، وهـو أطيبُ اللبنِ. قال بعضُ الأعرابِ:

وإذا خشِيتَ على الفؤادِ لجَـاجَـةً فـاضرِب عليـه بجَرْعـةٍ من رائِبِ

---

(١) القارص: الحامض.
(٢) أي هو عبد، لأنه باستطابته الحامض دلّ على أنّه لم ير خيراً منه، إذ العبد يـأكل مـا يفضل من مواليه فلا يصل إليه الحليب إلاّ حامضاً.
(٣) تصبّح: أكل شيئاً قليلاً يتعلّل به.
(٤) الإبل الأوارك: التي تأكل شجر الأراك الطيب الرائحة.
(٥) تجشأ: أخرج من بطنه شيئاً من فمه «تبعج»
(٦) اللبن الفـطير: اللبن القـريب العهد من الحلب.
(٧) والمـاء النمير: النـاجـع في الـريّ، والكثير.

وعن مطر الورّاق: أنّ نبيّاً من الأنبياء شكا إلى الله تعالى الضعفَ، فأوحى الله إليه: أنِ اطبُخِ اللبنَ باللحم، فإنّ القوّة فيهما.

وصف أعرابيّ خِصْبَ البادية فقال: كنتُ أشربُ رثيئةً[1] تَجرُّها الشّفتانِ جرّاً، وقارِصاً إذا تجشّأتُ جدَع أنفي، ورأيتُ الكمأَةَ[2] تدوسُها الإبلُ بمناسِمِها، وخُلاصةً[3] يَشمُّها الكلبُ فَيعطِسُ.

وتقول الأطّباء: إنّ اللبن إذا سُخّنَ بالنار وسِيط[4] بعدُودٍ من عيدان شجرِ التّينِ راب من ساعته. وقالوا: وإن أراد صاحبه ألّا يروبَ وإن كان فيه رُوبة جعل فيه شيئاً من الحَبَقِ، وهو الفُوذَنْجُ[5] النهريّ، فإنه يبقى كهيئته.

أخبار من أخبار العرب في مآكلهم ومشاربهم

المعلّى الرَّبَعِيّ قال: مكثتُ ثلاثاً لا أذوق طعاماً ولا أشرب فيهنّ شراباً فدعوت اللهَ تعالى، وإذا دعا العبدُ اللهَ بقلبٍ صادقٍ كانت معه من الله عينٌ بصيرةٌ، فدَفَعتُ إلى ذِئبينِ في جَفْرٍ[6]، فرَميتُهما فقتلتُهما، ثم أتيتُ جَفْراً فيه ماء فاستقيت، ثم أتيتهما وإذا هما على مُهَيْدِ يَتَيْهِما[7]، وإذا لهما نَخْفَةٌ ـ يعني شبه الزّفير ـ فاشتويتُ واحتذيت[8] وادّهنت.

(١) الرثيئة: اللبن الحامض يخلط بالحلو، وتفثأ الغضب: تكسر حدّته.
(٢) الكمأة: نباتٌ يقال له: شحم الأرض.
(٣) الخلاصة: التمر والسّويق يلقى في السمن.
(٤) سيط: حرك.
(٥) الفوذنج: نبت معرّب عن الفارسية.
(٦) الجفر: البئر الواسعة التي لم تطو، أو طوى بعضها.
(٧) مهيديتيهما: الحال التي كانا عليها.
(٨) احتذيت: اتخذت نعلاً.

قـال آبن قِرفـة (شيخ من سليم): أضـافني رجل من الأعـراب فجـاءني بِقِـدْرٍ جِمَاعٍ[١] ضخمـةٍ ليس فيها شيء من طعـام إلا قِطَعُ لحم، فـإذا بَضْعة[٢] تَنْمـاتُ[٣] في فمي، وبَضْعة كـأنّها بِضَـع سـاقٍ، وبضعـة كـأنها شحمٌ زَخِمٌ[٤]؛ فقلت: ما هذا؟ فقال: إني رجل صيّاد، جمعتُ بين ذِئبٍ وظَبيٍ وضَبُع.

قال مدنيّ لأعرابيّ: ما تأكلون وما تَدَعُون؟ قال: نأكـل ما دَبَّ ودَرَجَ إلا أمَّ حُبَينٍ؛ فقال المدنيّ: لِيهنِىءْ أُمَّ حُبَينٍ[٥] العافيةُ.

قعـد على مائدة الفضـل بن يحيى[٦] رجـلٌ من بني هـلالِ بن عـامـر، فذكروا الضَّبَّ ومن يأكله، فأفرط الفضلُ في ذمّه وتابعـه القومُ، فغـاظ الهِلاليَّ ما سَمِع منهم، ولم يكن على المائدة عربيّ غيرهُ، ثم لم يلبث أن أُتِيَ الفضلُ بصَحْفةٍ فيها فِراخُ الزَّنابير، فلم يَشُـكّ الأعرابيّ أنهـا ذِبّان البيـوت، فقال حين خرج: [طويل]

وعِلْجٍ يَعَـافُ الضبَّ لؤماً وبِـطْنَـةً وبـعضُ إدَامِ العِلْج هـامُ ذُبَـابِ[٧]
ولـو أنّ مَلْكـاً في المَـلَا نـاك أمَّـهُ لقـالـوا لقـد أُوتيتَ فصلَ خِـطابِ

وقال أبو الهندي[٨] (رجل من العرب]: [متقارب]

---

(١) الجماع: الضخمة العظيمة.

(٢) البضعة: قطعة من اللحم.

(٣) تنمات: تمتدّ وتتمطط.

(٤) الزخم: الكريه الرائحة.

(٥) أم حُبين: دويبة قيل: هي ضرب من العظاء، وقيـل: هي أنثى الحربـاء، وإنّما سميت بـذلك لكبر بطنها، من الحبن الذي هو السِّقيُ في البطن.

(٦) هو الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي وزير الرشيد العباسي وأخوه في الرضاعة وكان من أجود الناس.

(٧) العلج: الواحد من كفّار العجم.

(٨) هـو أبو الهنـدي: هو غـالب بن عبد القـدوس بن شبث بن ربعي الريـاض اليربـوعي. شاعـر مطبوع ادرك الدولتين الاموية والعباسية. كان جزل الشعر، سهل الالفاظ، لطيف المعاني.

أكلتُ الضِّبابَ فما عِفْتُها وإنّي لاشهى قديد الغَنَمْ[١]

ولحمَ الخروفِ حَنيذاً وقد أُتِيتُ به فاتِراً في الشَّبَمْ[٢]

فأمّا الْبَهَطُ وحِيتانُكم فما زلتُ منها كثير السَّقَمْ[٣]

وقد نلتُ منها كما نِلتُمُ فلم أر فيها كضَبٍّ هرِمْ

ولا في البُيُوض كَبَيْض الدَّجَاج وَبَيْضُ الدجاج شِفاء القَرَمْ[٤]

ومَكْنُ الضِّبَاب طعام العُريبِ ولا تَشْتَهِيه نُفُوسُ العَجَمْ[٥]

وقال بعض الأعراب: [سريع]

وأنت لو ذُقْتَ الكُشَى بالأكبادْ لما تركت الضَّبَّ يَعْدُو بالوادْ[٦]

ونزل رجل من العرب برجل من الأعرابِ فقدّم إليه جرادا؛ فقال:

لَحى اللهُ بَيْتاً ضَمَّني بعد هَجْعةٍ إليه دَجُوجيٌّ من الليل مُظلِمُ[٧]

فأبصرتُ شيخاً قاعداً بِفنَائهِ هو العنز إلاّ أنه يتكلّم

أتانا بِبَرْقانِ الدَّبَى في إنائهِ ولم يَكُ بَرْقان الدَّبَى لِيَ مَطْعَمُ[٨]

فقلت له غَيِّبْ إناءَك واعتزِلْ فهل ذاق هذا، لا أبالَك، مُسْلِمُ

وقال بعض العباسِيين: [خفيف]

---

(١) القديد: اللحم المجفف.
(٢) الحنيذ: المشوي، والشيم: البرد.
(٣) البهط: كلمة سنديّة، وهي الأرز يطبخ باللبن والسمن خاصة بلا ماء.
(٤) القرم: شدّة الشهوة إلى اللحم.
(٥) المكن بيض الضبّة، والضباب: جمع ضب، والعريب: تصغير العرب.
(٦) الكُشى: جمع كُشْية وهي أصل ذنب الضب.
(٧) الهجعة: النومة الخفيفة من الليل، والدجوجي: من الدّجى، وهو الظلام.
(٨) البرقان: جمع برقانة وهي الجرادة المتلوّنة، والدّبى: الجراد.

ليتَ شِعـري متى تَخُبّ بِيَ النـا قـةُ نحـو العُـذَيْبِ فـالصِّنَّيْـنِ[١]
مُـحْقِـبـاً زُكْـرةً وخُـبْـزَ رُقَـاقٍ وجُـبَـيْـنـاً وقِـطْعـةً مـن نـونِ[٢]

وقال بعض الأعراب: [طويل]

أقـول لـه يـومـاً وقـد راح صُحْبتي تُـرى أبتغِي من صَيْـدِه وأُخَـاتلُهْ[٣]
فلمـا التَقَتْ كفّي على فَضـلِ ذَيله وشالت شِمالي زَايَـلَ الضّبَّ باطلُهْ[٤]
فـأصبح محنـوذاً نضيجاً وأصبحتْ تَمشّى على القِيزَانِ حُولاً حـلائلُهْ[٥]
شـديدَ آصفـرار الكُشْيتيْن كـأنمـا تَـطَلّى بـوَرْسٍ بـطنُه وشَـوَاكِلُهْ[٦]
فذلك أشهى عنـدنـا من نِتَـاجِكم لـحى الله شـارِيـهِ وقُـبِّـح آكِـلُهْ[٧]

وبنو أسدٍ تُعَيَّر بأكل الكلاب؛ قال الفرزدق: [طويل]

إذَا أسَـدِيٌّ جـاع يـومـاً بـبـلدةٍ وكـان سـمينـاً كلبُـه فـهـو آكِـلُهْ

وتُعَيَّر أيضاً بأكل لحوم الناس، كما قال الشاعر[٨]: [وافر]

إذا مـا ضِـفْـتَ لـيـلاً فَـقْعِـسيّـاً فـلا تـأكـل لـه أبـداً طعـامَـا
فـإنّ الـلحـم إنـسـانٌ فـدعْـه وخيـرُ الـزادِ مـا منـع الحـرامَـا

---

(١) الخبب: نوعٌ من العدو فيه سرعة والعذيب: ماءٌ لبني تميم، وهو أوّل ما يلقى الانسان بالبادية إذا سار من قادسيّة الكوفة يريد مكّة، والصنين: بلدٌ كان بظاهر الكوفة من منازل المنذر، وبه نهر ومزارع.
(٢) المحقب: يقال: أحقب الزّكرة واحتقبها إذا احتملها خلفه والزّكرة: زقّ يجعل فيه شرابٌ أو خل، والجبين: تصغير الجبن، والنون: الحوت والسّمك.
(٣) أخاتله: أخادعه.
(٤) شالت: ارتفعت، وزايل: فارق.
(٥) المحنوذ: المشوي، والقيزان: جمع قوز، وهو الكثيب من الرمل.
(٦) الكشي: شحمة بطن الضب أو أصل ذنبه، والورس: نبات أصفر يصبغ به، والشواكل: الخواصر، جمع شاكلة.
النّتاج: تكاثر الإبل وغيرها، ولحي الله: قبّح ولعن.
(٨) نسب هذا الشعر في كتاب البخلاء للجاحظ «ص ٢٦٢ ط أوروبا» إلى معروف الدبيري...

قال رجل: كنت بالبادية، فرأيت ناساً حولَ نارٍ، فسألتُ عنهم فقالوا: صادوا حيّات فهم يَشْتَوُونها ويأكلونها، فأتيتُهم فرأيت رجلاً منهم قد أخرج حيّةً من الجَمْر لِيأكلها فامتَنَعتْ عليه، فجعل يمدّها كما يُمَدّ عُصَيب[1] لم يَنْضَج، فما صرفتُ بصري عنه حتّى لُبِجَ[2] به فمات، فسألت عن شأنه فقيل لي: عَجِلَ عليها قبل أن تنضج وتعمل في سُمِّها النارُ.

قال رجل من الأعراب لولدِه: اشتروا لي لحماً، فاشترَوْه فطبخه حتى تَهرَّى[3]، وأكلَ منه حتى انتهت نفسه، وشَرَعَت إليه عيون ولده فقال: ما أنا بمُطْعِمِهِ أحداً منكم إلا مَن أحسن وصفَ أكله: فقال الأكبر منهم: آكلُهُ يا أبت حتى لا أَدَع لذرّةٍ فيه مَقِيلاً؛ قال: لستَ بصاحبه. فقال الآخر: آكله حتى لا يُدْرَى ألِعامِهِ هو أم لِعامٍ أوّل؛ قال: لستَ بصاحبه. فقال الأصغر: أدقّه يا أبت دقاً وأجعل إدامه المخّ؛ قال: أنت صاحبُه، هو لك.

بينا أعرابيٌّ يسير وهو يُوضع[4] بعيرَه إذ سقط بعيرُه فنَحَره وأكله، فأنشأ يقول: [رجز]

إنّ السّعيد من يموتُ جَمَلُهْ ... يَشْبَع لحماً ويَقِلّ عَمَلُهْ

ومرّ رجلٌ من سَلُولَ بِفتْيانٍ يشربون فشرب معهم؛ فلما أخذ منه الشراب قام إلى بعيره فنحره، وقال: [رمل]

عَلِّلاني إنّما الدّنيا عِلَلْ ... ودَعانِي من مَلامٍ وعَذَلْ

وانْشِلا ما اغْبَرّ من قِدْريْكما ... واسقِيانِي أبعدَ اللهُ الجَمَلْ[5]

---

(١) العُصَيب: من العصب، وهي العروق المنتشرة في الجسم.

(٢) لبج به: يقال لُبج به ولُبط به إذا صُرع.

(٣) تهرّى: تفتّت من الطبخ.

(٤) يوضع بعيره: يعديه ويحثه على العدو السريع.

(٥) نشل اللحم: اخرجه من القدر.

آداب الأكل والطعام

عن أبي هريرةَ قـال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقـول: «الأَكْلُ في السُّـوق دَناءةٌ». وعن عبد الرحمن بن عِراكٍ قال: بلغني أنه مَنْ غسل يدَه قبل الطعام كان في سَعَةٍ من الرّزقِ حتى يموتَ.

عن الحسن أنـه قـال: الـوُضـوءُ قبـل الـطعـام يَنفِي الفقرَ وبعـده يَنفِي اللَّمَم[1].

وعنه قال: قيل لسُمْرَةَ بنِ جُنْدَبٍ: إنّ أباك أكَلَ طعامـاً كاد يقتلُهُ؛ قـال: لو مات ما صَلَّيتُ عليه.

وعن شُرَحْبِيل بن مسلم قال: قال أبـو الدَّرْداء: بِئس العـونُ على الدِّينِ قَلْبٌ نَخِيب[2]، وبطنٌ رَغِيب[3]، ونَعْظٌ شديدٌ[4].

أكلَ الجارودُ[5] مع عمرَ طعاماً، ثم قال: يا جاريةُ هاتِ الدّستَورْدَ[6]؛ فقال عمر: امسحْ بِاستِك أو ذَرْ[7].

قـال جعفر: كنّـا نـأتي فَـرْقـداً السَّبَخِيَّ ونحن شَبَبَـةٌ[8] فيُعَلِّمُنَـا: إنّ مِن

(١) اللّمم: ما دون الكبائر من الذنوب، أي صغارها، وفي التنزيـل العزيـز ﴿الذين يجتنبـون كبائـر الإثم والفواحش إلّا اللَّمم﴾

(٢) النخيب: الجبان.

(٣) البطن الرّغيب: الواسع.

(٤) النعظ: الوطء والانتصاب.

(٥) الجـارود: هو بشـر بن عمرو بن حنش بن المعلّي، من بني عبـد القيس العبـدي الصحابي، ولقبـه الجارود ومعناه المشئوم، لأنـه فرّ بـإبله الجرد (التي أصـابها الجـرب) إلى أخوالـه بني شيبان، ففشا ذلك الداء بإبلهم فأهلكها، وفد على النبي ﷺ وروى عنه أحاديث.

(٦) الدستورد: ثوب أحمر يضرب إلى صفرة حسنة، وهو مـركب من «دست» بمعنى ثوب و «ورد» بمعنى أحمر ضاربٌ إلى الصفرة.

(٧) ذرْ: دع.

(٨) شببة: جمع شاب.

ورائكم زماناً شديداً، فشُدُّوا الأُزُرَ[١] على أنصافِ البطونِ، وصَغِّرُوا اللُّقَمَ، وشَدِّدُوا المضغَ، ومُصُّوا الماءَ مَصّاً. وإذا أكلَ أحدُكم فلا يَحُلَّنَّ إزارَه فتَتَّسِع أمعاؤه. وإذا جلس أحدُكم لِيأكلَ فَلْيقْعُدْ على أليتَيهِ، ولْيَلزَقْ بطنه بِفَخذيه، وإذا فرغ فلا يَقْعُدْ ولْيَجِىءْ ولْيَذهَبْ؛ وٱحْتَمُوا[٢] فإنّ مِنْ ورائكم زَماناً شديداً.

وعن عبد الله بن أبي أوفَى قال: قال رسوا الله ﷺ: «سَاقي القَوْم آخِرُهُم شُرْباً».

وعن الجارُودِ بن أبي سَبْرَة قال: قال لي بلالُ بن أبي بُرْدَةَ: أتحضُرُ طعامَ هذا الشيخ ـ يعني عبدَ الأعلى بن عبد الله بن عامر ـ؛ فقلت: إيهاً[٣] وٱللهِ؛ فقال: حَدِّثْني عنه. فقلتُ: نأتيهِ وكان سِكِّيتاً[٤]، إن حَدَّثَنا أحسنَ الحديثَ، وإن حَدّثْناه أحسنَ الإستماعَ، فإذا حضرَ الغَداءُ جاء خَبَّازُه فمثَلَ بين يديه؛ فيقولُ: ما عندكَ؟ فيقولُ: بَطَّةٌ بكذا، ودَجاجَةٌ بكذا وكذا. قال: وما يُريدُ بذاك؟ قلت: كي يَحبِسَ[٥] كلُّ إنسانٍ نفسه إلى ما يَشتهي، فإذا وُضعَ الخِوانُ[٦] خوّى[٧] تَخْوِيَةَ ٱلظلِيمِ[٨] فما له إلا موضعُ مُتَّكَئِهِ فيَجِدُّ ويَهْزِلُ، حتى إذا رآهم قد فتروا وكَلّوا[٩] أَكَلَ معهم أكْلَ الجائعِ المقرور[١٠] حتى يُنَشِّطَهم بأكله.

---

(١) الأزر: جمع إزار، وهو ما يؤتزر به على البطن.

(٢) احتموا: امتنعوا عن الطعام، من الحماية.

(٣) إيهاً: معناه الكفّ، وقد يرد للتصديق والرّضا كما هنا.

(٤) السكّيت: الكثير السكوت والصمت.

(٥) يحبس: يهيىء.

(٦) الخوان: فراشٌ يؤكل عليه.

(٧) خوّى تخوية: فرّج ما بين عضديه وجنبيه، أو جا في بطنه عن فخذيه في سجوده.

(٨) الظليم: ذكر النعام.

(٩) كلّوا: وهنوا وضعفوا.

(١٠) المقرور: الذي أصابه القرّ، وهو البرد.

وكان يقال: إذا أجتمعَ للطعام أربعٌ كمل: أن يكون حلالا، وأن تَكثُرَ عليه الأيدِي، وأن يُفْتَتَح باسم الله، ويُختَتَم بحَمدِ اللهِ.

وكان يُقالُ: سَمُّوا إذا أكلتم ودَنُّوا وسَمِّتُوا[١].

قال أَبْرَوِيزُ لِصاحِبَيْ طعامِه وشرابه: إني سَلَّطتُكما على المعيشةِ، وأشركتُكما في الحياة، وجعلتكما أمينينِ على نفسي، ووَلَّيتُكما من طعامي وشَرابِي ما التوسِعةُ فيه مُروءةٌ والتضييقُ فيه دَناءةٌ؛ فآجعلاه في فضلِه على ما سواه كفضلي على مَنْ سِوايَ، وفي كثرته ككثرةِ مَنْ معي على مَنْ مع غَيري. ولا يَشهدَنَّ طعامِي الذي آكُلُ عينٌ تراه ولا نَفسٌ تُحِسُّه ولا يَدٌ تداولُه خلا نفساً واحدةً؛ وإنما أفردتُه بذلك لِتَسْتَحْكِمَ الحجّةُ فيه على مَنْ أضاعَ، وتَنقطعَ الشبهةُ فيه عمن غفَلَ، ولأجعلَ صاحِبَ ذاكَ رَهناً بدمِ نفسِه إن هو قَصَّر في صُنعِهِ أو أوقع بغائلةٍ[٢].

الأصمعيّ قال حدّثني ابراهيمُ بنُ صالح: أنه كان له جَامٌ[٣] من حَبّ رُمَّانٍ مدقوقٍ يَسُفُّ منه بينَ كل لَونَينِ ملعقةً حتى يعرِفَ آختلافَ الألوانِ.

وفيما أجاز لنا عمرُو بن بَحْرٍ من كتبه قال: كان أبو عبد الرحمن الثَّوْريّ يُقْعِدُ ابنَه معه على خِوَانه يوم الرأس، ثم يقول: إياكَ ونَهَمَ الصبيان وأخلاقَ النوائح، ودع[٤] عنك خَبْطَ المَلاَّحِين والفَعَلَةِ، ونَهْشَ الأعراب والمَهَنَة، وكُلْ من بينِ يديكَ؛ فإنّ حظَّكَ الذي وَقَع وصار إليك. واعلم أنه إذا كان في الطعام شيء طَريفٌ أو لُقمةٌ كريمةٌ أو بَضْعة شَهِيَّةٌ[٥]، فإنما ذلك للشيخ

---

(١) دنوا: لكوا ما بين آيديكم وما دنا وقرب منكم، وسمتوا: أمرٌ من التسميت وهو الدعاء بالخير والبركة.

(٢) الغائلة: المصيبة.

(٣) الجام: إناءٌ من فضه يتخذ للطعام والشراب.

(٤) كذا في العقد الفريد، وفي الاصل «وبهم السلطان». (٥) البضعة: القطعة من اللحم.

المعظّم والصبيّ المدلّل، ولستَ واحداً منهما. وأنت قد تأتي الدعواتِ، وتُجيب الولائمَ، وتَدخُلُ منازلَ الإخوانِ، وعَهدُكَ باللحم قريبٌ، وإخوانُك أشدُّ قَرَماً[١] إليه منكَ، وإنما هو رأسٌ واحدٌ فلا عليك أن تتجافَى عن بعضٍ وتُصيبَ بعضاً. وأنا بعدُ أكرهُ لك الموالاةَ بين اللحم؛ فإن الله يُبْغِضُ أهلَ البيتِ اللَّحِمِينَ[٢].

وكان يقال: مُدْمِنُ اللحم كمدمِن الخمر.

ورأى رجل رجلاً يأكل لحماً، فقال: لحمٌ يأكل لحماً، أُفٍّ لهذا عملاً!.

وكان عمرُ يقول: إيّاكم وهذه المجازرَ، فإنّ لها ضَرواةً كضَرَاوةِ الخمر[٣].

يا بُنيَّ عَوِّدْ نفسك الأُثْرَة[٤] ومجاهدةَ الهوى والشهوة، ولا تنهَش نهشَ السِّباع، ولا تَخضِم خَضْمَ البراذين[٥]، ولا تُدْمِن الأكلَ إدمانَ النِّعاج، ولا تَلْقَمْ لقمَ الجمال؛ فإن الله تعالى جعلك إنساناً وفضّلك، فلا تجعل نفسَك بهيمةً ولا سبعاً. واحذر سرعةَ الكِظّة وسَرَف البِطْنَة[٦].

قال بعض الحكماء: إذا كنتَ بطيناً فعُدَّ نفسك من الزَّمْني[٧]. وقال الأعشى: [خفيف]

---

(١) القرم: اشتداد الشهوة إلى أكل اللحم.

(٢) اللحميين: الذين يكثرون من أكل اللحم.

(٣) الضراوة: الولع والإدمان.

(٤) الأثرة: المكرمة لأنها تؤثر أي تذكر.

(٥) الخضم: للدّابة التي تأكل العشب، والبراذين: جمع برذون، وهو دابة أصغر من الخيل.

(٦) الكظّه والبطنه: الامتلاء من الطعام والاسراف في تناوله.

(٧) الزّمني: المرضى الذين طال عليهم المرض.

والبِـطْنَـةَ ممّــا تُسَفِّـهُ الأحــلامــا[١]

واعلم أنّ الشِّبَع داعية البَشَم[٢]، وأنّ البشم داعية السَّقَم، وأنّ السقم داعية الموت، فمن مات بهذه المِيتة فقد مات مِيتةً لئيمةً، وهو مع هذا قاتلُ نفسِه، وقاتلُ نفسه ألأمُ من قاتِل غيره.

يا بنيّ، والله ما أدّى حقَّ الركوع والسجود ذو كِظَّة، ولا خشع لله ذو بِطْنة، والصومُ مَصَحّة، والوَجَبات[٣] عيش الصالحين.

أيْ بنيّ، لأمرٍ مّا طالت أعمار الهند، وصحّت أبدان الأعراب. فلله دَرُّ الحارث ابن كَلَدَة[٤] حيث يزعم أنّ الدواء هو الأَزْم[٥]، وأنّ الداء إدخال الطعام إثْرَ الطعام.

أيْ بنيّ، لِمَ صَفَتْ أذهان الأعراب، وصحّتْ أبدان الرُّهبان، مع طول الإقامة في الصوامع حتى لم تعرف النِّقْرِس[٦] ولا وجع المفاصل ولا الأورام، إلّا لقلّة الرُّزْءِ[٧] وخفّة الزاد. وكيف لا ترغب في تدبيرٍ يجمع لك صحّةَ البدن، وذكاءَ الذهن، وصلاحَ المِعَي[٨] وكثرةَ المال، والقُرْبَ من عيش الملائكة!.

---

(١) هذا بعض بيت أورده اللسان في مادّة «بطن» والبيت:
«يا بني المنذر بن عبدان والبِطنة ممّا تسفه الأحلاما»

(٢) البشم: التخمة

(٣) الوجبات: جمع وجبة، وهي الأكلة في اليوم والليلة.

(٤) الحارث بن كلدة: طبيب العرب المشهور، وهو من بني ثقيف.

(٥) الازم: عدم إدخال الطعام على الطعام.

(٦) النقرس: داء يأخذ في الرجل.

(٧) الرّزء: ما يصيبه الانسان من الطعام.

(٨) المعى: الأمعاء

أيْ بُنَيّ، لم صار الضبّ أطول شيء ذَمَاءً[١] إلاّ لأنّه يتبلّغ بالنسيم؛ ولِمَا قال الرسول ﷺ «إنّ الصوم وِجَاء»[٢] إلاّ ليجعله حِجازاً[٣] دون الشهوات. اِفهم تأديب الله، فإنه لم يقصِد به إلاّ إلى مثلك.

أي بني، قد بلغتُ تسعين عاماً نَغَضَ[٤] لي سنّ، ولا انتشر[٥] لي عصبٌ ولا عرفتُ ذنين آنف[٦]، ولا سَيَلان عين، ولا سَلس[٧] بول؛ ما لذلك علّةٌ إلاّ التخفيف من الزاد. فإن كنتَ تحبّ الحياة فهذه سبيل الحياة، وإن كنتَ تريد الموت فلا يُبعد الله إلاّ مَنْ ظلم نفسَه.

وقال أبو نَهْشَل[٨]: كانت لي ابنة تجلسُ معي على المائدة فتُبرِز كفّاً كأنها طَلعْة[٩]، في ذراع كأنه جُمَّارة[١٠]، فلا تقع عينها على أكلةٍ نفيسة. إلاّ خَصّصتني بها، فزوّجتُها وصرت أُجلِس معي على المائدة ابناً لي فيُبرز كفّاً كأنها كِرْنافة[١١]، في ذراع كأنه كَرَبة[١٢]، فوالله ما إن تسبق عيني إلى لُقْمة طيِّبة إلاّ سبقتْ يدُه إليها.

وقال بعضهم: غلَبتْ بِطْنتي فِطْنتي.

---

(١) الذماء: بقيّة النفس والحركة، والمراد طول الحياة.
(٢) الوجاء: رضٌّ عروق البيضتين حتّى تنفضح فيكون شبيهاً بالخصاء.
(٣) الحجاز: الحاجز والمانع.
(٤) نغض السنّ: تحرّك وقلق في موضعه.
(٥) انتشر العصب: انتفخ.
(٦) ذنين الأنف: سيلان المخاط فيه.
(٧) سلس بول: عدم استمساكه.
(٨) أبو نهشل: نسب هذه الحكايه ابن خلّكان (ج ١ ص ٤٥٦) لأبي الحسن.
(٩) الطلعة: من طلع النخل.
(١٠) الجمّارة: من الجمّار وهو شحم النخل.
(١١) الكرنافه: واحدة الكرناف، وهو أصول الكرب التي تبقى في جذع النخلة بعد قطع السّعف.
(١٢) الكربه: ما تبقى في جذع النخلة بعد قطع السّعف.

قال عمرو بن العاص لمعاوية يوم تحكّم الحكمان: أكثروا الطعام، فوالله ما بَطُن[1] قومٌ قطّ إلا فقدوا بعض عقولهم، وما مضت عَزْمَةُ رجل بات بطيناً.

وكان يقال: أقلِل طعاماً تَحْمَد مناماً.

الأصمعيّ قال: كان يقال: ليس لشبعة خير من جوعة تحفِزها[2].

دعا عبد الملك بن مروان إلى الغداء رجلاً فقال: ما فيَّ فضل؛ فقال عبد الملك: ما أقبح بالرجل أن يأكل حتى لا يبقى فيه فضل! فقال: يا أمير المؤمنين، عندي مستزاد، ولكن أكره أن أصير إلى الحال التي استقبحها أميرُ المؤمنين.

وقال لشيخ: ما أحسن أكلك؟ قال: عملي منذ ستين سنة.

وقال الحسن: إنّ ابن آدم أسير الجوع، صريع الشبع.

وسأل عبد الملك أبا الزعيرة فقال: هل اتّخمتَ قطّ؟ قال لا؛ قال: وكيف ذاك؟ قال: لِأنا إذا طَبخنا أنضجنا، وإذا مَضَغنا دقّقنا، ولا نَكُظّ[3] المعدة ولا نُخْليها.

وقال الأحنف: جنِّبوا مجلسنا ذكر النساء والطعام، فإني أُبغض الرجل أن يكون وصّافاً لبطنه وفرجه، وإنّ من المروءة أن يتركَ الرجلُ الطعامَ وهو يشتهيه.

---

(١) بطن: من البطنة وهي امتلاء البطن من الطعام.

(٢) تحفزها: أي تكون الحافز لها.

(٣) الكظة: البطنة.

الأصمعيّ قال: بلغني أنّ أقواماً لبسوا المَطَارِفَ[١] العِتاق، والعمائم الرِّقاق؛ وأوسعوا دورَهم، وضيقّوا قبورهم؛ وأسمنوا دوابّهم، وهزّلوا دينهم؛ طعامُ أحدهم غصب، وخادمه سُخرة، يتّكيء على شماله، ويأكل من غير ماله؛ حتى إذا أدركته الكِظّة قال: يا جارية هاتي حاطوماً[٢]؛ ويلك! وهل تحطِم إلا دينك! أين مساكينُك! أين يتاماك! أين ما أمرك الله به! أين أين!.

قال بعض الحكماء: مدارُ صلاح الأمور في أربع: الطعام لا يؤكل إلاّ على شَهْوة، والمرأة لا تنظر إلا إلى زوجها، والملك لا يُصلحه إلا الطاعة، والرعيّة لا يُصلحها إلا العدل.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول ﷺ: «مَنْ أكلَ مِن سَقَط المائدة عاش في سَعَةٍ وعُوفيَ في ولده وولد ولده من الحُمْق».

وقيل لأعرابيّ: أتُحسِنُ أن تأكلَ الرأى؟ قال: نعم، أَبْخَص عَينيه[٣]، وأسحي[٤]، خدّيه، وأفُكّ لَحْيَيه، وأَرمِي بالدماغ إلى مَنْ هو أحوج منّي إليه. وكانوا يكرَهون أكل الدماغ؛ ولذلك يقول قائلهم: أنَا من قبيلة تُبقى المخّ في الجماجم.

دِعْبِل قال: يا بُنَيّ، لا تأكل أَلْيَة الشاة لأنها طَبَقُ الإست وقريبٌ من الجواعر[٥].

قال بعض الشعراء: [طويل]

إذا لم أُرَى إلاّ لآكُلَ أكْلَةً فلا رَفَعَتْ يُمْنَى يديَّ طعامي
فما أكلةٌ إن نِلتُها بغنيمةٍ ولا جَوْعةٌ إن جُعتُها بغرامِ[٦]

---

(١) المطارف: جمع مطرف، وهو رداءٌ من خزّ مربع له أعلام.
(٢) الحاطوم: الهاضوم، وهو كلّ دواء يهضم الطعام.
(٣) بخص عينه: أغارها.
(٤) أسحى: قشّر.
(٥) الجواعر: جمع جاعرة وهي الدّبر.
(٦) الغرام: الشرّ والعذاب والهلاك.

عبد الملك بن عُمَير عن عمه عن الأصمعيّ قال: لا تخرج يا بُنَيّ من منزلك حتى تأخذ حِلْمك[١]. يعني حتى تتغذّى. وقال هلال بن جُشَم[٢]: [طويل]

وإنّ قِرابَ البطنِ يكفيك مَلْؤُهُ ويكفيك سَوءات الأمور اجتنابُها

وقرأت في الآيين[٣]: أن رجلاً من خدم دار المملكة أوصى آبنه فقال: إذا أكلتَ فضمّ شَفَتيك، ولا تتلفّتنّ يميناً وشمالاً. ولا تتّخذنّ خِلالك قَصَباً[٤]. ولا تَلْقمنّ بسكين أبداً، وإذا كان في يدك سكّين وأردتَ التقاماً فضَعْها على مائدتك ثم التقِم. ولا تجلس فوق مَن هو أسنّ منك وأرفعُ منزلة. ولا تتخلّل بعود آس[٥]. ولا تمسح بثيابِ بَدَنِك. ولا تُرق ماء وأنت قائم. ولا تَحْفِر أرضاً بأظفارك. ولا تجلس على حائط أو باب أو تكتب عليهما فتُلعَن، ولا تسترح على أُسْكُفّة[٦] فتُجَهَّل، ولا تَسْتَنْج بمَدَر[٧] فيورثَك البواسير، ولا تَمْتَخِط حيث يُسمَع امتخاطك، ولا تَبصقُ في الأماكن المنظّفة.

وأجلس معاوية على مائدته رجلاً يؤاكله، فأبصر في لقمته شَعرة، فقال: خُذِ الشعرة من لقمتك؛ فقال له الرجل: وإنك لتراعيني مُراعاة مَنْ يُبصر الشعرة في لُقْمتي! والله لا أكلتُ معك أبداً ثم خرج الأعرابيّ وهو يقول: [طويل]

---

(١) الحلم: العقل، وفسّر بالغذاء لأنّ الشبع قوام العقل.
(٢) هو هلال بن جشم بن عوف النخعي من قحطان: جدٌّ جاهلي. بنوه بطن من النخع.
(٣) الآيين: كلمة فارسية عرّبها العرب ومعناها «القانون والعادة».
(٤) الخلال: ما يتخلّل به المرء بعد الطعام لإزالة بقاياه.
(٥) الآس: نبات ذو ثمار كروية ورقة عطر خضرته دائمة، يسمّى الرّيحان.
(٦) الأسكفة: عتبة الباب.
(٧) استنجى: بمعنى نظّف وأزال، والمدر: التراب المتلبد.

وَلَلْمَــوتُ خيـرٌ من زيــارة بـاخــلٍ يُـلاحِظُ أطـرافَ الأكِيـلِ على عَمْـدِ

وكـان سعيد بن جُبيـر إذا فرغ من طعـامـه قـال: اللهمّ أشبعتَ وأرْويتَ فهنئنا، وأكثرت وأطبت فزِدنا.

الجوع والصوم

قِيل لبعض الحكماء: أيُّ الطعامِ أطيبُ؟ قال: الجوعُ أعلم.

وكان يقال: نِعمَ الإدامُ الجوعُ، ما ألقيتَ إليه قَبِلَه.

قال لُقمان لابنه: يا بنيّ، كلْ أطيبَ الطعامِ، ونَمْ على أوطأ[1] الفراش. يقول: أكثِرِ الصيام، وأطِلْ بالليل القيام.

إشتاق أعرابيّ بالبصرة إلى البادية فقال: [بسيط]

أقـول بِـالمِصـرِ لمّـا سـاءنِي شِبَعِي ألا سبيــلَ إلـى أرضٍ بهــا جُــوعُ
ألا سبيــلَ إلـى أرضٍ بهــا عُــرُسٌ جُـوعٌ يُصَدِّعُ منه الـرأسُ بُـرقـوعُ[2]

وقال آخر: [بسيط]

وعـادةُ الجوعِ فـاَعلَمْ عِصمـةٌ وغِنىً وقـد يـزيـدُك جُـوعـاً عـادةُ الشِّبَـعِ

العُتبِيّ قال: قلتُ لرجلٍ من أهل البادية: يـا أخي، إني لأعجبُ من أن فقهاءكم أظرفُ من فقهائنا، وعَوَامّكم أظرفُ من عوامّنا، ومَجَانِينكم أظرفُ من مجـانيننا، قـال: وما تـدري لِمَ ذاك؟ قلتُ لا؛ قال: من الجـوع؛ ألا ترى أن العُود إنما صفا صوتُه لخلوّ جوفه!.

---

(١) أوطأ الفراش: أي الفراش الذي لا يكون بينه وبين الأرض بُعْدٌ وسماكة «الرقيق من الفراش».

(٢) عُـرُسٌ: كذا بـالأصل. ولعلّه يـريد «غـرثٌ» بمعنى الجوع لينـاسب المقام، والبـرقوع: جـوعٌ شديد.

وقيل لبعض حكماء الرُّوم: أيُّ وقتٍ الطعامُ فيه أطيبُ وأفضلُ؟ قال: أمّا لِمَنْ قَدَر فإذا جاع، وأمّا لِمَنْ لم يقدِر فإذا وَجَد.

ونَظَر أعرابيٌّ إلى قومٍ يلتمسون هلالَ شهرِ رمضان، فقال: أمَا والله لئن أثرتموه لتُمسِكُنّ منه بذُنابَي عَيْشٍ أغبر[1].

وقيل لآخر: ألا تَصومُ البِيضَ من شعبان! فقال: بين يديها ثلاثون كأنها القَبَاطِيّ[2].

وقيل لمدنيّ: بم تتسحَّر الليلة؟ فقال: باليأس من فطور القابلة.

الرِّياشيّ قال: قيل لأعرابيّ: اشرب، فقال: إني لا أشرب على ثميلة[3]. وقال: [طويل]

إذا لم يكن قبل النّبيذ ثَرِيدةٌ مُبَقَّلَةٌ صفراءُ شَحمٌ جميعُها[4]
فإنّ نبيذ الصِّرف إن كان وحدَه على غير شيءٍ أوجع الكِبْدَ جُوعُها[5]

قدِمَ أعرابيّ على ابن عمٍّ له بالحَضَر، فأدركه شهرُ رمضان؛ فقيل له: أبا عمرٍو لقد أتاك شهرُ رمضان؛ قال: وما شهرُ رمضان؟ قالوا: الإمساك عن الطعام؛ قال: أبالليلِ أم بالنهار؟ قالوا: لا، بل بالنهار؛ قال: أَفَيَرْضَوْنَ بدلاً من الشهر؟ قالوا: لا؛ قال: فإن لم أصُمْ فعلوا ماذا؟ قالوا: تُضرَب وتُحْبَسُ؛ فصام أياماً فلم يَصْبِر، فارتحل عنهم وجعل يقول: [طويل]

يقول بنو عمِّي وقد زُرتُ مِصْرَهمْ تهيَّأ أبا عمرٍو لشهرِ صيامِ
فقلتُ لهم هاتوا جِرَابي ومِزْوَدِي سلامٌ عليكم فاذهبُوا بسَلامِ[6]

---

(١) الأغبر: القاسي الكالح.
(٢) القباطي: ثيابٌ بيض من كتان كانت تنسج بمصر، شبّه بها أيام رمضان.
(٣) الثميلة: البقية القليلة من الطعام والشراب في البطن.
(٤) الثريدة: نوع من الطعام يصنع من خبزٍ ولبن أو مرق، والمِقّلةُ التي فيها البقول.
(٥) الصِّرف: الخالص. (٦) الجراب والمزود: ما يحفظ به الماء والطعام.

فبادَرت أرضاً ليس فيها مُسَيطِرٌ عليّ ولا مَنَّاعُ أكلِ طعَامِ

وأدركَ أعرابِيّاً شهرُ رمضانَ فلم يَصُمْ؛ فعذَلَتْه[1] امرأتُه في الصوم، فزجَرها وأنشأ يقول: [طويل]

أتَأمُرُني بالصَّوم لا دَرَّ دَرُّها وفي القبرِ صوم يا أُمَيْمَ طويلُ

دعا عبدُ الله بنُ الزبير الحسينَ فحضر وأصحابَه، فأكلُوا ولم يأكُلْ؛ فقِيلَ له: ألا تأكُلُ! فقال: إنّي صَائمٌ، ولكن تُحفةَ الصائِم[2]؛ قيل: وما هي؟ قال: الدُّهْن والمِجْمَر[3].

أخبارٌ من أخبار الأكَلَة

الأصمعيّ قال: قال رجلٌ: أُحِبُّ أن أُرزَقَ ضِرْساً طَحُوناً، ومَعِدَةً هَضُوماً، وسُرْماً نَثُوراً[4].

عن إسحاق بن عبد الله قال: سمعتُ أنسَ بن مالك يقول: رأيتُ عمرَ يُلْقَى إليه الصاعُ من التمر فيأكلُه حتى حَشَفَه[5].

وقال بعضُ الشعراء: [بسيط]

هَمُّ الكريم كريمُ الفِعل يَفْعَلُه وهمُّ سعدٍ بما يُلقِي إلى المَعِدَهْ

وقيل لرجل رُئِي سميناً: ما أسمنك؟ قال: أكلِي الحارَّ، وشربِي القارّ[6]، واتكائي على شِمَالِي، وأكْلِي من غير مالِي.

---

(١) عذلته: لامته.

(٢) تحفة الصائم: طعامه، وفي كتاب فقه اللغة للثعالبي «التحفة طعام الصائم.

(٣) المجمر: الشيء الذي يوضع فيه الجمر استعداداً للشّيّ.

(٤) السُّرم النثور: ألكثير القذف للغائط من المعيّ.

(٥) الحشف: أردأ التمر.

(٦) القارّ: لعلّه يريد القَرُّ: أي البارد، والقار، الزّفت والقطران.

وقيل لآخرَ: ما أسمنك؟ قال: قِلّةُ الفِكْرةِ، وطُولُ الدَّعَـةِ[١]، والنَّومُ على الكظَّةِ[٢].

قال الحجّاجُ للغضبان بن القَبَعْثَري في حبسه: ما أسمنـك؟ قال: القَيـدُ والدَّعَةُ[٣]، ومَنْ كان في ضيافةِ الأميرِ سَمِنَ.

وقال آخرُ لرجل رآه سميناً: أرَى عليكَ قَطيفةً[٤] من نَسْجِ أضرَاسِك.

وقيـل لآخرَ: إنـك لحَسَنُ الشَّحْمَةِ لَيِّنُ البَشَـرة؛ فقال: آكُـلُ لُبَابَ البُـرّ بِصغَارِ المَعْز، وأدَّهِنُ بدُهنِ البَنَفْسَجِ، وألبَسُ الكَتَّانَ.

قيل لمَيْسَرةَ الأكُولِ وأنا أسمعُ: كم تأكُلُ في كلّ يومٍ؟ قال: مِن مَـالي أو مِن مال غيري؟ قالوا: مِن مـالك؛ قـال: دُونَان[٥]؛ قـالوا: فمن مـال غيرك؟ قال: اخْبِز واطْرَح.

والعرب تقول: «العاشِيةُ تَهيجُ الآبية»[٦]. يريدون أنّ الـذي لا يَشتَهِي أن يأكَل، إذا نظر إلى مَن يأكلُ هاجه ذلك على الأكل.

قال جريرٌ: [كامل]

وبنـو الهُجَيم سَخِيفَـةُ أحـلامُـهم ثُطُّ اللِّحَى مُتَشَـابِهُـوا الألـوانِ[٧]
لـو يَسمَعُـونَ بـأكْلَةٍ أو شَـرْبَـةٍ بعُمَـانَ أصبـح جمعُهُمْ بعُمَـانِ

(١) الدّعة: الراحة.

(٢) الكظّة: شيء يعترى الإنسان عند الشبع والامتلاء.

(٣) فى مروج الذهب الجزء الثالث ص ١٣٥ للمسعودي «القيد والرّمعة».

(٤) القطيفة: دثارٌ مخمّل.

(٥) دونان: كلمة فارسية معناها «رغيفان».

(٦) العاشية: التي ترعى بالعشيّ من الماشية، والآبيـة: التي لا تريـد العشاء أي إذا رأت الآبيـة الإبل العواشي تبعتها فرعت معها.

(٧) الثطّ: جمع أثط وهو قليل شعر اللحية.

متـأبِّـطين بَنِيـهِمْ وبنَـاتِهـم صُعْـرُ الأنـوف لِـرِيح كـلِّ دُخَـانِ[1]

قعَـد رجلٌ على مـائدة المُغِيـرة، وكان منهـوُماً، وجعـل ينهَشُ ويتعرَّقُ؛ فقال المغيرةُ: ناوِلُوه سِكِّيناً؛ فقال الرجل: كلُّ امرىءٍ سِكِّينُهُ في رأسِه

وقيل لأعرابيّ: ما لكم تأكلون اللحم وتدعون الثريد؟ فقال: لأن اللحم ظَاعِنٌ[2] والثريدَ باقٍ.

وقيل لآخر: ما تُسَمُّونَ المرَقَ؟ قال: السَّخِينَ؛ قال: فإذا بَـرَدَ؟ قال: لا نَدَعهُ يَبْرُدُ.

قـال أبو اليَقْـظَان[3]: كـان هِــلالُ بنُ أسعـرَ التَّميميّ، من بني دارِم بن مازنٍ، شديداً أكُولاً؛ يزعمون أنه أكلَ جملاً إلا ما حَمَل على ظهره منه. وأكلَ مرّةً فَصِيلاً[4]، وأكَلَتِ امرأتُه فصِيـلاً، فلما ضـاجَعها لم يَصِـل إليها؛ فقـالتْ: كيف تَصِلْ إليّ وبينَنا بَعِيرانِ!.

الأصمعيّ قال: دعا عَبّادُ بنُ أخضر هلالَ بن أسعرَ إلى وليمةٍ، فأكل مع الناس حتى فَرغوا، ثم أكَل ثلاثَ جِفانٍ تُصْنَعُ كلُّ جَفنـةٍ لعشرةِ أنفسٍ؛ فقـال له: شَبِعْتَ؟ قال لا؛ فأتَوْه بكل خبزٍ في البيت فلم يَشبَعْ، فبعثُوا إلى الجيرانِ؛ فلمّا اختلفَتْ ألوانُ الخبزِ علم أنه قد أضَرَّ بهم فـأمسكَ؛ فقـالوا: هـل لكَ في تمر شِهرِيزٍ[5] بِلبنٍ؟ فأتَوْه به فأكلَ منه قَواصـر[6]؛ فقالـوا له: أشبِعْتَ؟ قـال: لا؛

(١) صعر الأنوف: ميلها، والصعر: الميل.

(٢) الظاعن: الراحل.

(٣) أبو اليقظان هـو عامر بن حفص. عالم بـالانساب يُلقَب بسُحيم لـه كتب منهـا «اخبـار تميم» و «كتاب النسب الكبير».

(٤) الفصيل: ولد البعير.

(٦) شهْريز: اسم موضع، وتمر شهريز: ضربٌ من التمر ينسب إليه.

(٧) القواصر: جمع قوصرة: هو وعاء: وهو وعاء للتمر من قصب.

قالوا: فهل لك في السَّويقِ؟ قال: نعم؛ فأتَوْه بجرابٍ ضَخْمٍ مملوء؛ فقال: هلِ عندكم نبيذٌ؟ قالوا: نعم؛ قال: أعندكم تَوْرٌ[1] تَغتَسِلُونَ فيه من الجنابةِ؟ فَأُتِيَ به فغسلَه وصبَّ السَّويقَ وصبّ عليه النبيذَ، فما زال يفعل ذلك حتى فَنِيَ.

الشَّمَرْدَلُ وكيلُ آل عمرو بن العاص قال: قدِم سليمانُ بن عبد الملك الطائِفَ وقد عُرِفَتْ شجاعتُه، فدخل هو وعمرُ بن عبد العزيز وأيوبُ ابنُه بستاناً لعمرٍو؛ قال: فجال في البستان ساعةً ثم قال: ناهِيكَ بمالِكُم هذا مالاً لولا جِرَارٌ فيه! فقلت: يا أميرَ المؤمنينَ، إنها ليسَتْ بجرارٍ ولكنها جُرُبُ الزّبيب؛ فجاء حتى ألقى صدرَه على غُصن، ثم قال: ويلكَ يا شمردلُ! أمَا عندك شيء تُطعِمُني؟ قلت: بلى والله! إن عندي لجَدْياً تغدو عليه بقرةٌ وتروحُ أخرى؛ قال: اعْجَلْ به؛ فأتيتُه به كأنه عُكَّةٌ[2]، وتشمّر فأكل ولم يَدْعُ ابنَه ولا عمرَ حتى أبقى فَخذاً. فقال: يا أبا حفصٍ هَلُمَّ؛ قال: إنّي صائمٌ؛ ثم قال: ويلكَ يا شَمرْدَلُ! أمَا عندَك شيء؟ فقلت: بلى والله! دَجاجاتٌ سِتٌ كأنهنّ رِئلانُ[3] النّعام، فأتيتُه بهنّ، فكان يأخذ رِجلَ الدجاجةِ حتى يُعري عظمَها ثم يُلقِيها بفيه[4] حتى أتى عليهنّ. ثم قال: ويلك! أمَا عندك شيء؟ فقلت: بلى والله! إن عندي لحَرِيرةً كقُراضَةِ الذَّهب[5]، فقال: اعجَلْ بها؛ فأتيتُه بعُسٍّ[6] يَغِيبُ فيه الرأسُ، فجعل يَتَلَقَّمُها[7] بيده ويشربُ، فلما فرغ تَجَشّأ كأنه صاحَ في

(١) التور: إناءٌ من نحاس أو حجر.
(٢) العكّة: وعاء السمن وهى أصغر من القبة.
(٣) رئلان: جمع رأل، وهو ولد النّعام.
(٤) التكملة من العقد (ج ٢ ص ٣٣٢).
(٥) الحريرة: ضرب من الطعام يطبخ بلبن: أو دسم والقراضة ما سقط بالقرض.
(٦) العسّ: القدح الكبير.
(٧) يتلقّمها: يأكلها بنهم وسرعة.

جُبٍّ(١)؛ ثم قال: يا غلامُ، أفرَغْتَ من غَدَائِنا؟ قال: نعم، قال: وما هو؟ قال: نَيِّفٌ وثمانونَ قِدراً؛ قال: فَأْتِني بها قِدراً قِدراً؛ فأَتاه بها وبِقَنَاعٍ(٢) عليه رُقَاق؛ فأكثرُ ما أكلَ من قدرٍ ثَلاثُ لُقَمٍ وأقلُّ ما أكل لُقمَةٌ، ثم مسح يدَه واستلقَى على فِراشه، وأُذِن للناس ووُضِعت الخوانات فجعل يأكلُ مع الناس.

الخَطّابيّ عن الدَّيْرانيّ أنه قال: إني لأعرِفُ الطعامَ الذي يأكلُه سُليمانُ؛ قال: لما آستُخِلفَ سُليمانُ(٣) قال لي: لا تَقْطَعْ عنّي ألطافَكَ التي كنتَ تُلطفني بها قبل أن أُستَخْلَف؛ فأتيته بزَنبيلَينِ أحدُهما بَيضٌ والآخرُتِينٌ؛ فقال: لَقِّمْنِيه، فجعلت أقشِرُ البيضةَ وأقرِنها بالتينةِ حتى أكلَ الزّنبيلَينِ.

العُتْبيّ عن أبيه قال: كان عُبيد الله بن زِياد يأكل كلّ يومٍ أربعَ جَرادِقَ أصبهانية(٤) وجُبْناً قبل غَدائه.

وعن سَلْم بن قُتَيبة قال: عَدَدْتُ للحجاج أربعاً وثَمانِينَ لُقمةً في كلِّ لُقْمَةٍ رغيفٌ من خبزِ(٥) الماءِ فيه مِلْءِ كفّه سمكٌ طرِيٌّ.

وكان لعبد الرحمن بن أبي بَكْرَة ابنٌ أكولٌ؛ فقال له معاوية(٦): ما فعل ابنك التِّلْقَامَة؟ قال(٧): اعتاً؛ قال: مثلُه لا يَعدَم عِلَّةً.

---

(١) الجبّ: البئر.
(٢) القناع: إناء من عُسُب النخل يوضع فيه الطعام.
(٣) هو سليمان بن عبد الملك بن مروان وكان أكولاً «راجع مروج الذهب للمسعودي الجزء الثالث ص ١٦١».
(٤) الجرادق: فارسية معرّبة، وهي بمعنى الأرغفة مفردها جردق، وأصبهانية: نسبة إلى أصبهان مدينة بفارس.
(٥) كذا بالأصل.
(٦) التكملة عن كتاب البخلاء للجاحظ (ص ١٦٥ ط أوروبا).
(٧) التلقامة: العظيم اللقم.

أكل أبو الأسود الدؤليّ وأقعدَ معه أعرابيا فرأى له لَقْماً مُنكَراً؛ فقال له. ما اسمُكَ؟ قال: لُقمانُ؛ قال: صدق أهلُكَ، إنك لُقمانُ.

وُلِدَ لابن أبي ليلى غلامٌ فعَمِلَ الأخبِصَةَ للجيرانِ، فلما أكلوا قام مُسَاوِرُ الورّاقُ[1] فقال: [كامل]

مَنْ لا يدسِّم بالثريد سِبالَنا ... بعد الثّريدِ فلا هَناهُ الفارِسُ[2]

وقال العُجَيفُ[3] في أُمّه: [بسيط]

يا ليتما أمَّنا شَالَتْ نَعامَتُها ... إمّا إلى جَنَّة إمَّا إلى نار[4]

ليستْ بشَبْعَى وإن أسْكَنتها هَجَراً ... ولا بِرَيَّا ولو حَلّتْ بذِي قَارِ[5]

تَلَهَّمُ الوَسْقَ مشدُوداً أشِظَّتُه ... كأنّما وجهُهَا قد طُلْيَ بالقَارِ[6]

خرقاءُ في الخير لا تُهدَى لوجهَتِه ... وهِي صَنَاعُ الأذَى في الأهلِ والجارِ[7]

رأى أبو الحارث جُمَّيزٌ سَلَّةً بين يديْ رَجلٍ من الملوكِ، فقال له: جُعلتُ فِداكَ، أيّ شيء في تلك السَّلَّةِ؟ فقال: بَظْرُ أُمِّكَ، قال: فأعِضَّنِي[8] به.

---

(١) مساور الورّاق: هو مساور بن سوار بن عبد الحميد، من أهل الكوفة، كان ورّاقاً ينسخ الكتب، روى الحديث له أخبار وأشعار كثيرة.

(٢) السِّبال: جمع سبلة وهي مجتمع الشاربين ومقدّم اللحية.

(٣) نسب هذا الشعر في شرح ديوان الحماسة «ط أوروبا ص ٨١٠» إلى شخص اسمه سعد، ونسب في شرح شواهد المغني «ص ٦٧ ط مصر» إلى سعد بن قرّبة إبن سيّار، ويلقب بالنحيت الحدري.

(٤) شالت: رفعت.

(٥) هجر: مدينة في البحرين مشهورة بالتمر، وذو قار: ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة.

(٦) الوسق: الحمل، والأشظّة: جمع شظاظ وهو خشبة عقفاء تدخل في عروة الجوالق، والقار: القطران.

(٧) الخرقاء: الحمقاء الجاهلة، وصناع الأذى: أي التي تصنعه.

(٨) أعضّني به: أي اجعلني أعضّه، من العضّ.

قيل للحارثيّ: لم لا تُؤاكِلُ الناس؟ فقال: لو لم أترُك مؤاكلتهم إلا لِنُزُوعِي عن الأسواريّ لَتركتُها، ما ظَنَّكم برجل نَهشَ بَضْعَة لحم بقرٍ فانقلعَ ضِرسُه وهو لا يدرِي. وكان إذا أكل ذهبَ عقلُه وجَحَظَتْ[1] عيناه وسَكِر وسَدِرَ[2] وتَرَبّدَ[3] وجهُه وغضب ولم يَسْمَعْ ولم يُبصِرْ، فلما رأيتُه وما يعتريه ويعترِي الطعامَ منه صِرتُ لا آذَنُ له إلا ونحن نأكل الجَوْزَ والتمرَ والباقِلّى[4]؛ ولم يَفجَأنِي قطُّ وأنا آكلُ تمراً إلا آستَفَّه[5] سفّاً وزَدَا[6] به زَدْواً، ولا وجده كَنيزاً[7] إلا وتَناوَلَ القِطعةَ منه كجُمْجُمَةِ الثَّور كَدَمها[8] كَدْماً، ونهشَها طُولاً وعرضاً، ورَفعاً وخَفضاً، حتى يأتي عليها؛ ثم لا يقعُ عَضُّه إلا على الأنصافِ والأثْلاثِ؛ ولا رَمَى بَنوانٍ قطّ، ولا نزَع قِمعاً[9]، ولا نفَى عنه قِشْراً، ولا فتّشه مخافَةَ السوس والدود.

وقال بعض الشعراء: [وافر]

تَبِيتُ تُدَهْدِه القَرّانَ حَوْلي ... كأنّك عند رأسي عُقْرُبانُ[10]
فلو أطعَمتَني حَمَلاً سميناً ... شكرتُك والطعامُ له مكانُ

وقال بعض الأعراب: [طويل]

وإنّ طعاماً ضمّ كفّي وكفَّها ... لعمرُك عندي في الحياةِ مبارَكُ

---

(١) جحظت عيناه: عظمت ونتأت مقلتاه.
(٢) سدر الرجل: تحيّر.
(٣) تربّد وجهه: تغيّر وتجهّم.
(٤) الباقلي: نبات.
(٥) استفّه: أي ازدردة بنهم بكلتا كفيه.
(٦) زدابه: رمى به.
(٧) الكنيز: التمر يجعل في قواصر للشتاء.
(٨) كدمها كدماً: عضّها بأدنى فيه.
(٩) القمع: ما التصق بأسفل التمرة ونحوها حول علاّقتها.
(١٠) تدهده: تدحرج، والقرّان: القارورة.

فمن أجلها أستوعبُ الزادَ كلَّه ومن أجلها أهوِي يدي فأدارِكُ

وقال آخر: [متقارب]

عريضُ البِطان جديد الخوان قريب المَراث من المرتع[1]
فنِصفُ النهار لِكِرْياسه ونِصفٌ لمأكله أجمع[2]

الأصمعيّ قال: قيل لأعرابيّ: ما يُعجبك من هذا القَنْد[3]؟ قال: يُعجبني خَضْدُه وبَرْدُه. قال الأصمعيّ: الخضد: المضغ والأكل الشديد.

قال خالد بن صفوان يوماً لجاريته: يا جارية، أطعمينا جبناً، فإنه يُشهّي الطعامَ ويَهيج المعِدة، وهو يُعدّ من حمض العرب. قالت: ما عَندنا منه شيء. قال: لأُعلمكِ إنه والله، ما علمتُ، ليَقْدَح في الأسنان ويستولي على البطن، وأنه من طعام أهل الذمّة.

كان يقال: إذا كثُرتِ المقْدِرة، ذهبت الشهوة.

وقال بعض الظرفاء: [طويل]

زرعنا فلمّا سلّم اللهُ زرعنا وأوفى عليه مِنجلٌ بحَصادِ
بُلينا بكوفيٍّ حليفِ مجاعةٍ أضرّ علينا من دَبىً وجرادِ[4]

عن نافع عن ابن عمر قال: «قال النبيّ ﷺ: مَنْ دَخَل على غير دَعوة دخل سارقاً وخرج مُغِيراً، ومن لم يُجب الدعوةَ فقد عصى الله ورسولَه».

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا دُعِي أَحدُكم فجاءَ مع

---

(١) البطان: حزام القتب يجعل تحت بطن الدابة، ولعله يريد به عُظْم بطنه، والمراث: مكان الرَّوث.

(٢) الكرياس: الكنيف الذي يكون مشرفاً على سطح بقناة إلى الأرض.

(٣) القنْد: عسل قصب السكر إذا جمد.

(٤) الدّبى: الجراد قبل أن يطير.

الرسول فإنّ ذلك له إذنٌ».وعن مجاهد: أن ابن عمر كان إذا دُعي إلى طعام وهو صائم يجيب، وكان يهيء اللقمة بيده ثم يقول: كلوا باسم الله فإني صائم. وعن أسماء بنت رُفَيد قالت: دخلنا على النبيّ ﷺ، فأُتي بطعام فعرَض علينا فقلنا: لا نشتهيه، فقال: «لا تَجمَعُنَّ كذباً وجوعاً».

دعا رجل عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه إلى الطعام، فقال: نأتيك على ألّا تتكلّف ما ليس عندك، ولا تدّخر عنا ما عندك.

وكان يقول: شرّ الإخوان مَنْ تُكُلِّف له[1].

دعا رجل رجلاً إلى الغداء ثم قال له: هذه بكر زيارة ولم نستعدد، فلعل تقصيراً فيما أُحبّ بلوغَه؛ فقال الآخر: حرصُك على كرامتي يكفيك مؤونةَ التكلّف.

قال إسحاق بن إبراهيم الموصليّ[2]: أتاني الزبيرُ بن دَحْمانَ يوماً فسألته أن يقيم عندي، فقال: قد أرسل إليّ الفضل بن الربيع وليس يمكنني التخلُّفُ عنه؛ فقلت له: [طويل]

أقم يا أبا العوّام ويحك نشربِ ... ونَلْهُ مع اللّاهين يوماً ونَطرَبِ
إذا ما رأيتَ اليوم قد جاء خيرُه ... فخذه بشكرٍ واْتْركِ الفضلَ يَغضبِ

وقال بعض المحدَثين: [خفيف]

نحن قوم متى دُعِينا أجَبْنا ... ومتى نُنْسَ يَدْعُنا التطفيل[3]
ونَقُلْ علّنا دُعِينا فغِبْنَا ... وأتانا فلم يَجدنا الرسول

---

(١) تُكُلِّف له: من التكلفة، وهي النفقة استعداد لضيافته.

(٢) هو اسحاق بن ابراهيم الموصلي، المغنّي المشهور والشاعر والأديب.

(٣) التطفيل: من التطفّل أي الحشريّة.

كان طُفَيلَ العرائس الذي يُنسب اليه الطُّفَيليُّون يُوصي أصحابَه فيقول لأحدهم: إذا دخلتَ عُرساً فلا تتلفَّتْ تلفُّتَ المُريب، وتخيَّرِ المجالس، وأجدْ ثيابك، واعمل على أنها العقدة التي تَستغل[1]. وإن كان العرس كثير الزحام فمُرْ وانْهَ[2]. ولا تنظر في عيون أهل المرأة ولا عيون أهل الرجل، فيظنّ هؤلاء أنك من هؤلاء وهؤلاء أنك من هؤلاء. وإن كان البوّاب غليظاً وَقَاحاً[3] فابدأ به ومُرْه وانهَه من غير أن تُعنِّفَ عليه، وعليك بكلامٍ بين النصيحة والإدلال.

عرض رجل على رقبةَ الغداءَ؛ فقال: إن أقسمتَ عليّ وإلاّ فدعني.

ومن أشعار الطُّفَيليِّين: [سريع]

دعوتُ نفسي حين لم تدعُني ... فالحمدُ لي لا لكَ في الدَّعوهْ

وقلتُ دا أحسنُ من موَعدٍ ... إخلافُه يدعو إلى جَفْوهْ[4]

وقال آخر: [طويل]

إذا جاء ضيفٌ جاء للضيف ضَيفَنٌ ... فأودَى بما تُقْرَى الضيوفُ الضّيافِنُ[5]

وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلّي: [بسيط]

نعم الصديقُ صديقٌ لا يكلّفني ... ذبحَ الدَّجاج ولا شَيَّ الفَراريج

يرضى بلونيْن من كَشْكٍ ومن عدس ... وإن تشهَّى فزيتونٌ بطَسُّوج[6]

كان سعيد بن أسعد الأنصاري إمام الجامع بالبصرة طفيليّاً، فإذا كانت وليمةٌ سق الناسَ إليها، فربما بَسط معهم البُسُطَ وخدم. فقيل له في ذلك

---

(١) العقدة: الحائط الكثير النخل، واستغلال العقدة: استثمارها.

(٢) مُروانة: أمْرٌ من أمر ونهي.

(٣) الوقاح: أي الوقح.

(٤) الإخلاف: عدم الوفاء بالوعد.

(٥) الضَيفَن: الطفيلي.

(٦) الكشك: معروف، يصنع من لبنٍ وقمح، والطسّوج: مقدار من الوزن مقداره حبّتان من الدّانق، والدانق من الدرهم لا من الدينار لأن الدّرهم ستة دوانيق.

فقال: إني أُبادر بردَ الماء، وصفوَ القدور، ونَشَاطَ الخبّاز، وخلاءَ المكان، وغفلةَ الذِّبَّان، وجفافَ المنديل.

وقيل لبعض الطِفيليّين: كم آثنان في آثنين قال: أربعة أرغفَةٍ.

باب الضيافة وأخبار البخلاء على الطعام

عن المِقدام[1] أبي كريمة أنه سمع رسولَ الله ﷺ يقول: «أيُّمَا مسلم ضَافه قومٌ فأصبحَ الضيفُ محروماً كان له على كلّ مسلم نَصرُهُ حتى يأخذَ بِقرَى ليلته من زرعهِ ومالهِ».

روى ابنُ العَجْلانِ عن أبيه قال: قال أبو هريرة: إذا نَزلْتَ برجل ولم يَقْرِكَ فقاتِلْه. عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «الخيرُ أسرعُ إلى مُطعِم الطّعام من الشَّفْرةِ في سَنام[2] البعير».

داود قال: قلت للحسن: إنك تُنفِق من هذه الأطعمة وتُكثر، قال: ليس في الطعام سَرَفٌ. وقال الثوريّ: ليس في الطعام ولا في النساء سرفٌ.

عن أبي هريرة عن النبيّ ﷺ أنه قال: «إنّ مِنَ السُّنّةِ أن يَمشِيَ الرجلُ مع ضَيفِهِ إلى باب الدارِ».

عن عبد الرحمن بن عباس قال: رأيت آبن عباس في وليمة فأكل وألقى للخبّاز درهماً.

الأصمعيّ قال: سُئل أَقرى أهل اليمامةِ للضيف: كيف ضبطتم القِرَى؟ قال: بأنّا لا نتكلّفُ ما ليس عندنا.

---

(١) المقدام أبي كرمة: هو المقدام بن معد يكرب بن عمرو بن يزيد أبو كريمة الكندي، صحابيٌّ، قدم من اليمن ومات بحمص.

(٢) الشّفرة: السكين العظيمة العريضة، والسّنام: أعلى البعير ولحمه من أطيب اللحم.

عن بعض النُّسّاك قال: قد أعياني أن أنزِلَ على رجل يَعلمُ أني لستُ آكل من رزقه شيئاً.

عن عَوْن بن عبد الله قال: ضلّ رجلٌ صائمٌ في عام سنةٍ[١]، فابتُلِيَ برجلٍ عند فطره وقد أُتي بقُرصينِ فألقى إليه أحدَهما، ثم قال: ما هذا بمُشبِعِه ولا بمُشبِعِي، ولأن يشبَع واحد خير من أن يجوع اثنان، وألقى إليه الآخر. فلما أَوَى إلى فراشه أتاه آت فقال: سَلْ؛ فقال: أسأل المغفرة؛ قال: قد فُعِل ذلك بك؛ قال: فإني أسأل أن يُغَاثَ الناسُ.

عن الحسن: أنّ رجلاً جَهَده الجوعُ، ففطِنَ له رجلٌ من الأعيان، فلمّا أمسى أتى به رحْلَه[٢]، فقال لامرأته: هل لكِ أن نَطوِيَ ليلتَنا هذه لضيفنا؟ قالت: نعم قال: فإذا قدّمتِ الطعام فأْذِني إلى السراج كأنك تُصلحينه فأطفئيه، ففعلتْ وجاءتْ بثريدة كأنها قَطَاة[٣] فوضعتْها بين أيديهما، ثم دَنَتْ إلى السراج كأنّها تُصلحه فأطفأته، فجعل الأنصاريّ يضع يده في القصعة ثم يرفعها خالية؛ فأُطلِع على ذلك رسولُ الله ﷺ؛ فلما أصبح الأنصاريّ صلّى مع الرسوَل ﷺ الفجر، فلما سلّم أقبل على الأنصاريّ وقال: «أنت صاحبُ الكلام الليلة؛ ففزع الأنصاريّ وقال: أيّ كلامٍ يا رسول الله؟ قال: كذا وكذا: قوله لامرأته؛ قال كان ذاك يا رسول الله؛ قال: فوالله لقد عجِب اللهُ من صُنعِكما الليلةَ».

الأصمعيّ قال: كان عمر بن عبد العزيز إذا قدِم عليه بَريدٌ قال: هل رأيت في الناس العُرُسَات؟ يعني الخِصبَ للمسلمين.

---

(١) سنةٍ: جدبٍ وقحل.

(٢) الرحل: المنزل.

(٣) القطاة: طائرٌ يشبه الحمام أغبر اللون.

وقيل لأعرابيّ كان في مجلسٍ: فيم كنتم؟ قال: كنا في قِدْر تفور، وكأسٍ تدور، وغِناء يَصور[1]، وحديث لا يخور[2].

بلغني أن محمد بن خالد بن يزيد بن معاوية كان نازلاً بحَلَب على الهَيْثَم بن يزيد التَّنُوخيّ، فبعث إلى ضيف له من عُـذْرة فقال: حَدِّثْ أبا عبد الله ما رأيتَ في حاضرة المسلمين من أعاجيب الأعراس؛ قال: نعم، رأيتُ أموراً مُعْجِبة: منها أني رأيت قرية عاصم بن بكر الهلاليّ، فإذا أنا بدُورٍ متباينة، وإذا أخصاصٌ[3] مُنظَّمٌ بعضها إلى بعض، وإذا بها ناس كثيرٌ مُقبِلون ومُدبِرون وعليهم ثياب حَكَوْا بها ألوانَ الزَّهْر، فقلت لنفسي: هذا أحد العِيدين الأضحى أو الفِطر؛ ثم رجع إليّ ما عَزَب[4] عنّي من عقلي، فقلت: خرجت من أهلي في عَقِبِ صفَر وقد مضى العِيدان قبل ذلك؛ فبينما أنا واقف ومُتعجِّب أتاني رجل فأخذ بيدي فأَدخَلَني داراً قَوْراء[5] وأدخلني بيتاً قد نُجِّدَ[6] في وجهه فُرُش قد مُهِّدت وعليها شابّ ينال فروعُ شعره كَتِفَيْه، والناس حوله سِمَاطانِ[7]؛ فقلت في نفسي: هذا الأمير الذي يُحكى لنا جلوسُه وجلوس الناس حولَه، فقلت وأنا ماثلٌ بين يديه: السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته؛ فجَذَب رجلٌ بيدي وقال: اجلس فإن هذا ليس بالأمير؛ فقلت: ومن هو؟ قال: عَرُوس؛ قلت: وَاثُكْلَ أُمّاه! رُبّ عروسٍ رأيتُ بالبادية أهْونُ على أصحابه من هَنِ أمِّه؛ فلم ألْبَث إذ دخلت الرجالُ عليها هَنَاتٌ[8] مدوّراتٌ من

---

(١) يصور: يميل طرباً.

(٢) يخور: يضعف.

(٣) الأخصاص: جمع خُصّ، وهو البيت من قصب.

(٤) عَزَب: بعد وضاع.

(٥) القوراء: الواسعة.

(٦) نجّد: أي مهّد بالفرش.

(٧) سماطان: صفّان.

(٨) هِنات مدورات: أشيا ومدورات، وهَنٌ كلمة كناية ومعناها شيء.

خشب وقُضْبان، أمّا ما خَفَّ فيُحْمَلُ حملاً، وأمّا ما ثَقُل فيُدَحْرَج، فوُضعتْ أمامنا وتحلّق القوم حلَقاً حلَقاً، ثمَ أُتِينا بِخرَقٍ بِيضٍ فألقيتْ بين أيدينا، فظننتها ثياباً وهممت عندها أن أسأل القوم خِرقاً أقطعُ منها قميصاً، وذلك أني رأيت نَسْجاً مُتلاحِكاً[1] لا تبين له سَدىً[2] ولا لُحْمة؛ فلما بسَط القومُ أيديهم إذا هو يتمزّق سريعاً وإذا هو فيما زعموا صِنفَ من الخبز لا أعرفه. ثم أُتينا بطعامٍ كثيرٍ من حلوٍ وحامضٍ وحارٍّ وبارد، فأكثرتُ منه وأنا لا أعرف ما في عَقبه من التُّخَم والبَشَم[3]. ثم أُتينا بشرابٍ أحمر في عِسَاس[4]، فلما نظرت إليه قلت: لا حاجة لي فيه، أخاف أن يقتلني. وكان في جانبي رجل ناصحٌ لي ـ أحسن الله جزاءَه ـ كان ينصح لي من بين أهل المجلس، فقال: يا أعرابيّ، إنك قد أكثرتَ من الطَّعام، وإن شربتَ الماء انتفخ بطنُك ـ فلما ذكر البطن تذكرتُ شيئاً كان أوصاني به أبي والأشياخ من أهلي: قالوا: لا تزال حيّاً ما دام شديداً (يعني البطن) فإذا اختلف فأوصِ ـ فلم أزل أتداوَى به ولا أمَلُّ من شربه، فتداخلني ـ نالك الخير ـ صَلَف[5] لا أعرفه من نفسي، وبكاء لا أعرف سببَه ولا عهدَ لي بمثله، واقتدارٌ على أمر أظن معه أني لو أردت نيلَ السقف لبلغتُه ولو ساورتُ[6] الأسَد لقتلتُه، وجعلتُ ألتفت إلى الرجل الناصح لي فتحدّثني نفسي بِهَتْم أسنانَه[7] وهَشْم أنفه، وأهُمّ أحياناً بأن أقول له: يابن

---

(١) المتلاحك: المتداخل بعضه ببعض، والمتلاحم.

(٢) السّدى: ضد اللحمة، وهي الفرجة.

(٣) البشم: التخمة من الأكل.

(٤) عساس: جمع عسّي، وهو الزّق.

(٥) الصّلف: مجاوزة قدر الظّرف والإدعاء فوق ذلك تكبُّراً.

(٦) ساورت الأسد: غالبته من المساورة.

(٧) هتم أسنانه: قلعها، وهتم السنّ: تحرك وقلق.

الزانية؛ فبينما نحن كذلك إذ هجم علينا شياطينُ أربعةٌ: أحدهم قد عَلَّق في عُنُقه جَعْبة فارسية مُشَنَّجَة[١] الطرفين دقيقة الوسط قد شُبِحَت[٢] بالخيوط شَبْحاً منكراً، وقد أُلبستْ قطعةَ فَرْو كأنهم يخافون عليها القُرَّ. ثم بَدَر الثاني فاستخرج من كُمّه هَنَة سوداء كَفَيْشَلة الحمار فوضع طَرَفها في فيه فضرَط فيها فاستَتَمّ بها أمرُهم، ثم حَسَبَ[٣] على جِحِرَة فيها فاستخرج منها صوتاً ملائماً مشاكِلاً بعضُه بعضاً كأنه ـ علمِ الله ـ ينطق. ثم بدر الثالثُ عليه قميص وَسِخ وقد غرق شعره بالدُّهْن ومعه مرآتان فجعل يَمْري[٤] إحداهما على الأخرى مَرْيا. ثم بدر الرابع عليه قميصٌ قصير وسراويلُ قصير وخُفّان أجذمان[٥] لا ساقين لهما، فجعل يَقْفِز كأنه يَثِب على ظهور العقارب، ثم التبط بالأرض، فقلت: معتوه وربِّ الكعبة! ثم ما بَرِح مكانَه حتى كان أَغبطَ[٦] القومِ عندي، ورأيت الناس يحذِوفونه بالدارهم حَذْفاً منكراً. ثم أرسلت إلينا النساءُ أن أمتِعونا من لهوكم، فبعثوا بهم إليهن. وبقيت الأصوات تدور في آذاننا. وكان معنا في البيت شابٌّ لا آبَهُ له، فعَلَت الأصواتُ له بالدعاء، فخرج فجاء بخشبة عينها في صدرها فيها خويطاتٌ أربعة، فاستخرج من جنبها عوداً فوضعه على أُذنه، ثم زمّ الخيوطَ الظاهرة، فلما أحْكَمها وعَرَك آذانَها حرّكها بمجَسّةٍ[٧] في يده، فنطقتْ وربِّ الكعبة! وإذا هي أحسنُ قَيْنة[٨] رأيتها قطُّ وغنّى عليها

---

(١) التشنّج: التقبّض. (٢) شبحت: شدّت.

(٣) حسب: يريد حرّك أصابعه على ثقوب هذه الهنة.

(٤) يمري: يمسح.

(٥) الأجذم: المقطوع.

(٦) أغبط القوم: أحبّهم وأظرفهم.

(٧) المجسّة: ما تحرَّك به أوتار العود.

(٨) القينة: المغنّية.

(٩) استخفّه: أطربه إلى درجةٍ نسي معها نفسه.

فاستخفّني(٩) في مجلسي حتى قمتُ فجلستُ بين يديه، فقلت: بأبي أنت وأمّي! ما هذه الدابّة؟[1] فلستُ أعرفها للأعراب وما خلقتْ إلّا حديثاً! فقال: يا أعرابيّ. هذا البَرْبَط[2] الذي سمعتَ به؛ فقلت: بأبي أنت وأمي! فما هذا الخيط الأسفل؟ قال: زير؛ قلت: فما الذي يليه؟ قال: مَثْنى؛ قلت: فالثالث؟ قال: المَثْلَث؛ قلت: فالرابع؟ قال الْبَمّ؛ قلت: آمنتُ بالله أوّلاً وبالبمّ ثانياً.

وقال الخُرَيميّ: [طويل]

أُضاحِك ضَيْفي قبل إنزالِ رَحْلِهِ ... ويُخْصِبُ عندي والْمَحلُّ جَدِيبُ

وما الخِصْبُ للأضْيَافِ أن يَكْثُر القِرَى ... ولكنّما وجهُ الكريم خَصِيبُ

وقال أَرْطاة بن سُهيّة[3]: [طويل]

وإنّي لقَوّامٌ إلى الضيف مَوْهِناً ... إذا أَغدف السِّتْرَ البخيلُ المُوَاكِلُ[4]

دعا فأجابتْه كلابٌ كثيرةٌ ... على ثقةٍ مِنّي بما أنا فاعِلُ

وما دُون ضَيْفي من تِلادٍ تَحُوزُهُ ... لِيَ النفسُ إلا أن تُصانَ الحلائِلُ[5]

وقال آخر[6]: [طويل]

إذا نزل الأضيافُ كان عَذَوَّراً ... على الأهلِ حتى تَسْتقِلّ مَرَاجِلُهْ[7]

---

(١) الدابة: الآلة العجماء.

(٢) البربط: العود.

(٣) أرطأة بن سهية: هو من بني مرّة بن عوف بن سعد يكنّى ابا الوليد، عاش أيام الدولة الاموية عبد الملك بن مروان. وله معه حديث.

(٤) أغدف السِّتر: أغلقه دونه، والمواكل: العاجز الذي يكل أمره إلى غيره متكّلاً عليه.

(٥) التِّلاد: المال الموروث، وتحوزه: تمتلكه

(٦) الشعر لزينب بنت الطثريّة ترثي أخاها يزيد وقيل: إنّه لغيرها.

(٧) العذوّر: السّيء الخلق والقليل الصبر، والمراجل: القدور، جمع مِرجل.

يقول: يُسَوِّيء خُلقَه حتى يُطعِم أضيافَه، لإعجاله إياهم ولخوف تَقصيرٍ يكون منهم.

وقال دِعْبِل: [طويل]

وإنّي لعبدُ الضيفِ من غيرِ ذِلّةٍ ... وما فيَّ إلّا تلك من شيمةِ العبدِ

وقال آخر[1]: [طويل]

لِحافِي لحافُ الضَّيف والبيتُ بيتُه ... ولم يُلْهِنِي عنه الغزالُ المُقَنَّعُ[2]

أُحَدِّثُهُ، إن الحديث من القِرَى ... وتعلمُ نفسي أنّه سوف يَهْجَعُ[3]

وقال الفرزدق في العُذافر: [طويل]

لَعَمْرُكَ ما الأرزاقُ يومَ اكتيالِها ... بأكثرَ خيراً مِن خِوَانِ عُذَافِر[4]

ولو ضافَه الدَّجّال يلتمِسُ القِرَى ... وحَلَّ على خَبّازه بالعساكر[5]

بِعِدّةِ يأجوجٍ ومأجوجَ كُلِّهم ... لأشبعهم يوماً غَداءُ العُذَافِرِ[6]

وقال مِسْكِين الدارِميّ[7]: [كامل]

نارِي ونارُ الجارِ واحدةٌ ... وإليهِ قَبْلِي تُنْزَلُ القِدْرُ

ما ضَرَّ جاراً لي أُجاوِرُهُ ... ألّا يكونَ لِبابِه سِتْرُ

(١) ذكر أبو الفرج هذا البيت ضمن أبياتٍ منسوبة إلى قيس بن عاصم المنقريّ «انظر الأغاني ج ١٢ ص ١٥٠ ط بولاق».

(٢) الغزال المقنّع: كناية عن امرأته.

(٣) القرى: الضيافة، ويهجع: يرقد وينام.

(٤) العذافر: هو العذافر بن يزيد التيمي، أحد أجواد العرب، وداره على سنخة بلعم، والعذافر: صفة من صفات الأسد.

(٥) الدّجّال: الذي يخرج في آخر الزّمان ومعه حشدٌ عظيم.

(٦) يأجوج ومأجوج: قومٌ ذكروا في القرآن الكريم وهم حشدٌ عظيم العدد.

(٧) مسكين الدارمي هو ربيعة بن عامر بن أنيف من بني دارم. لقب مسكين لأنه قال:

وسميتُ مسكيناً وكانت لجاجةً ... وإنّي لَمسكينٌ إلى الله راغب

ضاف رجلٌ من كَلْب أبَا الرَّمْكَاء الكلبيّ، ومع الرجلِ فَضْلة من حِنْطة، فراحَتْ مِعْزَى أبي الرَّمْكاء، فحلبَ وشَرِب، ثم حلب وسَقَى ابنَه، ثم حلب وسَقَى امرأته؛ فقال الرجل: ألَا تسقُون ضيفكم؟ فقال أبو الرَّمْكاء: ما فيها فضل؛ فاستخرج الرجلُ ما فِي عِكْمِه[1] من طعام وقال: هل من رَحىً؟ فأسرعوا بها نحوَه، فطحَنَ وعجَنَ وأوقد خبزتَه وأخرجها فنَفَضها، فإذا رسول أبي الرمكاء يقول: يقول لك أبو الرمكاء: لا عهدَ لنا بالخبز؛ فقال الرجل: ما فيها فضل، ثم أكل وارتحل، وقال: [طويل]

وبات أبو الرَّمكاء لم يَسْقِ ضيفَه ... من المَحْضِ ما يَطْوي عليه فيَرْقُدُ[2]
فقمتُ إلى حنّانةٍ فوق أختها ... ونارٍ وباتتْ وهي تُورَى وتوقَدُ
فلما نفضتُ الخبزَ بالعودِ أقبلت ... رسائل تشكي الجوع والحيُّ سُهَّدُ
وقال أبو الرَّمكاء بالخبز عهدُه ... قديمٌ له حولٌ كريبٌ مَطَرَّد[3]
فقلت ألَا لا فضلَ فيها لِباخلٍ ... ولا مَطْمعٌ حتى يلوح لنا الغَدُ
فباتَ أبو الرّمكاء من فَرْطِ رِيحها ... يَئِنّ كما أنّ السليمُ المُسَهَّدُ[4]

ذكر أعرابيّ قوماً فقال: ألغَوْا من الصلاة الأذانَ، مخافة أن تسمعه الآذان، فيَهُلّ عليهم الضِّيفان.

وقال بعضهم في ذلك: [وافر]

أقاموا الدَّيْدَبانَ على يَفَاعٍ ... وقالوا لا تَنَمْ للدّيدَبانِ[5]
فإنْ أبصرتَ شخصاً من بعيدٍ ... فصَفِّقْ بالبنان على البنان

(١) العِكم: ما يبسط من الثياب ويجعل فيه المتاع.
(٢) المحض: اللبن الخالص، يطوي: من الطوي وهو الجوع، أي يسدُّ به جوعه.
(٣) الكريب: المكروب الذي اشتدَّ غمُّه.
(٤) السليم: اللديغ، وسُمِّيَ سليماً تيمُّناً بالسلامة وهو من الأضداد.
(٥) الدّيدبان: الرّقيب، والحارس، واليفاع: المرتفع من الأرض.

تــراهم خشيــةَ الأضيــافِ خُــرْســاً ... يُــصَــلُّونَ الــصــلاةَ بــلا أذانِ

وقال زياد الأعجم: [طويل]

وَتَكْعَمُ كلبَ الحيّ من خَشْيَـةِ القِرَى ... وقِـدْرُكَ كـالعَـذْراء من دونهـا سِتْـرُ[١]

وقال آخر: [طويل]

وإنّي لأجفـو الضيفَ من غير عُسْـرةٍ ... مخــافــةَ أن يَضْــرَى بنــا فيعــودُ[٢]

وقال آخر: [كامل]

أعــددتُ للضِّيفـان كلبــاً ضــاريــاً ... عنــدي وفضــلَ هِــرَاوةٍ من أرزَنِ[٣]

ومَعَــاذِراً كَــذِبــاً ووجهــاً بــاســراً ... مُتَشَـكيّــاً عَضّ الـزمــانِ الألــزَنِ[٤]

رأى رجلٌ الحطيئة وبيده عصا؛ فقال: ما هذه؟ قال: عَجْراء[٥] من سَلَم، قال: إنّي ضيف، قال: لِلضِّيفان أعددتُها.

وقال آخر: [بسيط]

وأُبغض الضيفَ مـا بي جُـلُّ مـأكلِه ... ألّا تَـنَـفُّـخَــه حــولِـي إذا قَــعَــدَا

مــا زال ينفُــخ جَـنْبَـيْـه وحَبْــوتَـه ... حتى أقـولَ لعلّ الضيفَ قـد وَلَـدَا[٦]

وقال حُمَيدُ الأرقطُ[٧] يذكر ضيفاً: [طويل]

إذا مـا أتـانـا ورادُ المصـرِ مُـرمِـلاً ... تـأوّبَ نـارِي أصفـر العقـل قـافـلُ[٨]

---

(١) تكعم الكلب: تشدّ فاه لئلا ينبح فينبّه الطارقين، ومعنى الشطر الثاني أن قدرك محجوب عن الناس كما تحجب العذراء.

(٢) يضرى بنا: يولع بنا ويعتاد علينا. (٣) الأرزن: شجرٌ صلب تتخذ منه العصيّ.

(٤) الألزن: الشديد الكلب. (٥) العجراء: من العصيّ ما فيها عُقَدْ.

(٦) الحبوة: كناية عن الجسم، والحُبوة: ما يُحتبى به من ثوب أو نحوه.

(٧) حميد الأرقط: هو حُميد بن ثور، أحد رجّاز العرب المشهورين سمّي بالأرقط لآثارٍ كانت في وجهه «راجع اللسان مادة رقط».

(٨) المرمل: الذي نفذ زاده، وتأوّب: جاء أوّل الليل، وأصغر العقل: والقافل: اليابس الجلد وقيل: اليابس اليد.

فقلتُ لعبـديّ ٱعـجَـلا بعَـشَـائـه ... وخيـرُ عَشاء الضيفِ مـا هـو عـاجـلُ
فقـال وقـد ألقى المَـرَاسِي للقِـرَى ... أبِنْ لِيَ ما ٱلحجَّاج بـالناس فـاعل[١]
فقلت لَعَمْـرِي مـا لهـذا طَـرَقتَنـا ... فكُـلْ ودَعِ الأخبـارَ مـا أنت آكـلُ
تُـجَـهِّـز كـفَّـاهُ فـيـحْـدُرُ حَـلْقُـه ... إلى الزَّورِ ما ضُمّتْ عليه الأناملُ[٢]
أتـانـا ولم يَعْـدِلْـه سَحْبـانُ وائـلٍ ... بيـانـاً وعلمـاً بـالـذي هـو قـائـلُ[٣]
فمـا زال منـه اللَّقمُ حتى كـأنّـه ... من العِـيّ لمّـا أن تَـكلَّمَ بـاقـلُ[٤]

وقال أيضاً في نحو ذلك: [بسيط]

ومُـرمِلين عـلى الأقـتـاب بـزّهـمُ ... حـقـائـبٌ وَعُـبَـاءُ فيـه بُـعْـرِيـنُ[٥]
مقـدمين أُنـوفـاً في عـصـائبـهمْ ... هُجْناً، ألَا جُدِعَتْ تلك العـرانِينُ[٦]
يُسَـطِّرون لنـا الأخبـارَ إذ نـزلـوا ... وكـلُّ مـا سـطّروا لِـلّقمِ تـمكـينُ
بـاتـوا وجُـلّتـنا الصـهبـاءُ بينـهمْ ... كـأنّ أظفـارَهم فيهـا سكـاكيـنُ[٧]
فـأصبحـوا والنَّوَى عـالي مُعَـرَّسِهِم ... وليس كُـلَّ النـوى تُلقي المسـاكينُ[٨]

وقال أيضاً في نحو ذلك: [طويل]

---

(١) ألقى المراسي للقرى: أي تهيأ لتناول الطعام.
(٢) تحدُر: تسرع وتنزل، والزَّور: أعلى الصدر.
(٣) سحبان وائل: جاهليٌّ مشهور بالخطابة والفصاحة.
(٤) العيُّ: الحَصر، وباقلٌ: جاهليٌّ مشهورٌ بالعيِّ.
(٥) كذا بالأصل، والمرملين: الذين نفد زادهم جمع.
(٦) العرائين: الأنوف.
(٧) الجلّة: قفّة التمر من سعف النخل وليفه، ولـذلك وصفها بالصّهب. والصهبـة: اللون الذي يميل إلى حمرة أو شقرة.
(٨) التعريس: موضع النزول آخر الليل للرّاحـة، والمعنى أنّه قـدّم لهم النّوى بكثـرة فأكلوا قسماً وادّخروا آخر للحاجة.

وعـاوٍ عَوَى والليـلُ مُستحلِسُ النَّدَى ... وقـد ضَجَعتْ للغَـوْرِ تـاليـةُ النجم[١]
فسلَّمَ تـسليـمَ الصَّـديـقِ ولم يـكنْ ... صـديقـاً لنـا إلا ليـأنس بـاللُّقمِ
فقلت لــه والنــارُ تـأخـذ صـدرَه ... لَقمتَ لِسَمْتٍ أو سَرَيْتَ على علمِ[٢]

وقال بعض الرُّجّاز:

بَـرَّحَ بـالعينين خَـطَّابُ الكُـثَبْ[٣] ... يـقـول إنّي خـاطـبٌ وقـد كَـذَبْ
وإنّـمـا يَـطلبُ عُـسّـاً مِـنْ حَـلَبْ[٤]

وقال آخر: [بسيط]

إنّي لمثـلكُـمُ مـن سـوء فـعـلكُـمُ ... إن زرتُـكـم أبـداً إلاّ مـعـي زادِي

وقال حمَّاد عَجْرَد: [متقارب]

حُـرَيْـثُ أبـو الـصَّلت ذُو خِبْـرةٍ ... بـمـا يُصلِحُ المِـعْـدَةَ الفـاسـدهْ
تـخـوَّفَ تُـخْـمـةَ أضـيـافِـه ... فَـعَـوَّدهـم أكـلةً واحـدهْ

عن قَتَادة قال: قـال زيادُ لغَيـلان بن خَـرَشَة[٥]: أُحِبّ أن تُحَـدِّثني عن العرب وجُهْدِها وضَنْكِ عيشها[٦]، لِنَحْمَدَ الله على النِّعمة التي أصبحنا بها؛ فقـال غَيْلان: حـدّثني عمِّي قال: تـوالتْ على العبر سِنُونَ تسعٌ في الجـاهليّة

(١) مستحلس النّدى: أي هو متراكب يعلو بعضه بعضاً لكثرته وضجعت للغور: مالت للمغيب، وتالية النجم: إحدىّ تالية النجوم وهي آخرها.
(٢) السمت: السّير على الطريق بالظن أو الحدس.
(٣) برّح بالعينين: أجهدها، والخطاب: كثير التصرّف في الخطبة،والكُثب: جمع كثبة وهي القليل من الماء واللبن، يعني أنّ الرجل يجيء بعلّة الخطبة وإنّما يريد القرى.
(٤) العسّ: وعاء اللبن، والزّق.
(٥) هو غيلان بن خرشة الضبّي راجع اللّسان مادة «غول».
(٦) ضنك العيش: شدّته وقسوته.

حَطَمتْ كلَّ شيء[١]، فخرجتُ على بَكْرٍ[٢] لي في العرب. فمكثتُ سبعاً لا أطعَمُ شيئاً إلا ما ينالُ منه بعيري أو من حَشَراتِ الأرض، حتى دَفَعتُ في اليوم السابع إلى حواءٍ عظيم[٣]، فإذا بيتٌ جُحش[٤] عن الحيّ، فملتُ إليه فخرجتْ إليّ امرأة طُوَالةٌ حُسَّانة[٥]؛ فقالت: من؟ قلت: طارق ليلٍ يلتمس القِرَى؛ فقالت: لو كان عندنا شيء لآثرناك به، والدَّالُّ على الخير كفاعله، حِسَّ[٥] هذه البيوتَ ثم آنظُرْ إلى أعظمِها، فإن يك في شيءٍ منها خيرُ ففيه؛ ففعلتُ حتى دَفَعْتُ اليه، فرحّب بي صاحبُه وقال: من؟ قلتُ: طارقُ ليلٍ يلتمسُ القِرَى؛ فقال: يا فلانُ، فأجابه، فقال: هل عندك طعامٌ؟ فقال لا؛ فوالله ما وَقَر[٦] في أذني شيءٌ كان أشدَّ منه. قال: فهل عندك شراب؟ قال لا، ثم تأوّه فقال: بلى! قد بَقَّينا في ضَرْع الفلانة[٧] شيئاً لطارقٍ إن طَرَقك، قال: فأت به، فأتى العَطَن فابتعثها[٨]. فحدّثني عمي أنه شهد فتح أصْبِهَان وتُسْتَر ومهْرَجان وكُوَرَ الأهواز وفارسَ وجاهَهُ عند السلطان وكثرة ماله وولده، قال: فما سمعتُ شيئاً قطُّ كان أشدّ من شَخْب[٩] تيكَ الناقة في تلك العُلْبة؛ حتى إذا ملأها وفاضت من جوانبها وارتفعت عليها شمكرةٌ[١٠] كجُمّةِ الشيخ[١١]، أقبل بها

(١) حطمت كلّ شيء: أفنته وبدّدته.

(٢) البَكر: الفتيُّ من الإبل.

(٣) الحواء: مجتمع البيوت.

(٤) جحش: نحّي وأبعد عن البيوت.

(٥) حسّ: تعرَّف أحوالها..

(٦) الوقر: الثقل في الأذن، أي إنه لم يشعر بكلام أثقل منه وأمرّ.

(٧) الفلانة: كناية عن غير الآدميين لأنّها معرفة، وإذا لم تكن معرّفة فهي كناية عن الآدميين.

(٨) العطن: المأوى والمراح الذي تجعل فيه الإبل.

(٩) الشخب: الصوت الذي يحدث عن حلب الضرع واستخراج اللبن.

(١٠) الشمكرة: الرّغوة التي تعلو اللبن عند الحلب.

(١١) الجمّة: مجتمع شعر الرأس.

يَهْوِي نحوي، فعَثَر بعود أو حجر، فسقطت العُلبة من يده، فحدّثني أنه أُصيب بأبيه وأمّه وولده وأهل بيته فما أُصيب بمصيبةٍ أعظمَ من ذهاب العُلْبة. فلما رأى ذلك ربُّ البيت خرج شاهراً سيفَه فبعَث الإبلَ ثم نظر إلى أعظمها سَناماً ودفع إليه مُدْيةً وقال: يا عبد الله اصْطَلِ واحتمِلْ[1]. قال: فجعلت أهوِي بالبَضْعة إلى النار فإذا بلغتْ إناها[2] أكلتُها، ثم مسحتُ ما في يدي من إهالتها[3] على جلدي وقد كان قَحل[4] على عظمي حتى كأنّه شَنٌّ[5]. ثم شَربتُ شَرْبة ماءٍ وخَرَرْتُ مَغْشيّاً عليّ فما أفقتُ إلى السَّحَر. وقطع زيادٌ الحديث وقال: لا عليك ألّا تخبِرنا بأكثر من هذا، فمن المنزولُ به؟ قلت: أبو عليّ عامرُ بن الطُّفَيْل.

قال بعض الشعراء يهجو قوماً: [كامل]

وتراهُمُ قبل الغداء لضَيفِهم ... يَتَخَلّلون صُبابةً للزّاد[6]

وقال آخر[7]: [مجزوء الكامل المرفّل]

اِسْتَبْقِ وُدَّ أبي المُقا ... تِل حين تأكل من طَعامِهْ

سِيَّانِ كَسْرُ رغيفِه ... أو كسرُ عَظْمٍ من عِظَامِهْ

فتراه من خوفِ النزيـ ... ـلِ به يُرَوَّع في منامِهْ

---

(١) اصطلِ واحتمل: أي اشوي اللحم.

(٢) إناها: نضجها.

(٣) إهالتها: من أثرها الذي تركته عند تناولها.

(٤) قحل: يبس.

(٥) الشنّ: القربة الصغيرة البالية، وشنّ الثوب: بليَ.

(٦) يتخلّلون: أي يستعملون السّواك لتنظيف أسنانهم؛ والصبابة: البقيّة القليلة الزّاد، أي أنّهم يستعملون السّواك لإفهام الضيف أن طعامهم. أوشك على النّفاد وأن ليس لديهم إلّا القليل منهم.

(٧) في نهاية الأرب «ج ٣ ص ٣١٨ ط أولى» نسب هذا الشعر لدعبل الخزاعي.

فـإذا مـررتَ بـبـابـه ... فـاْحـفظ رغيـفَـك مـن غـلامـهْ

وقال آخر[١]: [بسيط]

صـدِّق أَلِيَّتَـه إنْ قـال مجتهـداً ... لا والرغيفِ، فذاك البِرُّ من قَسَمِهْ[٢]

قـد كـان يُعْجِبني لـو أنّ غيـرتَـه ... على جـراذِقِه كـانت على حُـرَمِـهْ[٣]

إن رمتَ قتلتـه فـافتُـكْ بخُبْـزَتِـه ... فـإنّ مـوقعهـا من لحـمـه ودَمِـهْ

قلت لرجل كان يأكل مع أبي دُلَف: كيف كان طعامه؟ قال: كـان على مائدته رغيفان بينهما نُقْرة جَوْزةٍ؛ وقال: [وافر]

أبـو دُلَـفٍ يُـضـيِّـع ألـفَ ألـفٍ ... ويَضـرِب بـالحُسَـام على آلـرغيفِ

أبـو دلـفٍ لـمـطبـخِـه قُـتَـارُ ... ولـكن دونَـه ضـربُ السـيـوف[٤]

وقال أبو الشَّمَقْمَق[٥]: [وافر]

رأيت الخبـزَ عَـزَّ لـديـك حتّى ... حسِبت الخبـز في جـوّ السحـابِ

ومـا روّحـتـنـا لِـتـذُبّ عـنّـا ... ولـكن خِـفـتَ مَـرْزِئـةَ الـذُّبـاب

وقال دِعبِل: [خفيف]

إنّ مَنْ ضنّ بـالكَنيف عـلى آلضـيـ ... ـفِ بغيـر الكنيف كيف يـجـودُ![٦]

مـا رأيـنـا ولا سـمِـعـنـا بـحُشٍّ ... قـبـل هـذا لِـبَـابِـه إقـليـدُ[٧]

---

(١) هو أبو تمّام الطائي «انظر ديوانه. باب الهجاء قافية الميم».

(٢) أليته: قسمه.

(٣) الجراذق والجرادق: الرغيف باللغة الفارسية.

(٤) القتار: الدخان.

(٥) أبو الشّمقمق: هو مروان بن محمد. شاعر هجّاء من أهل البصرة. خراساني الأصل من موالي بني امية. له اخبار مع شعراء عصره كبشار وابي نواس.

(٦) الكنيف: الساتر الذي يقضي فيه الإنسان حاجته.

الحشّ: بيت الخلاء، والإقليد: المفتاح.

إن يكن فـي الكـنيـف شيءُ تـخبّـا ه فعنـدي إن شئـت فيـه مـزيـدُ

ولهذا الشعر قصة قد ذكرتها في باب الشعراء[١].

قال أبو محمد: شُوِي لجعفر بن سليمان الهاشميّ دَجاج ففُقِدَ فخِذٌ من دَجاجةٍ، فأمر فنودي في داره: من هذا الذي تعاطى فعقَر[٢] والله لا أخبِز في هذا التّنُورِ شهراً أو يُرَدَّ! فقال آبنه الأكبر: أتؤاخذنا بما فعل السُّفهاء منّا!.

قال بعض الشعراء[٣]: [سريع]

يـا تـاركَ البيت على الضيف وهـاربـاً مـنـه مـن الـخـوف
ضـيفـك قـد جـاء بـخبـزٍ لـه فـارجِـع فكن ضيفـاً على الضيفِ

وقال أبو نُوَاس[٤]: [مجزوء الرّمل]

خـبـزُ إسـمـاعـيـلَ كـلوَشْـ ـي إذا مـا شُـقَّ يـرْفـأ[٥]
عـجـبـاً مـن أثـر الـصـنـ ـعـة فـيـه كـيـف يَـخـفـى
إن رَفّـاءك هـذا أحـذقُ الأمـة كـفًّـا
فـإذا قـابـل بـالـنـصـ ـف مـن الـجَـرْدَقِ نـصـفَـا[٦]

---

(١) ذكر المؤلف هذه القصّة في كتابه. الشعر والشعراء، وهي أن دعبلاً كان ضيفاً لرجل، فقام لحاجته فوجده باب الكنيف مرتجاً فلم يتهيّأ فتحه حتى أعجله الأمر.

(٢) عقر: أي جرح وعضّ، كناية عن أكل الفخذ.

(٣) قال هذا الشعر رجلٌ من اليمامة نزل على مروان بن أبي حفصة الشاعر ضيفاً، فأخلى مروان له المنزل وهرب مخافة أن يلزمه قراه في تلك الليلة، فخرج الضيف واشترى ما احتاج إليه ثمّ رجع وكتب إليه الشعر «انظر المستطرف للأبشيهي (ج ١ ص ٢٠٦).

(٤) قال الشعر في اسماعيل بن نوبخت بعد أن نصب اسماعيل في صحن داره، طارمة «بيت من خشب كالقبّة، معرّب» واصطبح فيها أربعين يوماً ومعه جماعة منهم أبو نواس، فبلغت نفقته أربعين ألف درهم.

(٥) الوشي: : نوعٌ من الثياب معروف، ويرفا: من رفا الثوب، أي أصلحه، والرّفاء: الالتحام.

(٦) الجردق: الرغيف «معرّب عن الفارسيّة».

مثل ما جاء من آلتنـ ـور ما غادر حرفا
أحكم الصنعة حتى لا يُرى موضعُ إشْفَى[١]
وله في الماء أيضاً عملٌ أبدع ظَرْفَا
مزجُه العذبَ بماءِ الـ ـبئر كي يزدادَ ضِعْفَا
فهو لا يشرَبُ منه مثل ما يشرب صِرفا[٢]

عن عبد العزيز بن عمران قال: نزلتُ ببيت ابن هَرْمة فقلت: آنحروا لنا جَزُوراً؛ فقالت: والله ما هي عندنا؛ فبقرة، قالت لا؛ قلت: فشاة، قالت لا؛ قلت: فدجاجة، قالت لا؛ فأين قول أبيك: [منسرح]

لأُمتِعُ العُوذَ بالفِصَال ولا أبتاعُ إلّا قريبةَ الأجلِ[٣]

قالت: ذاك أفناها. فبلغ ابنَ هَرْمة ما قالت، قال: أشهدُ أنها ابنتي، وأشهدُ أن داري لها دون الذكور من أولادي.

قال آبن أبي فَنَنٍ[٤]: [منسرح]

لا أشتمُ الضيفَ ولكنّني أدعو له بالقُرْب من طَوْقِ[٥]
بقُرْبِ مَنْ إن زاره زائرٌ مات إلى الخبز من الشوقِ

دخل على ابنٍ لرجلٍ من الأشراف داخلٌ وبين يديه فَراريجُ، فغطّى الطبقَ بمنديله وأدخلَ رأسَه في جيبه وقال للداخل عليه: كن في الحجرة الأخرى حتى أفرُغَ من بَخُوري.

---

(١) الإشفى: المخرز.
(٢) الصرف: الخالص الصريح من الخمر وغيره.
(٣) العوذ: الحديثات النتاج من الظباء والإبل والخيل، والفصال: جمع فصيل، وهو ولد الناقة إذا فصل عن أمّة، يريد أنّه لا يمتع العوذ بأولادها بل يذبحها لضيوفه.
(٤) ابن أبي فننْ: هو أحمد بن صالح بن أبي فنن، شاعرٌ معاصرٌ للمنصور العباسي.
(٥) طوق: اسم علم.

وفيما أجاز لنا عمرُو بن بحرٍ من كتبه قال: دخل رجل على رجلٍ قد تغذّى مع قومٍ ولم تُرفعِ المائدةُ قال لهم: كُلوا وأجهِزوا على الجرحى. يريد: كلوا ما كُسِرَ ونيل منه ولا تَعْرِضوا إلى الصحيح.

قال: وقال لقوم يؤاكِلونه: يزعمون أن خبزي صغار! أيّ ابن زانيةٍ يأكل من هذا رغيفين!. قال: ويقول لزائره إذا أطال عنده المكث: تغدّيتَ اليوم؟ فإن قال نعم، قال: لولا أنك تغدّيتَ لغدّيتُك بطعامٍ طيّبٍ. وإن قال لا، قال: لو كنت تغدّيتَ لسقيتُك خمسةَ أقداح. فلا يكون له على الوجهين لا قليلٌ ولا كثير.

وحُكي عن أبي نُوَاس أنه قال: قلت لرجلٍ من أهل خراسان: لِمَ تأكل وحدَك؟ قال: ليس عليّ في هذا الموضع سؤال؛ إنما السؤال على من أكَل مع الجماعة، لأن ذاك تكلُّف وأكلِي وحدي هو الأكل الأصليّ.

وكنّا عند داود بن أبي داود بواسِط أيام ولايته كَسْكَر[١]، فأتته من البصرة هدايا، وكان فيها زِقَاقُ دُوشابٍ[٢]، فقسمها بيننا، فكلُّنا أخَذ ما أُعطِي، غيرَ الحِزَامِيّ، فأنكرْنا ذلك وقلنا: إنما يجزَع الحِزاميّ من الإعطاء وهو عدوّه، فأما الأخذ فهو ضالّتهُ وأُمنيّتهُ؛ فإنه لو أُعطِيَ أفاعيَ سِجِسْتَانَ، وثعابينَ مصر، وجَرَّاراتِ[٣] الأهواز لأخذها، إذ كان اسم الأخذ واقعاً عليها؛ فسألناه عن سبب ذلك، فتعسَّر قليلاً ثم باح بِسرِّه وقال: وَضِعتهُ[٤] أضعافُ ربحه، وأخذُه من أسباب الإدبار؛ قلت: أوّلُ وضائعه احتمالُ ثِقَل السُّكْر؛ قال: هذا لم يخطُر

---

(١) كسكر: كورة من كور بغداد وقصبتها واسط وهي مشهورة بالفراريج الكسكريّة.

(٢) الدوشاب: نبيذ التمر «معرّب».

(٣) جرّارات الأهواز: عقاربها القتالة.

(٤) وضيعته: خسارته وغرمه.

ببـالي قطّ، ولكن أوّل ذاك كِرَاء الحَمّـال[١]، فإذا صـار إلى المنزل صـار سبباً لطلب العَصيدة والأرُزَّة والستندفود[٢]، فإن بعتُه فِراراً من هذا البلاء صيّرتمـوني شُهْـرة[٣]، وإن أنا حبَسته ذهَب في العَصائـد وأشباهِهـا، وجـذَب ذلـك شِـراءَ السَّمْنِ، ثم جذَب السمنُ غيرَه، وصار هذا الـدُّوشاب علينـا أضرَّ من العِيـال؛ وإن أنا جعلتُه نبيـذاً احتجتُ إلى كِراء القُـدُور وإلى شِراء الحُبّ[٤] وإلى شـراء الماء وإلى كِرَاء من يُوقِد تحتـه؛ فإن ولّيتُ ذلـك الخادمَ اسـودّ ثوبُهـا وغَرَّمتنـا ثمنَ الأُشْنان[٥] والصابـون، وازدادتْ في الطُّعم على قَـدْرِ الزيـادة في العمل؛ فإن فسَد ذهبت النفقةُ باطِلاً ولم نَستخِلف[٦] منها عِوضاً بوجه من الـوجوه، لأن خـلّ الـدَّاذِيّ[٧] يَخْضِب اللّحمَ ويغيّـر الـطَّعم ويسـوِّد المـرَقَـة ولا يصلُح إلا للاصطبـاغ. وإن سلِم ـ وأعوذ بـالله ـ وجاد وصفـا لم نجد بُـدّاً من شربـه ولم تَـطِب أنفسُنا بتـركه؛ فـإن قعـدتُ في البيت أشـربـه لم يُمكن ذلـك إلا بتـرك سُلاَف[٨] الفارسيّ المُعَسَّل، والدَّجاج المُسمَّن، وجِداء كَسْكَر[٩] وفاكهـة الجبل والنَّقْل الهَشّ والرَّيْحان الغَضّ، عند من لا يَغِيض[١٠] مـالُه، ولا تنقـطِع مادّتُـه، وعند من لا يُبالي على أي قُـطْرَيه[١١] سقط مع فـوْت الحديث المُؤنِس والسَّماع الحسن؛ وعلى أنّي إن جلستُ في البيت أشربه لم يكن بُـدٌّ من واحد، وذلـك

(١) كراء الحَمال: أجرته.
(٢) الاستندفود: كلمة فارسية.
(٣) الشهرة: ظهور الشيء في شنعة.
(٤) الحُبّ: الجرة.
(٥) الأشنان: الحمض الذي تغسل به الأيدي.
(٦) نستخلف: أي يكون خلفاً لها؛ نستنتج.
(٧) الداذي: شراب الفُسَّاد، وهو الخمر، «فارسيٌّ معرّب».
(٨) السُّلاف: ما سال من عصير العنب قبل أن يعصر، وتسّمى الخمر سلافاً.
(٩) كسكر، تقدّم تعريفها «ص ٢٥٠» من هذا الجزء وهي مشهورة بالفراريج.
(١٠) يغيض ماله: ينقصي.
(١١) القطر: الناحية.

الواحدُ لا بُدَّ له من لحْمٍ بدرهم، ونَقْلٍ بَطسُّوج[١]، وريحانٍ بِقيراط[٢]، ومن أبْزَارٍ للقِدر وحَطَبٍ للوقود؛ وهذا كله غُرْم وشؤم وحِرمان وحُرفة[٣] وخروج من العادة الحسنة. فإن كان النديمُ غيرَ موافقٍ فأهلُ السجن أحسنُ حالاً مني، وإن كان موافِقاً فقد فتح اللهُ على ما لي به باباً من التَّلَف، لأنه حينئذ يسير في مالي كَسَيْرِي في مال غيري ممّن هو فوقي. فإذا علِم الصديقُ أن عندي دَاذِيّاً[٤] أو نبيذاً دَقّ على البابَ دقّ المُدِلّ، فإن حَجَبناه فَبلاء، وإن أدخلناه فشقاء. وإن بدا لي في استحسان حديثِ الناس كما يَستحسنه مني مَن أكون عنده، فقد شاركتُ المُسْرِفين، وفارقت إخواني الصالحين، وصِرتُ من إخوان الشياطين؛ واللهُ تقدّستْ أسماؤه يقول: ﴿إنَّ المبذِرينَ كَانُوا إخْوانَ الشَّيَاطِينِ﴾[٥]؛ فإذا صِرتُ كذلك فقد ذهب كسبي من مالِ غيري، وصار غيري يكتسب منِّي؛ وأنا لو ابتُلِيتُ بأحدهما لم أقُم به فكيف إذا ابتُليتُ بأن أُعطِي ولا آخذُ، وبأن أُوكِّل ولا آكُل! أعوذ بالله من الخِذْلان بعد العِصْمة، ومن الحَوْر بعد الكَوْر[٦]؛ ولو كان هذا في الحداثة كان أهون. هذا الدُّوشاب دسِيسٌ من الحُرفة، وكيدٌ من الشيطان، وخُدعةٌ من الحسود، وهو الحلاوة التي تُعقب المرارةَ. ما أخوَفني أن يكون أبو سليمان قد ملّني فهو يحتال لي الحِيلَ!.

وحُكِي عن الحارثيّ أنه قال: الوَحدة خيرٌ من جليس السوء، وجليسُ السوء خير من أكيل السوء؛ لأن كلّ أكيلٍ جليس وليس كل جليس أكيلاً؛ فإن

(١) الطسوج: ربع الدانق من الدرهم.
(٢) القيراط: نصف الدانق من الدرهم.
(٣) الحرفة: الحرمان.
(٤) الداذي: الخمر.
(٥) سورة الإسراء الآية ٢٧.
(٦) الحور: النقصان، والكور: الزّيادة.

كان لا بدّ من المُؤاكلة ولا بدّ من المشاركة فمع من لا يستأثر عليّ بالمخ، ولا ينتهز بيضة(١) البقيلة؛ ولا يلتقم كَبِدَ الدجـاج، ولا يبادر إلى دمـاغ السُّلَّاءة(٢)، ولا يختـطف كُلْية الجَـدْي، ولا يَزْدَرِد قـانِصة الكُـرْكِيّ(٣)، ولا يَنْتَزع شـاكِلةَ(٤) الحَمَل، ولا يبتلع سُرَّةَ السّمك، ولا يَعْرِض لعيون الرءوس، ولا يستـولى على صدور الدُّرَّاج(٥)، ولا يسابِق إلى أُسْقَاط الفِـراخ، ولا يتناول إلا مـا بين يديـه، ولا يلاحظ ما بين يدي غيره، ولا يَمتحِن الإخوانَ بالأمـور الثمينة، ولا ينتهـك أستـارَ الناس بـأن يشتهيَ مـا عسى ألّا يكـون مـوجـوداً؛ فكيف تصلُح الـدنيـا ويـطيب العيشُ بمن إذا رأى جَزُوريّـة(٦) التقط الأَكبادَ والأَسْنِمـة(٧)، وإذا عـاين بَقَرِيّةً استولى على العِراق(٨) والقِطْنة(٩)، وإن عاين بطنَ سمكةٍ اخترق كلَّ شيء فيه، وإن أتُوا بجنب شِوَاءِ اكتسح ما عليه، ولا يرحم ذا سِنٍّ لضعفه، ولا يَـرِقُّ على حَـدَثٍ لِحدّة شهـوته، ولا ينـظر للعِيـال، ولا يُبَـالي كيف دارت الحـال. وأشدُّ من كل ما وصفْنا أنّ الطبّاخ ربّما أتَى باللون الـظريف الطّريف، والعـادةُ في مثـل ذلك اللون أن يكـون لطيفَ الشخص صغيـرَ الحجم، فيقدِّمـه حـارّاً

---

(١) في الأصل: البيضة المقليّة، وفي كتاب البخـلاء للجاحظ بيضـة البقيله، وقد أوردهـا المحبّي في كتابه «مـا يعوّل عليـه في المضاف والمضـاف إليه فقـال: « بيضة البقيلة تـذكر في عيـون الأطعمة ولا نستحسن المبادرة إليها».

(٢) السلاءة: طائر أغير طويل الرجلين.

(٣) الكركي: طائرٌ يقرب من الإوز أبتر الذّنب رماديّ اللون في خدّه لمعـات سود يـأوي إلى الماء أحياناً.

(٤) الشاكلة: الخاصرة.

(٥) الدُّرّاج: طائر أصغر من الحجل ملوّن الرّيش.

(٦) الجزوريّة: الذبيحة، أو ضربٌ من الطعام ينسب إلى الجزور.

(٧) الأسمنة: جمع سنام وهو أعلى البعير.

(٨) العراق: ما دون السرّة من الحشا معترِضاً بالبطن.

(٩) القطنة: مثل الرّمّانة تكون على الكرش، وهي ذات الأطباق.

مُمْتنِعاً، وربما كان من جوهرٍ بَطيءِ الفُتور، وأصحابُنا في سهول ازْدِراد الحارّ عليهم في طبائع النَّعام، وأنا في شدّة الحارّ عليّ في طِباع السِّباع، فإن نظرتُ[1] إلى أن يُمكِن أَتَوْا على آخره، وإن أنا بادرتُ مخافةَ الفَوْتِ وأردتُ أن أشاركهم في بعضه لم آمَن ضررَه؛ والحارُّ بما قتل وربما أعْقَم وربما أبال الدم. قال: وعُوتِب على تركه إطعامَ الناس معه وهو يتخذ فيُكثِر، فقال: أنتم لهذا أتركُ مني، فإن زعمتم أنني أكثرُ مالاً وأعَدُّ عُدَّةً، فليس بين حالي وحالكم من التفاوت أن أُطْعِم أبداً وتأكلوا أبدا، فإذا أتَيتُم من أموالكم من البَذْل على قدْر احتمالكم، علمتُ أنكم الخيرَ أردتم، وإلى تزييني ذهبتم، وإلا فإنّكم إنّما تحلبُون حَلَباً لكم شَطْرُه[2].

قال: كان أبو ثُمامة أفطر ناساً وفتَح بابه فكثُر عليه الناسُ، فقال: إن الله لا يَستحي من الحقّ، وكُلّكم واجبُ الحق، ولو استطعنا أن نَعُمَّكم بالبِرّ كنتم فيه سواءً ولم يكن بعضكم أولى به من بعضٍ؛ كذلك أنتم إذا عجَزنا أو بدا لنا، فليس بعضُكم أحقَّ بالحرمان والاعتذار إليه من بعض، ومتى قرّبتُ بعضَكم وفتحتُ بابي لهم وباعَدتُ الآخرين، لم يكن في إدخال البعض عذرٌ، ولا في منع الآخرين حُجّة؛ فانصرَفوا ولم يعودوا.

قال: وكان محمد بن أبي المؤمَّل يقول: قاتل الله رجلاً كنّا نؤاكِلُهم، ما رأيتُ قَصْعةً رُفِعت من بين أيديهم إلا وفيها فضلٌ، وكانوا يعلمون أن إحضارَ

---

(١) نظرت: أي انتظرت.

(٢) شطره: نصفه.

الجَدْى إنما هو شيء من آيين[١] الموائد الرّفيعة، وإنما جعِل كالقافية وكالخاتمة وكالعلامة لليسر والفراغ، ولم يُحضَر للتفريق والتخريب، وأن أهلَه لو أرادوا به سوءاً لَقَدَّموه لتقع الحِدّة به؛ ولذلك قال أبو الحارث جُمَّيْز[٢] حين رآه لا يُمَسّ: هذا المدفوعُ عنه.

ولقد كانوا يَتحامَوْن بيضةَ البقيلة[٣]، ويدَعُها كلُّ واحدٍ لصاحبه، وأنتَ اليوم إذا أردت أن تُمَتِّع عينيك بنظرة واحدة منها ومن بيضة السُّلَّاءة[٤] لم تَقْدِر على ذلك.

وكان يقول: الآدام أعداءُ الخبز، وأعداها له المالح؛ فلولا أن الله أعان عليها بالماء وطلبِ آكِله له لأتى على الحَرْث والنّسل.

وكان يقول: ما بال الرجلِ إذا قال: آسْقِنِي ماءً أتاه بقُلّة على قدر الرِّيّ[٥] أو أصغر، وإذا قال؛ أَطْعِمْني شيئاً أو هات لفلان طعاماً، أتاه من الخبز بما يَفضُل عن الجماعة، والطعامُ والشّرابُ أخَوان. أمَا إنه لولا رُخص الماء وغلاء الخبز لما كَلِبوا[٦] على الخبز وزَهِدوا في الماء؛ والناسُ أشدّ شيءٍ تعظيماً للمأكول إذا كثرُ ثمنُه وكان قليلاً في مَنْبته وعُنْصره. هذا الجَزَر الصافي والباقِلاء الأخضر أطيب من كُمَّثْرَى خُرَاسانَ والمَوْز البُستاني، وهذ

(١) آيين: العادة.

(٢) في الأصل والبخلاء للجاحظ: جمين، وورد في القاموس وشرحه في مادة «ج م ن» «أبو الحارث جمين، كقبيط المديني، وهو صاحب النوادر والمزاح، والصواب بالزّي المعجمة في آخره، أنشد أبو بكر بن مقسم:

إنّ أبا الحارث جميزا قد أوتي الحكمة والميزا

(٣) بيضة البقيلة: هي من عيون الأطعمة ولا تستحسن المبادرة إليها.

(٤) السلاءة: ضرب من الطير أغبر طويل الرجلين.

(٥) الرِّي: الشراب الذي يرتوي منه الإنسان.

(٦) كلبوا: يقال: تكالبوا على الشيء: أي تزاحموا.

الباذِنْجان أطيب من الكَمْأة، ولكنهم لِقصرِ هِمَمهم وأذهانهم في التقليد والعادة لا يشتهون إلّا على قدر الثمن.

وكان يقول: لو شرِب الناسُ الماءَ على طعامهم لما اتَّخَمُوا. وذلك أن الرجل لا يَعرِف مِقدَار ما أكل حتى ينالَ من الماء شيئاً، لأنه ربما كان شبعان وهو لا يَدري. وفي قول الناس: ماءُ دِجلة أمرأ[١] من ماء الفُرات، وماء مِهْران[٢] أمرأ من ماء نهر بلَخْ[٣]؛ وفي قول العرب: هذا ماءٌ نَميرٌ يَصلحُ عليه المال دليلٌ على أن الماء يُمْرِىء؛ حتى قالوا: إن الماء الذي يكون عليه النَّفاطات[٤] أمرأ من الماء الذي تكون عليه القيّارات[٥]. فعليكم بشرب الماء على الغداء فإنّ ذلك أمرأ[٦].

قال وكان الثَّوْريّ يقول لعياله: لا تُلقوا نوى التمر والرُّطَب وتعوّدوا ابتلاعَه، فإن النوى يَعْقِد الشحمَ في البطن، ويُدْفِىء الكُلْيتَيْن بذلك الشّحم؛ واعتبروا ذلك ببطون الصَّفَايا[٧] وجميع ما يَعتلِف النَّوى. والله ما حملتم أنفسَكم على قضْم الشّعير واعتلافِ القَتّ[٨] لوجدتموها سريعة القَبُول، وقد يأكل الناسُ القَتّ قَدَّاحا[٩]، والشّعِيرَ فَرِيكاً[١٠]، ونوى البُسْر الأخضر[١١]، ونوى

(١) أمرأ: أسهل وأسوغ.
(٢) مهران: نهر عظيم بقدر دجلة تجري فيه السفن.
(٣) نهربلخ: هو نهر جيحون في فارس
(٤) النّفاطات: من النفط، وهو معروف.
(٥) القيّارات: من القار، وهو الزفت والقطران.
(٦) ما بين الأقواس زيادة عن البخلاء.
(٧) الصفايا: جمع صفى، والصفى: الناقة الغزيرة اللبن وتطلق كذلك على الشاة.
(٨) القتّ: حبّ برّيّ يأكله أهل البرّية عام القحط بعد دقة وطبخه.
(٩) قدّاحاً: رطباً قبل أن يجفّف.
(١٠) الفريك: الذي لم يصفر وينضج.
(١١) البسر: أوّله طلع ثم خَلال ثم بلح ثم بُسْر ثم رُطَب.

العَجْوة(١)؛ وإنما بَقِيتْ عليكم الآن عَقَبة؛ أنا أقدِر أن أبتلع النوى وأُعْلِفه الشَّاءَ، ولكن أقول هذا بالنظر لكم.

وكان يقول لهم: كلوا البَاقِلاء بقشوره، فإن الباقِلاء يقول: من أكلني بقشوري فقد أكلني، ومن لم يأكلني بقشوري فأنا آكلُه؛ فما حاجتكم إلى أن تصيروا طَعاماً لطعامكم، وأكلاً لما جُعِل أكلاً لكم.

قال: وحُمّ هو وعيالُه فلم يقدروا على أكل الخبز، فربح أقواتَهم في تلك الأيام؛ ففرِح وقال: لو كان في منزل سوقُ الأهواز ونَطَاة(٢) خَيْبر رجوْتُ أن أستفضِل في كلّ سنة مائةَ دينار.

قال: ودعا موسى بنُ جَنَاح جماعةً من جِيرانه ليَفْطُروا عنده في [شهر رمضان](٣)، فلما وُضعت المائدة أقبل عليهم ثم قال لهم: لا تَعْجَلوا، فإنّ العَجَلة من عمل الشيطان. ثم وقف وقفةً ثم قال: وكيف لا تَعْجَلون والله تعالى يقول: ﴿وَكَانَ الإنْسَانُ عَجُولاً﴾(٤). اسمعوا ما أقول لكم، فإن فيه حسن المؤاكلة والتبعُّد من الأَثَرة، والعاقبةَ الرشيدة، والسيرةَ المحمودة: إذا مدَّ أحدُكم يدَه ليستَقي ماءً فأمسكوا أيديَكم حتى يَفرُغ، فإنكم تجمعون عليه خصالاً: منها أنكم تَنغِّصون عليه في شربه، ومنها أنه إذا أراد اللَّحاق بكم فلَعلّه يتسرّع إلى لُقمةٍ حارّة فيموت، وأدنى ذلك أن تبعثوه على الحِرْص وعلى عِظَم اللُّقْم. ولهذا قال بعضهم وقد قيل له: لِمَ تبدأُ بأكل اللحم؟ قال: لأن اللّحمَ ظاعنٌ والثريد مقِيمٌ. وأنا وإن كان الطعام طعامي فإني كذلك أفعل؛

(١) العجوة: ضربٌ من أجود التّمر بالمدينة ونخلتها تسمّى لينةً.

(٢) يريد بسوق الأهواز: كورها وهي كثيرة الحمّى ووجوه أهلها مصفرّة مغبّرة ونطاة خيبر: قصبتها، وهي مشهورة بالحمّى أيضاً.

(٣) ما بين القوسين زيادة عن كتاب البخلاء للجاحظ.

(٤) سورة الإسراء الآية ١١.

فإذا رأيتم فعلي يخالف قولي فلا طاعةَ لي عليكم. وقال بعضهم: فربما نَسِي بعضُنا فمدَّ يدَه وصاحبه يشرب، فيقول له: يدَكَ يا ناسِي، ولولا شيءٌ لقلتُ لك: يا متغافِل.

قال: فأتانا بأُرُزَّةٍ[1] أحدُنا أن يَعُدّ حباتِها لعدّها، لتفرُّقها، وقِلّتِها، وهي مقدار نصف سُكَرَّجَة[2]؛ فوقعتْ في فمي قطعةٌ، وكنتُ إلى جنبه، فسمع صوتاً حين مَضغتُها، فقال: اجرُشْ يا أبا كعب.

قال: وكنا نسمع باللئيم الراضع، وهو الذي يرضَع الحَلَب فلا يحلبه في الإناء لئلاّ يُسمع صوتُ الحَلْب - وقال بعضهم: لئلا يضيعَ من اللبن شيءٌ - ثم رأيتُ أبا سعيد المَدائني قد صنع أعظمَ من ذلك: ارتضع من دَنّ خَلًّا حتى فَنِي ولم يخرج منه شيء.

قال: وكان الكِنْدِيّ لا يزال يقول للساكن من سُكّاننا - [وربما قال][3] للجار - إنّ في داري امرأةً بها حَبَلٌ، والوَحْمَى[4] ربما أسقطتْ من ريح القِدر الطيّبة، فإذا طبختم فرُدوا شهوتَها بغَرْفة أو بلَعْقة فإن النفسَ يردُّها اليسير، وإن لم تَفعل ذلك وأسقَطتْ فعليك غُرَّةٌ[5]: عبدٌ أو أَمَة.

وقال بعضهم: نزَلنا داراً بالكِرَاء للكِنْدِيّ على شروط، فكان في شَرْطه

---

(١) الأرزّة: من الأرزّ.
(٢) السُّكرجة: الصحفة.
(٣) ما بين القوسين تكملة عن كتاب البخلاء للجاحظ.
(٤) الوحمى: هي المرأة في أوائل الحمل.
(٥) الغرّة: البياض في وجه الفرس، والمراد بالغرّة هنا: العبد الأبيض أو الأمة البيضاء.

على السكّان أن يكون لـه رَوْثُ الدابّـة، وبَعَرُ الشـاة، ونِشْوَارُ[١] العَلُوقـة؛ وألاّ يُخرِجوا عَظْماً ولا يُخرِجوا كُنَاسة، وأن يكون له نَـوَى التمر، وقشـورُ الرمّـان، والغَرْفة من كـل قِدْر تُـطبَخ للحُبْلَى في بيتـه؛ وكان في ذلـك يَتنزَّل[٢] عليهم، فكانوا لِطيبه وإفراط بخله يحتملون ذلك.

وقـال دِعْبِل: أقمنـا يومـاً عند سَهْـل بن هارون، فـأطلنا الحـديث حتى اضطّره الجوعُ إلى أن دعا بغَدَائه، فأُتِي بَصحْفةٍ عُدْمُليّة[٣] فيها مَرَق لحمِ ديلٍ عاسٍ[٤] هَرِمٍ ليس قبلها ولا بعدها غيرُها، لا تُحَزّ[٥] فيه السكين، ولا تؤثّر فيـه الأضراس، فاطّلع في القَصْعة وقلَّب بصره فيها، فأخذ قطعة خبزٍ يابسٍ فقلَب بها جميع ما في الصفحة ففقد الرأسَ، فبقِي مُطرِقاً سـاعةً، ثم رفـع رأسه إلى الغلام وقال: أين الـرأس؟ قال: رميتُ بـه؛ قال: ولِمَ؟ قـال: ما ظننتُ أنـك تـأكله ولا تسأل عنـه[٦]! قال: ولأيّ شيءٍ ظننتَ ذلـك؟ فوالله إني لأمْقُت[٧] من يرمِي برجْلِهِ فيكف من يرمي برأسـه! والرأسُ رئيس، وفيـه الحواسّ الخمس، ومنه يصيح الديك، ولولا صوتُه ما أريد، وفيه عُرْفه الذي يُتبرّك به، وفيه عينـه التي يُضـرب بها المثـل فيقال: شـراب كعين الديـك[٨] ودِماغـه عجبٌ لوجـع الكُلْية، ولن ترى عـظماً قطُّ أهشّ من عـظم رأسه؛ فـإن كان من نُبْـلٍ أنك لا تأكله فإنّ عندنا من يأكله. أو ما علمتَ أنه خير من طَـرَفِ الجَنَاح ومن السـاق

(١) النشوار: ما يتبقى من علف الدابة.
(٢) يتنزّل عليهم: أي ينزل عليهم ويطرقهم.
(٣) العُدملية: القديمة.
(٤) العاسي: الذي أسنّ حتّى جفّ وصلب.
(٥) تحزّ: من الحزّ وهو القطع.
(٦) ما بين القوسين زيادة عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٤).
(٧) أمقت: أبغض.
(٨) دليلٌ على الصّفاء.

ومن العنق! . انظر أين هو. قال: لا والله لا أدري أين هو، رميتُ به؛ قال: لكني أدري أنّك رميت به في بطنك، واللهُ حَسْبُك.

وحُكي عن رجل أنه قال: مررت ببعض طُرُقَات الكوفة، فإذا رجل يُخاصِم جاراً له فقلت: ما بالُكما تختصمان؟ فقال أحدهما[1]: لا والله إلاّ أنّ صديقاً لي زارني فآشتهى عليّ رأساً، فاشتريتُه وتغدّينا به وأخذت عظامَه فوضعتُها على باب داري أتجمَّل بها[2] عند جيراني، فجاء هذا فأخذها وتركها على باب دارِه يُوهم أنه اشتراه.

قال: وتناول رجل من بين يدي أميرٍ من الأمراء بَيْضةً وهو معه، فقال: خذها فإنها بيضة العُقْر[3] ولم يأذن له بعد ذلك.

قال: وقُدِّمت مائدة لرجلٍ عليها أرغِفة على عدد الرءوس ورغيفٌ زائد يوضع على الصِّحَاف، فلما أنفد القوم خبزَهم التفت إلى رجلٍ إلى جانبه فقال: اِكْسِرْ هذا الرغيفَ وفرِّقْه بينهم، فتغافلَ، فأعاد عليه، فقال: يُبْتَلَى على يد غيري.

قال المدائنيّ: كان للمُغِيرة بن عبد الله الثَّقَفِيّ وهو على الكوفة جَدْيٌ يوضَع على مائدته بعد الطعام لا يَمَسُّه وهو ولا غيرُه، فقدِم أعرابيٌّ يوماً فأكل لحمَه وتَعرَّقَ[4] عِظامَه؛ فقال، يا هذا، أتطالب هذا البائسَ بذَحْل[5]؟! هل نطحتْك أُمُّه! قال: وأبيك إنك لشَفيق عليه! هل أرضعتْك أمّه! .

---

(١) ما بين القوسين زيادة عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٥).

(٢) أتجّمل بها: أفتخر وأتباهى.

(٣) بيضة العقر: بيضة يبيضها الدّيك مرّة وتحدة ثم لا يعود ويضرب مثلاً لمن يصنع الصنيعة ثم لا يعاودها.

(٤) تعرّق عظامه: أخذ ما عليها من لحم «تمشمش بها».

(٥) الذّحل: الثأر.

قـال المدائني : كـان لِزيـاد بن عبد الله الحـارثيّ جديٌ لا يَمَسُّـه أحد، فعشَّى في شهر رمضان قوماً فيهم أشعب، فعرَضَ أشعب يومـاً للجدي من بين القـوم، فقال زيـاد حين رُفِعت المائـدة : أَمَـا لأهـل السجن إمـامٌ يصلّي بهم؟ قالوا: لا ؛ قـال: فلْيُصَلِّ بهم أشعب؛ قـال أشعب: أَوَ غيرَ ذلـك أيها الأميـر؟ قال: وما هو؟ قال: لا آكل لحم جدي أبداً.

قـال: وكان المغيـرة بن عبد الله الثَّقَفيّ يـأكل وأصحـابَه تمـراً فـانـطفـأ السراج، وكانوا يُلْقونَ النَّـوَى في طَسْتٍ، فسُمِع صـوتُ نواتين ؛ فقـال: من ذا يلعب بالكعبتين؟[1].

قال الأعشى[2]: [طويل]

تبيتــون في المشتى مِـلاَءً بــطونكم وجــاراتكُم سُغْبٌ يَبِتْنَ خَمـائِصَــا[3]

وقال آخر[4] [بسيط]

وضيف عمـرٍو وعمرٌو سـاهـران معـاً فذاك من كِظَّةٍ والضيف من جـوعِ [5]

وقال آخر [بسيط]

وجيــرةٍ لا تَـرَى في النــاسِ مثلَهمُ إذا يــكــون لــهــم عِيــدٌ وإفــطارُ

إنْ يُـوقِـدوا يـوسِعـونـا من دُخـانِهمُ وليس يبـلُغُنـا مـا تُنْضِـج الـنـار

وقال سَمَاعةُ بن أَشْوَل: [طويل]

نــزلْنـا بسَـهْمٍ والسمـاءُ تـلُفُّنـا لَحَى اللهُ سَهْمـاً مـا أدقَّ وألأمَـا[6]

---

(١) الكعتين: الكعبة والكعب: العظم الذي تلعب به الصبيان.

(٢) الأعشى: هو ميمون بن قيس، قال هذا الشعر: يهجو علقمه بن علاثة.

(٣) السغب: الجوع، والخمائص: الجوعى.

(٤) هو بشّار بن برد كما في نهاية الأرب (ج ٣ ص ٣٢٠ ط أولى).

(٥) الكظّة: التخمة وامتلاء البطن.

(٦) سهم: إسم قبيلة، والسماء تلفّنا: كناية عن الليل.

فلما رأينا أنه عاتمُ القِرَى ... بخيلٌ ذكرنا ليلةَ الهَضْبِ كَرْدَمَا[١]
فقُمْنا وحَمَّلْنا على الأيْنِ والوَجَى ... جُلالا بأوصال الرَّديفَيْنِ مِرْجَمَا[٢]
يَدُقّ خراطِيمَ القِنَان كأنّما ... يدقّ بصَوّانِ الجَلاميدِ خَتْمَا[٣]
فَجئنا وقد باض الكَرَى في عيوننا ... فتىً من عيون المُعرِقين مسلَّما[٤]
تُنَاخُ إليه هَجْمَةٌ واتِكيّة ... رعتْ بالجِوَاء البَقْل حولاً مُجَرَّما[٥]
كأنّ بأَحْقِيها إذا ما تَنَغَّمتْ ... مَزَاداً سقا فيه المُزَوِّد مُعْصَما[٦]
فبات رفيقي بعد ما ساء ظَنُّه ... بمنزلةٍ من آخر الليل مُكْرَمَا
ولو أنها لم يدفعِ العِيسَ زمُّها ... رأى بعضها من بعض أَنْسائها دمَا[٧]

وقال حُمَيدُ الأرقط: [طويل]

ومُسْتَنْبِحٍ بعد الهدوء وقد جرتْ ... له حَرْجَفٌ نَكْبَاءُ والليلُ عاتمُ
رفعتُ له مخلوطةً فاهتدى بها ... يشبّ لها ضوءٌ من النار جاحمُ[٩]
فأطعمتُه حتى غدا وكأنما ... تنازعه في أَخْدَعَيْه المَحَاجِمُ[١٠]

---

(١) عاتم القرى: بطيء الضيافة، وليلة الهضب: ليلة المطر، وكنّى بالمطر عن الخير والكرم، وكردم: إسم علم.

(٢) الأين: الحين، والوجى: من الوج،م وهو السّرعة. الجلال: الجمل الضخم، والمِرجَم: المضطرم العدو.

(٣) الختم: الخزف بأنواعه.

(٤) المعرقين: ذوي الأصول الكريمة.

(٥) الهجمة: من الإبل: أوّلها الأربعون إلى ما زادت، والواتكيّة: والجواء: الواسع من الأدوية، والحول المجّرم: العام الكامل.

(٦) أحقّ: جمع حقو، وهو الخصر، المزاد. جمع مزادة وهي الراوية والقربة التي يستقى فيها، والمعصم: رباط القربة.

(٧) الأنساء: جمع نسأ، وهو عرق من الورك إلى الكعب.

(٨) الحرجف: الريح الباردة.

(٩) المخلوطة: كناية عن النار التي ترفع على شيء ليهتدى بضوئها.

(١٠) الأخدع: عرق في العنق، ينتفخ عند الغضب.

كَـزَمْهانَ يَفْـطُو المشيَ لو جُعِلتْ لـه ... رعـايا الحِمَى لم يلتفت وهـو قائمُ[١]

حـريصٌ على التسليم لـو يستـطيعـه ... فلم يستـطع لمـا غـدا وهـو عـائمُ[٢]

وقال الأعشى[٣]: [وافر]

إذا حـلَّتْ مـعـاويـةُ بـنُ عـمـرو ... على الأَطْـوَاءِ خنَّـقتِ الـكـلابَـا[٤]

وقال آخر[٥]: [طويل]

أيـا ابنـةَ عبـد الله وابنـةَ مـالـكٍ ... ويا ابنةَ ذي البُـرْدينِ والفرسِ الـوَرْدِ[٦]

إذا مـا عمِلتِ الـزادَ فـالتمِسي لـه ... أكِيـلًا فـإني غيـرُ آكِلهِ وَحْـدِي

بعيـداً قـصيّـاً أو قـريبـاً فـإنني ... أخـاف مذمّا الأحـاديثِ من بعدي

وكيف يُسِيـغُ الـمـرءُ زاداً وجـارُه ... خفيفُ المِعَى بادِي الخَصَاصةِ والجَهْدِ[٧]

ولَلْمـوت خيـرٌ من زيـارة بـاخـلٍ ... يُـلاحِظ أطرافَ الأكيـلِ على عمـدِ

وقال مُرَّةُ بن مَحْكانَ السَّعْدِي[٨]: [بسيط]

فقلتُ لمـا غَـدَوْا أُوصِي قعِيـدتَنـا ... غَـدِّي بَنيـكِ فلن تُلْفِيهمُ حِقَبَـا[٩]

أُدْعَى أبـاهم ولـم أُقْـرَفْ بـأُمِّهمُ ... وقد هَجَعتُ ولم أعرِف لهم نَسَبَا[١٠]

وقال حمّاد عَجْرد: [سريع]

---

(١) الزمهان: الحرّان، ويفطو: يسوق سوقاً شديداً.
(٢) العائم: السابح.
(٣) هو أعشى بني تغلب كما في كتاب الحيوان للجاحظ (ج ١ - ١٩٤).
(٤) الأطواء: من الطوى وهو الجوع.
(٥) هو حاتم الطائي يخاطب امرأته ماويّة بنت عبد الله.
(٦) ذو البردين: عامر بن أحيمر بن بهدلة، والفرس الورد.
(٧) يسيغ: يستمرىء، المعي: يعني الأمعاء، والخصاصة: الفقر.
(٨) مرّة بن محكان السعدي: هو من سعد بن زيد مناة بن تميم. من بطن يقال بنو رُبيع. قتله صاحب شُرط مصعب بن الزبير. ولا عقب له..
(٩) الحقب: السنين.
(١٠) أفرق: ألامس أو أقارب.

زرتُ امْـرأً فـي بـيـتـه مـرّةً ... لـه حـيـاءٌ ولـه خِـيـرُ[١]
يـكـرَه أن يُـتْـخِـمَ إخـوانـه ... إنّ أذى الـتُّـخْـمـةِ مـحـذور
ويَـشْـتَـهِـي أن يُـؤْجَـرُوا عـنـده ... بـالـصـومِ والـصـائـمُ مـأجـور

وقال بعض المُحدَثِين: [وافر]

أبـو نـوحٍ نـزلـتُ عـلـيـه يـومـاً ... فـغَـدَّانـي بـرائـحـة الـطعـامِ
وجـاء بـلحـمٍ لا شـيءٍ سـمـيـنٍ ... فـقـدَّمـه عـلى طـبـق الـكـلامِ
فـلمـا أن رفَعـتُ يـدي سفـانـي ... مـدامـاً بـعـد ذاك بـلا مـدامِ
فـكـان كـمـن سقـى الـظمـآن آلاً ... وكنتُ كمن تـغـدَّى في الـمنـامِ[٢]

وقال عُرْوةُ بن الوَرْد[٣]: [كامل]

إنّي آمـرُوؤٌ عـافِي إنـائِيَ شِـرْكـةٌ ... وأنت آمـرؤٌ عـافي إنـائِـك واحـدُ[٤]
أتـهـزأ منّـي أن سَمِـنتَ وأن تـرى ... بجسمِيَ مسَّ الحقِّ والحقُّ جـاهـدُ[٥]
أُقسِّم جسمِي في جسـومٍ كثيـرةٍ ... وأحسـو قَـرَاح المـاءِ والمـاءُ بـاردُ[٦]

باب القدور والجفان

ذكر الفرزدق عقبةَ بن جَبَّار المِنْقَرِي وقِدْرَه فقال [بسيط]

---

(١) الخير: الكرم.
(٢) الآل: السّراب.
(٣) هو عروة بن الورد بن زيد العبسي من غطفان، من شعراء الجاهلية وفرسانها وأجوادها. كان يلقب بعروة الصعاليك لجمعه إياهم.
(٤) عافي إنائي شركة: أي يأتيني من يشركني فيه، وأملأ إنائي حتى يفيضُ.
(٥) الحقّ جاهد: أي الحق متعب.
(٦) أحسو: أشرب، والماء القراح: الذي لا يشوبه شيء.

لـو أن قِدْراً بكت من طـولِ مَحْبَسِها على الحفـوفِ بكتْ قِدْرُ ابن جَبَّـا[١]
مـا مسَّهـا دَسَمٌ مُـذْ فُضَّ معدِنُهـا ولا رأت بعـد نـارِ القَينِ من نـارِ[٢]

وقال: [وافر]

كـأنّ تـطلُّعَ التَّـرْغِيب فيـهـا عَـذَارٍ يَـطَّلِعْـن إلـى عَـذَارِ[٣]

وقال الكُمَيت: [متقارب]

كـأنّ الـغُـطَامِطَ مـن غـلْيِـهـا أَراجيـزُ أَسْلَم تَـهجـو غِـفَـارَا[٤]

وقال آخر[٥]: [طويل]

وقِـدْرٍ كجَوْف الليـل أَحْمشتُ غليهَـا تـرى الفِيلَ فيهـا طافيـاً لم يُفَصَّلِ[٦]

وقال ابن الزَّبير يمدح أسماءَ بن خارِجة: [طويل]

تـرى البـازِنَ البُخْتِيَّ فـوقَ خِـوَانِـه مـقـطَّعـةً أعـضـاؤه ومَـفـاصِـلُهْ[٨]

وقال الرَّقَاشِيّ: [طويل]

---

(١) الحفوف: قلّة الدسم، وابن جيّار، هو عقبة بن جيّار مولى لبني حدان بن قريع.
(٢) القين: الحدّاد الذي يصنع القدور وغيرها.
(٣) التّرغيب: السّنام المقطع شطائب مستطيلة، والعَذَاري: جمع عذراء.
(٤) الغطامط: صوت الغليان، وتغطمطت القدر: اشتدّ غليانها وأسلم وغفار: اسمان لقبيلتين.
(٥) هو ميسرة أبو الدرداء كما في كتاب البخلاء للجاحظ (ص ٢٤٨ ط أوروبا).
(٦) أحمش القدر: أشبع وقودها.
(٧) هو عبد الله بن الزبير الأسدي كما في الأغاني (ج ١٣ ص ٣٥، ٤٢ ط بولاق).
(٨) البازل: ما طلع به من الإبل. والبختى من الإبل نسبة إلى بخت.

لنـا مـن عـطاء دَهْمَـاءُ جَـوْنَـةٌ ... تنـاولُ بعـد الأقـربين الأقـاصِيَـا[١]
جعلتُ أَلاَلاً والـرِّجَـامَ وطِـخْفَـةً ... لهـا فـاستَقلَّت فـوقهنَّ الأثـافِيا[٢]
مـؤدِّيـةً عـنّـا حـقـوقَ محـمـدٍ ... إذا مـا أتـانـا يـابسَ الجنبِ طـاوِيَـا
أتى ابنُ يسيـرٍ كـي يُنَـفِّسَ كَـرْبـه ... إذا لم يَـرُحْ وافى مع الصبحِ غاديَـا

فأجابه ابن يسير: [طويل]

وثَـرْمَـاءَ ثَلْمَـاءِ النَّواحي ولا يَـرى ... بهـا أحدٌ عَيْباً سِـوى ذاك بـاديَـا[٣]
إذا آنقاضَ منها بعضُهـا لم تَجِدْ لهـا ... رَءُوبـاً لمـا قـد كـان منهـا مُـدَانِيـا[٤]
وإن حـاولـوا أن يَشْعَبـوهـا فـإنهـا ... على الشَّعْبِ لا تَـزداد إلاّ تـداعيَـا[٥]
مُعَـوَّذة الإرْجَـالِ لم تُـوف مَرْقبـاً ... ولم تَمْتَطِ الجَـوْن الثلاثَ الأثافيا[٦]
ولا اجْتَـرَعتْ من نحـو مكـة شُقَّةً ... إلينـا ولا جـازت بهـا العِيسُ واديَـا[٧]
ولـكنّهـا في أصـلهـا مَـوْصِليَّـةٌ ... مجـاورةٌ فَيْضاً من البحـر جـاريَـا
أتَتْنـا تُـزَجِّيهـا المجاذيفُ نحـوَنـا ... وتُعقِب فيمـا بين ذاك المَـزَادِيـا[٨]

---

(١) الدهماء: القدر، والجونة: السّوداء.
(٢) آلالاً: جبل بعرفات، والرّجام: جبلٌ طويل أحمر نزل به جيش أبي بكرٍ الصّديق رضي الله عنه يريدون عُمان يـوم ردّة، وطخفة: اسم جبل والأثافي حجارة القـدر، والشاعـر يبالـغ هنا في عظم القِدر.
(٣) الثرماء: من كسرت ثنيتها، شبـه بها القـدر التي تكسّرت أطـرافها لكثـرة الاستعمال والثلماء: المكسورة النواحي.
(٤) انقاض: انشق، والرّءوب: من رأب الشيء أي جمعه ولحَمه.
(٥) يشعبوها: يجمعوها، وشعب الشيء فرّقة وجمعه وهو من الأضداد، والتداعي: التفرُّق.
(٦) المعوذة: الممنوعة، والإرجال: مصدر أرجله إذا جعله يمشي ولعلّه يريد أنّ هذه القدر لا تنقل لضخامتها، والجون الثلاث: حجارة الأثافي السّود من الدخان.
(٧) اجتزعت: قطعت، والعيس: الإبل.
(٨) تزجِّيها: تدفعها، والمزادي: جمع مزادة وهي الحفيرة يرمي بها الصبيان النّوى.

يقـول لِمَن هـذِي القـدور التي أرى تَهِيـلُ عليها الـرّيـحُ تُـرْبـاً وسـافِيـا[١]
فقـالـوا ولن يَخفى على كـلّ نـاظـرٍ قـدورُ رَقـاشٍ إن تـأمّـل دانـيَـا
فقلت متى بـاللحمِ عهـدُ قـدورِكُمْ فقـالـوا إذا مـا لم يَكُنَّ عـوارِيَـا[٢]
مِن أضْحَى إلى أضحى وإلاّ فـإنها تكـون بنَسْـج العنكبـوت كمُا هيـا
فلما استبان الجَهْدُ لي في وجوههم وشكـواهمُ أدخلتُهـمْ في عِيـاليَـا
يُنـادي ببعضٍ بعضُهم عنـد طلعتِي ألاَ أبْشِـروا هـذا اليَسِيـريُّ جائِيـا

وقال أبو نُوَاس: [طويل]

ودَهْمـاءَ تُثْفِيهـا رَقـاشٌ إذا شَتَتْ مُـرَكَّـبَـة الآذان أُمّ عِـيـالِ[٣]
يَغَصُّ بحَيْـزُومِ البَعـوضـة صـدرُهـا وتُنـزِلهـا عـفـواً بغيـر جِعَـالِ[٤]
لـو جئتَهـا مـلأى عَبِيـطاً مُجَـزَّلاً لأخـرجتَ مـا فيهـا بعـود خِـلالِ[٥]
هي القِدْرُ قِدْرُ الشيخِ بكرِ بن وائـلٍ رَبيعِ اليتامَى عامَ كلِّ هُزالِ[٦]

وقال أيضاً: [طويل]

رأيتُ قُدورَ الناسِ سُوداً من الصَّلَى وقِـدْرَ الرَّقـاشِيّين زَهْـراء كالبـدرِ[٧]
ولـو جئتَهـا مَـلأى عَبِيـطاً مُجَـزَّلاً لأخْرجتَ ما فيهـا على طَرَفِ الظُّفْرِ
يُثَبِّتُـهـا لـلمُـعْـتَـفـى بِـفـنـائـهـم ثـلاثٌ كحظّ الثـاء من نُقَط الحِبـرِ[٨]

---

(١) السافي: التراب الذي تسفوة الرّياح.
(٢) العواري: الأمانات، أي أن قدورهم يمكن أن تكون مستعارة.
(٣) الدّهماء: القدر السوداء، وتثفيها: تجعل لها أثافي، ورقاش: قبيلة.
(٤) الحيزوم: وسط الصدر، والجعال: خرقة تنزل بها القدر.
(٥) الغبيط: اللحم الطّري. والمجزّل: المقطّع.
(٦) ربيع اليتامى عام كلّ هزال: أي ملجأهم في أعوام القحل.
(٧) الصّلى: النار.
(٨) ثلاث كخط الثاء: كناية عن أثافي القدر.

تَــرُوح عــلى حَيّ الــرِّبــاب ودَارِمٍ ... وسَعْـدٍ وتعـروهـا قَـراضِبــةُ الفِـزْرِ(١)
ولِلْحَيِّ عَمْــرٍو نَفْحَـةٌ من سِجــالِهـا ... وتَغْلِبَ والبِيضِ اللَّهـامِيمِ من بَكْرِ(٢)
إذا مـا يُنـادَى بـالـرحيـلِ سَعَى بهـا ... أمــامَهُمُ الحَـوْليُّ من وَلَـدِ الــذَّرِّ(٣)

وقـال أبو عُبَيـدة: كان لعبـد الله بن جُـدْعـان جَفْنَـةَ يـأكـل منهـا القـائمُ والراكبُ. وذكر غيرهُ أنه وقع فيها صبيٌّ فغرِق.

وقال الأشعر(٤): [متقارب]

وأنــت مَــلِيــخٌ كلحم الحوار ... فــلا أنــتَ حُــلْوٌ ولا أنــت مُــرّ(٥)
وقــد عَـلِم الـضيـفُ والـطارِقــون ... بــأنّــك لــلضيــفِ جــوعٌ وقُــرّ(٦)

ســأل يحيى بن خالـد أبا الحـارث جُمَّيْزاً عن طعـام رجلٍ، فقـال: أمـا مـائدتـه فمقنة(٧) وأمـا صحافـه فمنقـورةٌ من حَبِّ الخَشْخَـاشِ، وبين الـرغيفِ والرغيف نقرة جـوزة(٨)، وبين اللونِ واللونِ فَتْرةُ نَبِيّ(٩). قـال: فمن يحضُرهـا؟ قال: الكِرام الكـاتِبون. قـال: فيأكـل معه أحـدٌ؟ قال: نعم، الـذُّباب. قـال: فلهذا ثوبُك مخرَّق ولا يَكْسُوك وأنتَ معه وبِفنائه؟! قـال أبو الحـارث: جُعِلتُ فِـداءَك، واللهِ لو مَلَك بيتـاً من بَغْدادَ إلى الكـوفـة مملوءاً إبـراً، في كـل إبـرةٍ

---

(١) القراضبة: اللصوص والفقراء.
(٢) اللهاميم: الشيوخ والسادة.
(٣) الحوليّ: ابن العام، والذّر: صغار النمل تجتمع على بقايا الطعام.
(٤) هو الأشعر الرقبان الشاعر. واسمه عمرو بن حارثة أسديّ جاهليّ، قال هذا الشعر يخاطب به رجلاً اسمه رضوان «انظر اللسان مادة مسخ».
(٥) المليخ: الذي لا طعم له، ولحم الحوار: لحم ولد الناقة حين ينزل من بطن أمّه.
(٦) الطارقون: الذين ينزلون البيوت ليلاً للضيافة، والقرّ: البرد.
(٧) المقنة: لعلّها، مقناة، أي لا تراها الشّمس.
(٨) نقرة جوزة: كناية عن صعوبة الحصول عليه.
(٩) فترة نبيّ: أي خمسماية سنة.

خيط، ثم جاءه جبريلُ وميكائيلُ معهما يعقـوبُ يَضْمَنان[1] عنـه إبر يَخِيَط بهـا قميصَ يوسف الذي قُدّ من دُبرٍ[2]، ما أعطاهم.

وقال بعضهم [بسيط]

ولـو عليك اتّكـالِي في الغِـذاء إذاً لكنتُ أوّلَ مـدفـونٍ من الـجـوعِ

سياسة الأبدان بما يصلحها من الطعام وغيره

قال الحجّاج لتيـاذوق[3] متطبِّبـه: صِف لِي صفةً آخُـذُ بها في نفسي ولا أعْدُوها، قال تياذوق: لا تَتَـزوّج من النساء إلاّ شـابّة، ولا تـأكل من اللحم إلا فَتِيّـا، ولا تأكله حتى يُنْعَم طَبْخـه، ولا تَشرَبَنّ دواءً إلا من عِلّةٍ، ولا تـأكل من الفاكهةِ إلا نَضيجَها، ولا تأكـل طعامـاً إلا أَجدْتَ مَضْغَـه، وكُلْ مـا أحببتَ من الـطعام واشربْ عليه، وإذا شَـربت فلا تـأكل عليـه شيئاً، ولا تحبِس الغـائطَ والبولَ، وإذا أكلتَ بالنهارِ فنَمْ، وإذا أكلتَ بالليل فتمشّ ولو مائة خُطْوةٍ.

رَوى عبد العزيز بن عِمْران عن الحُلَيْس بن حَيّان الأَشْجَعيّ قال حدّثني أبي عن شيوخ من أشْجَع قال: سألنـا يهودَ خَيْبَـر: بِم صَحَحْتُم بخيبر؟ قـالوا: بشـرب الخمـرِ، وأكـل الفُـوم، وسكـونِ اليَفـاعِ[4]، وتجنُّبِ بـطونِ الأودِيـة، والخروجِ من خيبر عند طلوع الفجرِ وسقوطه.

قال الحجّاج للحَكَم بن المُنْـذِر بن الجَارُود: أخبِـرني عن صفاء لـونك وغِلَظ قَصرتِك[5]، أشْرَبُ اللبن فهو منه؟ قال: لا؛ قال: ولم؟ قال: لأنـه مَنْتَنَةٌ

(١) يضمنان: يعهدان ويتكفّلان.

(٢) دبر: خلف.

(٣) تيا ذوق: طبيب مشهور في صدر الدولة الاسلامية اختصّ بالحجّاج.

(٤) اليفاع: المرتفع.

(٥) القصرة: أصلُ العنق إذا غلُظ.

مَنْفَخةٌ. قال: فما شرابُك؟ قال: نبيذ الدَّقَلِ[١] في الصيفِ ونبيذ العسلِ في الشتاء.

قال عبد الملكِ لأعرابي: إنك حَسَنُ الكِدْنةِ[٢]: قال: إني أُدْفِىء رِجْليَّ في الشتاءِ، وأُغْفِل غاشيةَ الغَمِّ[٣]، وآكُلُ عند الشهوة.

عن عليّ رضي الله عنه أنه قال: مَنِ ابتدأ غِذاءَه بالملح أذهَب الله عنه سبعين نوعاً من البلاء. ومن أكلَ كلَّ يومٍ سبعَ تمرات عَجْوةٍ قتلت كلَّ داء في بطنه. ومن أكل كلَّ يومٍ إحدى وعشرين زبيبةً حمراءَ لم يَرَ في بَدَنه شيئاً يكرَهُه. واللحم يُنبِتُ اللحم. والثريدُ طعام العرب. ولحمُ البَقَر داء[٤]، ولبَنُها شِفاء، وسَمْنها دَواء. والشَّحمُ يُخرجُ مِثْلَيْه من داءٍ. ولم يَسْتَشْفِ الناسُ بشيء أفضلَ من الرّطَبِ. والسَّمك يُذِيب الجسدَ، وقراءةُ القرآنِ[٥] والسواكُ يُذهِب البلغم. ومن أراد البقاءَ ـ ولا بقاءَ ـ فليُباكِرِ الغداءَ، وليُقَلِّل غِشْيانَ النّساء، ويخفِّفِ الرداء، وليَلْبَسِ الحِذاء. قيل: وما خِفّةُ الرّداء في البقاء؟ قال: قِلّة الدَّيْن.

قيل لرجل: إنك لَحسن السَّحْنة[٦]؛ فقال: آكُل لُبابَ البُرّ بِصغار المَعَزِ، وأدّهِنُ بِحام[٧] البنفسجِ، وألبَسُ الكَتّان.

---

(١) نبيذ الدّقل: نبيد مصنوع من الدّقل، وهو من أردأ التمر، وضرب من النخل صغير الجرم كبير النوى.

(٢) الكدنة: غلظ الجسم وكثرة اللّحم.

(٣) أغفل غاشية الغمّ: تحاشى كلّ ما يجلب الغمّ والهمّ.

(٤) الدّاء: المرض.

(٥) هكذا بالأصل، ولعلّه يتطبّب بالقرآن الذي فيه شفاءٌ للنّاس.

(٦) السَّحنة: الهيئة.

(٧) حام البنفسج: المراد به دهن البنفسج وهو زيته الذي يستخرج منه.

ويقال: ثلاثة أشياء تُورِثُ الهُزالَ: شربُ الماءِ على الـرِّيق، والنومُ على غير وِطَاءٍ[١]، وكثرةُ الكلام برفعِ الصوتِ.

ويقـال: أربَعُ خِصـالٍ يَهْدِمن العُمْـرَ وربما قَتَلْنَ: دخـولُ الحمّامِ على بِطْنةٍ، والمجامعة على الامتلاءِ، وأكل القَـدِيدِ[٢] الجَـافّ، وشربُ المـاء البارد على الرِّيقِ؛ وقيل: ومجامعة العجوزِ.

وفي الحدِيثِ: «ثـلاثةُ أشياءَ تُـورِث النِّسْيان أكـل التُّفّاحِ الحـامِض وسُؤْر الفأرة[٣] ونَبْذُ القملة[٤]. وفي حديث آخر والحِجامة في النُّقْرة[٥] والبَوْل في الماءِ الـراكِدِ».

ويقال: أربعة أشيـاء تَقْصِد إلى العقـلِ بالإفسـادِ: الإكثارُ من البصـل، والباقِلاءُ، والجِماع، والخُمَار.

وقال النَّظّام: ثلاثةُ أشياء تُخْلِق[٦] العقل وتُفسِـد الذِّهنَ: طـولُ النَّظر في المِرآةِ، والاستغراب في الضَّحكِ، ودوام النَّظرِ إلى البحر.

وكان يقال: عَشَاءُ الليلِ يُورِث العَشا[٧].

ويروى في الحديث: «تَرْكُ العَشاءِ مَهْرَمة». والعـرب تقول: تـركُ العَشاءِ يذهب بلحم الأَلْيتَيْنِ.

---

(١) الوطاء: الفراش.
(٢) القدّيد الجاف: اللّحم المقدّد.
(٣) الفأرة.
(٤) القملة.
(٥) النقرة.
(٦) تخلق.
(٧) العشا.

باب الحِمْيَة

قال الحارِث بن كَلَدَةَ طبيب العرب: الدواء هو الأَزْم. يعني الحِمْيَة.

قال آخر: الحِمية إحدى العِلّتيْنِ.

وقيل لجالِينوس: إنك تُقِلّ من الطّعامِ؛ قال: غرضي من الطّعامِ أن آكُلَ لأَحْيَا، وغرض غيري من الطعامِ أن يَحيا ليأكلَ.

وقال العَمِّيّ[١]: مَن احتَمَى فهو على يقِينٍ من المكروهِ، وفي شكٍّ مما يأمُلُ من العافِية.

وكان يقال: ليس الطبِيب من حمَى الملِكَ ومنَعه الشهواتِ، إنّما الطبيب من خلّاه وما يُريد وساس بدنَهُ[٢].

وقال بعض الشعراء: [طويل]

وَرُبَّتَ حزمٍ كان للسُّقْمِ عِلَّةً وعِلَّةُ بُرْءِ الداءِ خَبْطُ المُغَفَّلِ[٣]

ويقال: الحميةُ للصحيحِ ضارّة كما أنها للعليلِ نافعة.

وفي الحديث: أنّ رسول الله ﷺ رأى صُهَيْباً يأكل تمراً وبه رمَدٌ، فقال له: «أتأكل التمر وبك رمَد؛ فقال: يا رسول الله، إنما أمضُغ بهذه»[٤].

إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن جدّه قال: قال رسول الله ﷺ «لا تُكْرِهوا مَرْضاكم على الطّعام والشّراب فإن الله يُطعمهم ويَسقيهم».

---

(١) العمِّيّ: هو عُقبة بن مكْرم، أبو عبد الملك البصري الحافظ مات سنة أربعين ومائتين.

(٢) ساس بدنه: أي تحكّم في شهواته.

(٣) المعنى أن العلّة قد تأتي من العمل على تجنُّبها، وقد تبرأ عن غير قصد.

(٤) يريد أنّه يمضغ بناحيه العين التي لا رمد فيها.

باب شرب الدواء

قال عبد الله بن بكر السَّهْمِيّ: حدّثنا بعض أصحابنا يرفعه إلى النبيّ ﷺ قال: «من آستَقلّ[1] بدائه فلا يتداوَيَنّ، فإنّه رُبّ يُورث الداءَ».

وكانت الحكماء تقول: إياك وشربَ الدواء ما حَمَلتِ صِحّتك داءك.

وقالوا: مَثَلُ شُرْب الدواء مثل الصابون للثوب يُنْقِيه، ولكنه يُخلِقُه ويُبْليه.

عن يزيد بن الأصَمّ قال: لقيتُ طبيبَ كسرى شيخاً كبيراً قد أوثق حاجبيه بِخرْقة، وسألته عن دواء المَشْي[2]؛ قال: سهمٌ يُرمى به في جوفك أخطأ أو أصاب.

قال أبُقْراط: الدواءُ من فوقُ، والدواءُ من تحتُ، والدواءُ لا فوقُ ولا تحتُ. وفسّره المفسّر فقال: من كان داؤُه في بطنه فوق سُرّته سُقِي الدواء، ومن كان داؤه تحت سُرّته حُقِن، ومن لم يكن به داءٌ لا من فوقُ ولا من تحتُ لم يُسْقَ الدواء، فإن الدواء إذا لم يجد داءً يعمَل فيه وَجد الصحّة فعمِل فيها.

قال أبو اليَقْظان: كان عبد العُزّى بن عبد المُطّلِب[3] يشتكي عينَه وهو مطرِقٌ أبداً؛ وكان يقول: ما بِعيْنِي بأس، ولكن كان أخي الحارث إذا اشتكت عينُه يقول: اكحَلُوا عينَ عبد العُزّى معي فَيأمُرُ من يَكْحَلني معه لِيُرضيَه بذلك فأمْرَض عيني.

قال ابن أحمر[4] حين شُفِي بطنُه: [طويل]

(١) استقل: استهان واعتبر ان داءه بسيطاً.
(٢) المشي: جريان المعدة، والإسهال.
(٣) عبد العزّى: أبو لهب.
(٤) ابن أحمر: هو عمرو بن أحمد بن فرّاص بن معد بن أعصر الباهلي، وكان أعور، رماه رجل بسهم فذهبت عينه وعمرّ تسعين سنة وسقي بطنه فمات «راجع الشعر والشعراء ٢٣» دار الكتب

شـربتُ الشُّكَـاعَى وٱلتـددْتُ أَلِـدَّة   وأقْبلتُ أَفـواهَ العـروق المَكَـاوِيَـا[1]
شـرِبْنـا وداوَيْنـا ومـا كـان ضـارنـا   إذا الله حَمَّ المـرءَ أنْ لاَ تَـدَاوِيَـا

وفي الحـديث: «داوُوا مَرضـاكم بـالصّـدقـة وحصِّنـوا أمـوالَكم بـالـزَّكـاة وٱستقبلوا أنواعَ البلايا بالدعاء».

الحَدَثُ والحُقْنة والتُّخَمَة

عن وَهْب قـال قال لُقْمـان لابنه: إن طـول الجلوس على الخلاء يـرفـع الحرارةَ إلى الرأس، ويُورِث البـاسُـورَ وتَيْجَع[2] لـه الكبد؛ فـاجلس هُوَيْنَى وقم هويْنى. فكتبتُ حكمتَه على باب الحُشّ[3].

وكان يقال: إذا خـرج الطعـام قبل ستّ سـاعات فهـو مكروه، وإذا بَقِيَ أكثر من أربع وعشرين ساعة فهو مرض.

وكان أبو ذُفافَةَ البـاهليّ اشتكى، فأشـار عليه الأطبّـاء بالحُقْنـة فامتنـع؛ فأنشأ أعرابيّ يقول: [طويل]

لقـد سـرّني ـ واللهُ وقّـاك شَـرَّهـا ـ   نِـفَـارُك منـهـا إذْ أتـاك يقـودُهـا
كـفـى سَـوْءَةً ألاّ تَـزالَ مُـجَـبِّـيـاً   عَلى شَكْوَةٍ وَفْرَاءَ في ٱسْتِكَ عُودُها[4]

وأشاروا على عُبَيْد الله بن زِياد بالحُقْنة فتفحّشها؛ فقـالوا: إنمـا يتولاّهـا منك الطبيبُ؛ فقال: أنا بالصاحب آنسُ.

---

(١) الشُّكـاعي: من دقّ النبات، وهي دقيقـة العيدان صغيـرة خضراء يتـداوى بها النّـاس والتددت ألدّة: من قولهم التـدّ الرجـل إذا ابتلع اللدود وهو مـا سقي في أحد شقّي الفم، جمعُـهُ ألده، وأقبل المكواة الداء: جعلها قبالته.

(٢) الباسور: مرضٌ معروف، وتيجع: من وجع يوجع بقلب الواو ياء، إذا مرض وتألم.

(٣) الحش: البستان، ويكنّى به عن بيت الخلاء.

(٤) مجبّياً: منكبّاً على وجهه، والشّكوة: وعاء من جلد ووفراء: ملأى.

قال المَدائنيّ: سأل الحجّاجُ جلساءَه: ما أذهبُ الأشياءِ للإعياء؟ فقال بعضهم: أكْل التَّمْر، وقال بعضهم: الحمام، وقال بعضهم: التَّمْريخ[1].

وقال فَيْروز: أذهبُ الأشياءِ للإعياء قَضاء الحاجة.

وحدّثني بعضُ الأطِبّاء أن رجلاً شَرِب خَبَثَ الحديد المعجونَ فبَقِي في جوفه، فاشتدّ عليه وجعُه؛ فسُحِقَتْ له قِطْعةٌ من المغناطيس وسُقِي إيّاه، فتعلّق بالخَبَث وخرج مع الغائط.

قال: وقال تياذوق طبيب الحجّاج للحجّاج: إن اللّحم على اللحم يقتل السِّباع في البَرِّية. ثم قال لي جعفر: قالت جارية لنا: كان لي ظبيٌّ فمرّ بعجينٍ قد هُيِّءَ للخُشْكنان[2]، فأكل منه فحَفَس - والحَفْسُ: الحَبَطُ وانتفاخ البطن - فسُلِخ فوُجد قد شَرِق بالدم. وقال يونس (طبيب لنا): هكذا يُصاب الإنسان إذا بَشِمَ[3].

الأصمعيّ: قال بعض الأعراب: اللّهمّ إني أسألك مِيتةً كمِيتةِ أبي خارِجة، وأكل بَذَجاً[4]، وشَرِب مُعَسَّلاً[5]، ونام في الشمس، فَلقِي اللهَ شبعانَ ريَّان دَفْآن.

وقال آخر من الأعراب: اللهم اجعلِ التُّخَمة دائي وداءَ عيالي.

قال ابن شَبَابَةَ مولى بني أسد: من بال ولم يَضْرِط كُتِبت اسْتُه من الكاظمين الغيظ.

---

(١) التمريخ: التدهين.

(٢) الخشكنان: الخبز الجاف، أو هو ضربٌ من الحلوى (فارسيّة).

(٣) البشم: التخمة.

(٤) البذخ: الحَمَل.

(٥) المعسّل: شراب مصنوع من العسل.

باب القيء

عن جعفر بن سليمان أنّه قال لإنسان أكول يَقِيء إذا أكل: لا تفعل، فإن المَعِدة تَضْفِر[١] إلى القَيْء كما تَضْفِرُ الدّابّة إلى العَلَف، فلا يُنْضج الطعامُ.

وأُخِذ مُزَبِّد شارباً فاسْتُنْكِه[٢]، فأُتِي به الواليَ فاستَنْكهوه، فقالوا نَكْهَتُه لا تُنْبِيء عنه، قال مزبّد: إن لم أقِيءْ نبيذاً فمن يضمن لي عَشاءٍ.

رُئي الجمّال يأكل فقيل له: ما تأكل؟ قال: قَيء كَلب في قِحفْ[٣] خنزير.

النَّكْهَةُ

سُئِل تياذوق عن البَخر[٤] فقال: دواؤه الزبيب يُعجن بسَعْتر ثم يُؤْكل أسبوعين أو ثلاثة. فجُرِّب فذَهَب.

وتقول الروم في الكَرَفْس[٦]: إنه يُطيّب الفم ويُذهب البخر؛ ويحتاج إلى أكله من يشاهد السلطان ومحافلَ الناس وكان أكثرُ كلامه السِّرارَ[٧].

قالت الأطباء: الجَزَر المشويّ والخبز المَقْلُوّ بالزيت أو بالسمن إذا مُضِغ ورُمِي بثُفْلِه قاطعٌ لرائحة البصل من الفم. والفُوم إن أكله آكلٌ فأحبّ أن يقطع رائحته مضَغ ورقَ الزيتون الطّريّ وتمضمض[٩] بعده بالخَلّ.

(١) تضفر: تثب.
(٢) استنكه: شمّت رائحة فمه.
(٣) القحف: جمجمة الرأس.
(٤) البخر: رائحة الفمّ الكريهة.
(٥) السَّعتر: نبت طيّب الرائحة «الصعبر».
(٦) الكرفس: نوع معروف من البقول.
(٧) السِّرار: المسارّة، أي الكلام الذي يهمس في الأذن.
(٨) الثفل: ما سفل من كلّ وهو خثارته.
(٩) تمضمض: جعل الخلّ في فمه وحرّكه دون أن يدخله جوفه.

والسُّعْد[١] قاطع لرائحة النبيذ من الفم. وحَبّ الأُتْرُجّ[٢] مطَيِّب للنَّكْهة. والبَخَر لا يكاد يكون في الملاّحين لأكلهم المُلاّح[٣].

وقرأت في الآيين[٤]: أن رئيس الحرم أمر جواريَ الملك ألاّ يأكُلْن الثُّوم والبصل والكرّاث واللُّفّاح[٥] والحِمَّص الرّطْب والمشمش؛ فإنه يُورِث البخر.

باب المياه والأَشْرِبة

قالت الأطِبّاءُ: معرفة خِفّة الماء بأن يكون سريعَ الغَلَيان ويكونَ سريعَ البَرْد. وأحْمَد المياه ما كان قِبالَةَ المشرق ومجراه مجرى الشمال ومرورُه على الطين الأحمر وعلى الرمل. قالوا: وممّا يُصَفّي من الماء الكَدَرَ فيصفو سريعاً أن يُلقَى فيه قِطَعٌ من خشب السَّاج[٦] أو قطعٌ من آجُرٍّ جديدٍ.

قال بعض المُحْدَثين: [مخلع البسيط]

يمنع امَّه بالشِّمال ... وماؤها البارد الزّلال
يصيح فيها وقايتونا ... يجري به الثلج في مثال[٧]

(١) السُّعد: نبات له أصل تحت الأرض أسود طيّب الرائحة.
(٢) الأترج: شجر وثمر من جنس الليّمون تسمية العامة (الكبّاد).
(٣) الملاّح: ضربٌ من نبات الحمض، أو حمضة مثل القلاّم فيه حمرة.
(٤) الآيين: كتاب العادة والقانون، كلمة فارسية.
(٥) اللُّفّاح: نبات يقطيني أصفر شبيه بالباذنجان.
(٦) السَّاج: شجرٌ يعظم جدّاً لا ينبت إلا ببلاد الهند، خشبة أسود رزين لا تكاد الأرضُ تُبليه.
(٧) كذا بالأصل، ولم نعثر على هذين البيتين ولم نوفّق إلى تصويبهما.

وقال صاحب الفِلاحة: من أراد أن يَعْـذُبَ له المـاءُ الزُّعَـاقُ(١) جعله في قِـدْر جديـدة من خـزَف وغـطَّى فـاهـا بـأسحـال(٢) ثم أوقـد تحتهـا حتى تَغلي ويحصل فيها نصفُ ذلك الماء ثم صفّاه وتركه، فإنه يَجِده شَرُوباً(٣).

وقالوا: ماء دِجْلة يَقْطَع شهوةَ الرجال ويذهبُ بصهيلِ الخيل ونشـاطها، ومن لم يـأكل الـدسم عليه انحـلّ عظمُـه ويَبِسَ جِلْدُه، وهـو مـع هـذا أهْضَمُ للطعام من غيره من المياه وأسْرَعُها برداً.

قـال: والنِّيل يستقبِـل الشَّمال وينصُبُ في وقت زيـادة الأودية ويـزيد في وقت نقصـانها. وزيـادة أوّله وآخـره معها؛ ولا تكـون التماسيحُ إلا فيه؛ قـال الشاعر [بسيط]

أضمــرتُ للنّيــل هِجْــرانـاً ومَقْلِيــةً ... إذْ قيل لي إنّما التمسـاح في النيلِ(٤)

فمن رأى النيــل رأياًالعيـن من كَـثَبٍ ... فمـا أرى النيـل إلا في البــواقيـلِ(٥)

والسَّقَنْقُور(٦) أيضاً لا يخرج إلا منه.

ورُوى في الحـديث عن الضحّاك بن مُـزَاحِم أنه قـال قَذَف الفُـرات في

---

(١) الزّعاق: المرّ الغليظ.

(٢) الأسحال: جمع سحل وهو الخرقة البيضاء.

(٣) الشّروب: الصالح للشرب مع بعض كراهة.

(٤) مقليةً: من القلى وهو البغض.

(٥) البواقيل: كبنران يشرب بها أهل مصر.

(٦) السّقنقور: صنف يتوالد من السّمك والتمساح، فلا يشاكل السمك لأنّ له يـدين ورجلين، ولا يشاكل التمساح لأنّ ذنبه أجرد أملس عريض غير مضرّس، وذكره ابن البيطار، فقال: هو شديد الشبه بالورك، يوجد بالرّمال التي تلي نيـل مصر في نـواحي صعيدهـا وهو ممّـا يسعى في البرّ ويدخل الماء.

المَدِّ رُمَّانةً كأنّها البعير البارك، وتحدّث أهلُ الكتاب أنها من الجَنَّة[1].

وقال ابن ماسويه: ينبغي للماء الغليظ الذي ليس يَعذُب أن يُطْبَخ حتى يَذْهب منه نِصفُه، ثم يُطْرَح فيه السَّوِيقُ أو الطينُ الأحمرُ فإنه يلطِّفه ويُذهب غائلتَهُ[2] ويُعْذِبه ويمنع كدَرَه.

قالت الأطباء: الفُقَّاع[3] المُتَّخَذُ من دقيق الشعير نافع من الجُذَام[4]. والجُلَّابُ[5] قاطع لكثرة دم الحيض، والسَّكَنْجَبِين[6] نافع من الذُّبْحة إذا كانت من حرارة، يُشرب ويُتَغَرْغَرُ به.

باب اللُّحمان وما شاكلها

قالت الأطباء: لحمُ الماعز يُورث الهمَّ، ويُحرّك السوداءَ[7]، ويُورث النسيانَ، ويَخْبُل الأولاد[8]، ويُفْسد الدم؛ وهو ضارٌّ لمن سكن البلادَ الباردةَ. وأَحْمَدُ اللُّحْمانِ ما خُصِيَ من المَعَز. والضأنُ نافع من المِرَّة السَّوْداء، إلا أن المَمْرورين الذين يُصْرَعون، إذا أكلوا لحمَ الضأن اشتدّ بهم ذلك حتى يُصْرَعوا في غير أوانِ الصَّرْع. وأوانُ الصَّرْع الأهِلَّةُ وأنصافُ الشهور.

(١) الجنّة: أي أنّها من ثمار الجنّة.
(٢) غائلته: أذاه.
(٣) الفقّاع: شرابٌ يُتخذ من الشّعير، سمّي بذلك لما يعلوه من الزّبد.
(٤) الجذام: داءٌ يسبّب تآكل أعضاء الجسم وسقوطها.
(٥) الجلّاب: العسل أو السُّكر، عقد بوزنه أو أكثر من ماء الورد.
(٦) السّكنجين: شرابٌ من خلٍّ وعسل، ويراد به كلُّ حلوٍ وحامض معاً.
(٧) السّوداء: خلطٌ من أخلاط البدن.
(٨) يخبل الأولاد: يفسد عقولهم.

قال الشاعر[١]: [وافر]

كأنّ القومَ عُشُّوا لحمَ ضأنٍ فهم نَعِجون قد مالت طُلاَهم[٢]

قالوا: واللحم أقلّ الطعام نَجْواً[٣]. ولحم الدَّجاج الهَرِم شرُّ اللُّحمْان وأغلظُها.

والبيْضُ إن سُلِق بالخَلِّ ثم أُكِل بالسُّمَّاق[٤] وحبّ الرمّان المُفَلَّق والملح والمُرِّيّ عقلَ الطبيعةَ.

والزّبْدُ إن طُلِي على منابت أسنان الطفل كان مُعِيْناً على نباتها وطلوعها، والمخُّ والدِّمَاغ يفعلان ذلك.

مَضارُّ الأطعمة ومنافعها

الكَمْأة[٦] والفُطْر[٧] ـ عن أبي هريرة أنّ النبيّ ﷺ خرج عليهم وهم يذكرون الكَمْأةَ وبعضُهم يقول جُدَرِيّ[٨] الأرض، فقال: «الكَمْأةُ من المَنِّ[٩] وماؤها شِفَاءُ للعينِ والعَجْوةُ من الجنّةِ وهي شِفاء من السُّقَمْ».

---

(١) هو غيلان بن عقبة العدويّ المعروف بذي الرّمة.

(٢) نعجون: ثقل أكل لحم الضأن على قلوبهم، وطلاهم: أعناقهم، أي أن أكل اللحم أثقل عليهم فمالوا إلى النوم.

(٣) النجو: الغائط.

(٤) السُّماق: نبات معروف.

(٥) المرّي: يعمل عمل الملح إلّا أنّه أقوى منه.

(٦) الكمأة: من الكمة وهو نبات مستديرة كالقلقاس يوجد في الربيع تحت الأرض مرّ ذكره من قبل.

(٧) الفُطر: ضربٌ من الكمأة قتّال.

(٨) جدريُّ الأرض: شبّهت الكمأة بمرض الجدريّ لأنها تظهر من باطن الأرض، كما يظهر من باطن الجلد.

(٩) المنّ: وهو الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على بني إسرائيل رزقاً لهم.

الأصمعيّ عن بعض مشايخه قال: ثلاثة أشياءَ رُبَّما صرَعت أهـل البيت عن آخرهم: الجرادُ، ولحوم الإبل، والفُطْر.

وتقول الأطبّاء: إنّ أرْدَأَ الفُطْرِ ما نَبت تحت ظلال الشجر، وأرْدأه كلّه ما كان في ظلّ شجر الزيتون فإنّه قتّال.

قالوا: والكُمَّثْرَي إذا طُبخ مع الفُطْر أذهب ضررَه.

قالوا: والفُطْرُ يُورِث الذُّبْحَةَ[1].

قدِم أعرابيٌّ المِصْرَ فأكل فُطْراً، فـأصابتْـه ذُبْحةٌ، فقيـل له: إن الـطبيب بعث أن يُحْلَب في فيك، فقال: مـا زلت أسمع بـاللئيم الرَّاضِـع[2] ولا والله لا أكونه؛ قالوا: فتموت إذاً؛ قال: وإن متُّ.

وتقول الأطباء: إنْ أكل آكِلُ الفُطْرَ فأَضرَّ به، سُقِي الكُـرُنُبَ[3] المعصورَ وسُقِي من خُرْء الدَّجاج وزنَ درهمين مع خَلّ وعسلٍ مطبوخ وقُيِّءَ به.

قالوا: والكَمْأَة تُورِث وجع القُولَنْج[4] والسَّكْتَةَ والفالِجَ ووجَع المَعِدة.

قالوا: والذباب لا يَقْرَب قِدْراً فيه كمأةٌ.

ومن أراد اتخـاذَ الكمأةِ اليـابسةِ جعلهـا في الـطين الحرِّ يـومـاً وليلةً ثم غسلها واستعملها.

بلغني عن فتىً من أهـل الكتـاب أنـه قـال: كنـا في طـريق مكّـة بالخُزَيْمِيَّة[5]، فأتانا أعرابيٌّ بكمأةٍ في كِساءٍ قَدْرَ ما أطاق، فقلنا: بِكَم الكمأةُ؟

---

(١) الذّبحة: داء يأخذ في الحلق وربّما قتل.

(٢) اللئيم الراضع: هو الذي يرضع الحلب فلا يحلبه في الإناء لئلا يسمع صوت الحلب، أو لئلاّ يضيع شيء منه.

(٣) الكرنب: نبات يشبه ورقه ورق الملفوف، أو هو الملفوف.

(٤) القولنج: مرضٌ معوي مؤلم يعسر معه خروج الثفل والرّيح.

(٥) الخريميّة: منزل من منازل الحاج بعد الثعلبيّة بالكوفة وقبل الأجفر.

قال: بدرهمَيْن، فاشتريناها منه ودفعنا الثمنَ إليه، فلما نهَض قـال له بعضُنـا: «في اسْتِ المَغْبُون عودٌ»[1]؛ قال: بل عودان، وضرب الأرضَ برجله، فإذا نحن على الكمأة.

قال بعض الشعراء: [رجز]

جَنَيْتُـهـا تـمـلأ كـفَّ الـجـانـي سـوداءَ ممّـا قـد سَقَى السَّـوانِي[2]

كـأنَّـهـا مـدهـونـةٌ بـالـبـانِ[3]

وهذه صفة أجود الكمأة وأقلّها أذىً.

البصل والثُّوم

دخل داخِلٌ على نَصْر بن سيَّار وحوله بُنُونَ له صِغارٌ، فقال: هل تَدرُونَ ما ولدي هؤلاء؟ هؤلاء بنو البصل؛ وكان يأكله نِيئاً ومشوِيّاً ومطبوخاً.

والأطِبّاء تقول في البصل: إنه يشهِّي إلى الطعام إن أُكِل مشويّـاً أو نِيئاً، ويشهِّي إلى الجِماع. وإن دُقّ وشُمّ عَطّس وشَهَّى الـطعامَ. وإنِ اكتُحِـل بمائـه مـع العسل جَـلا البصرَ. وإنْ وُضـع مع الملح والسَّـذابِ[4] على عَضَّة الكَلْبِ الذي ليس بكَلِبٍ نَفَع. والإكثـارُ منه يُفسـد العقلَ. والمسلوقُ منـه يُدِرّ البـولَ والدّمعةَ.

العصـافير إن أُكِلتْ بـالزَّنْجبيـل والبصل هَيّجت شهـوةَ الجِماع وأكثـرتِ المَنِيّ.

---

(١) مثل يضرب لمن غبن.

(٢) السّواني: جمع سانية وهو ما يُسقى عليه الزّرع والحيوان.

(٣) البان: شجرٌ يسمو ويطول، شديد الخضرة، منه يستخرج دهن البان.

(٤) السذّاب: بقلٌ يفرّع فروعاً تطلع من ساقٍ له قصيـرة تتشعب عليه شُعَبٌ مثـل الأغصان، ورده أصفر، يستعمل في الطبّ.

عن طارق بن شِهاب قال: بعث سُليمان النبيّ عليه السلام بعضَ عفاريته وبعث معه رجلاً وقال: رُدَّه إليّ وانظرْ إلى صنيعه. فمرّ على أهل بيتٍ يبكون فضحِك، ودخل إلى السوق ونظر إلى الناس فرفع رأسَه إلى السماء وهَزّه، ونظر إلى الثُّوم وهو يُكال كيلاً والفُلْفُلِ وهو يُوزَن وزناً، فضحك. فلما ردّه إلى سليمانَ عليه السلامُ وأخبره بما جرى منه، قال: لِمَ ضحِكتَ من أهل البيت؟ ولِمَ هَزَزْتَ رأسك حين نظرتَ إلى السوق؟ ولِمَ ضحكتَ من الثُّوم والفُلفل؟ قال: أمّا أهلُ البيت فإنّ الله أدخل مَيِّتَهم الجنَّةَ وهم يَبكون عليه؛ ونظرت إلى الناس في السُّوق والملائكةُ من فوق رُؤوسهم، والناسُ يُمْلُون والملائكةُ سِراعاً يكتبون، فهززتُ رأسي؛ ونظرتُ إلى الثُّوم وهو شِفاءٌ يُكال كيلاً، وإلى الفلفل وهو داءٌ يوزن وزناً. وعن وَهْبٍ[1]: أنّ سليمان عليه السلام قال: مم كنتَ تضحك؟ قال إنّي مررت برجل يشتري خُفَّين ويقول لصاحبهما: شَرْطي عليك أنْ ألبَسهما عشرَ سنين لا يتخرّقان[2]؛ فعَجِبتُ كيف شَرَط أملَه ونسي أجلَه. ومررت بعجوزٍ دُهْرِيّة[3] تَتَكهّن وتُخبر الناسَ بما لا يعلمون، والّذي سَخَّر لك الريحَ وأذلّ لك الجِنّ وعَبّد الشياطينَ إنّي لأعلم في بيتها تحت فِراشها مطمورة[4] فيها قناطيرُ من ذهب وفضّةٍ وهي لا تدري ما تحتها، وقد ماتت هَزْلاً[5] وجوعاً وحاجةً. ومررتُ بأُخْرَى دُهْرِيّةٍ تتطبَّب وكان بها مرّةً داءٌ، فأكلتِ البصل فصادفتْ منه بُرءاً، فظنَّت أنه حَسَم داءَها وشفاها، فهي تَصِفُه للناس من كل داء، وقد كانت في ظهرها ريحٌ حُبِستْ منذ زمانٍ

(١) وهب: هو وهب بن منبّه مرّ ذكره.
(٢) يتخرّقان: من تخرّق الثوب أي تمزّق وبلي.
(٣) الدُّهريّة: التي أتى عليها الدهر وطال عمرها.
(٤) المطمورة: الحفيرة تحت الأرض.
(٥) الهزل: الضعف.

فأكلتِ الثُّوم أحداً وعشرين يوماً فشُفِيت منه؛ فعَجِبتُ لها كيف تَدَعُ أن تَصِفه ومررت برجلٍ على شاطىء نهر يستقي منه في قُلّة لـه ومعه بغلة، فلمـا سقى البغلة ملأ القلّة وربَط البغلة بـأُذن القُلّة وذهب لِبعض حاجتـه، فنَفَـرتِ البغلةُ وكسرت القلة؛ فجعل يلعن الشيـطان، وبرّأ عقلَه ونسِي فعلَه. ومـررتُ بقومٍ يذكرون آلله فاجتهدوا ونَصِبوا[1] وابتهلوا، فلما أظَلّت الـرحمةُ مَلّة رجـل منهم فقام، وجاء آخر لم يَنصَبْ معهم فجلس مجلِسه، فنزلت الرحمـةُ فدخـل فيها معهم وحُرِمَها الأوّلُ؛ فعَجِبتُ من سعادة هذا وشقاوة هذا.

وتقول الأطِبّاء: إنّ الثُّوم إذا شُوِيَ بـالنار ووُضِـع على الضِّرس المـأكول ودُلِكتْ به الأسنان التي يَعْرِض فيها الوجع من الرطوبة والريح، أذهب ما فيهـا بإذن الله من الوجع.

قال: وهو ينفع من العَطَش الحادث من البلغم، ويقوم مقام التِّرْيـاق في لَسْع الهوامِّ، والأمراضِ الباردة.

وتقول الرومُ في الثُّوم: إنه دواء لمن أصـابه وجَـعُ السَّقْيِ[2] في بطنـه. وإن أكَلَهُ مَنْ ظهـر فيه حَـرَّةٌ[3] من شَرىً[4] أو غيـره أبرأه. وإن دُقَّ الثُّـوم يابسـاً فأُغْلي بسَمْنٍ ولبن ثم جَعَله مَن يشتكي ضِرسَه في فيه سُخْنـاً فأمسَكـه ساعـة، ذهب وجَعُ ضرسه؛ وهو نافع لمن أجتوى[5].

---

(١) نصبوا: من النصب، وهو التعب.

(٢) السّقي: ماء أصفر يقع في البطن، وهو المعروف في الطب بالاستسقاء أو الصّفار.

(٣) الحرّة: الألم أو الحكاك.

(٤) الشّرى: بثور حمراء تظهر في الجلد مثيرة للحكاك.

(٥) اجتوى: من الجوى، وهو داء السّلّ، أو داء يأخذ في الصدر، أو كلّ داء يأخذ في البـاطن ولا يستمر معه طعام.

الكرّاث

قالت الأطباء: الكُرّاث النَّبَطِيّ إذا أُدمِن كانت فيه أحلامٌ رديئة، وولّد بُخاراً في الرأس رديئاً. وإن صُبّ في مائه خلٌّ ودُقَاق كُنْدُر[1] واسْتُعِطَ[2] به سَكَّن الصُّدَاع. وإن سُلِق أو طُحِن وأُكِلَ أو ضُمِّد به البواسيرُ العارضةُ من الرطوبة نفَع منها.

وماءُ الكرّاث إذا خُلِط بمثله من أَلْبانِ النساء ودُهْنِ الوردِ والكُنْدُرِ وكُحِّل به عينُ من أصابتْه غَشَاوةٌ في عينه فلم يُبْصر ليلاً نفعه. وأكلُ البصل نافعٌ لذلك أيضاً.

الكُرْنُبُ والقُنَّبِيط

قالوا: الكُرْنبُ مُعِينٌ على الإكثار من النبيذ إذا أُكِل، وهو مُدِرٌّ للبول. وقالت الروم: بين الكُرْنبِ والكَرْم عداوةٌ؛ ولا يَكاد يَصْلُح الكَرْمُ والكُرْنُب إذا تجاوروا. قالت الأطباء: إن احتملت المرأة بِزْرَ الكُرْنب بعد الحَيْض أسهل المنيّ وأفسده ولم يكن معه حمل، وشربُ مائه مع الشِّيح الأرْمَنيّ غير المطبوخ أو ماءِ التُّرْمُس المُنْقَع[3] مُخْرِجٌ لحَبِّ القَرْع[4] من البطن. والقُسْطُ[5] أيضاً خاصّةً بِزْرُه يُفْسِد المَنيّ إذا احتملْتُه المرأة بعد طُهْرِها؛ ومقدارُ ما يُحْتَمل وزنُ درهميْن.

وتقول الروم: الكُرْنب إن طُبخ وخُلِط ماؤه بالحَنْدقُوق[6] وسُقي المرأةَ

---

(١) الكندر: خربٌ من العلك، وهو اللُّبان الذكر.
(٢) استعط به: أي جعل سعوطاً ليشمّ من الأنف.
(٣) المنقع: الذي نقع بالماء ليحلو.
(٤) حبّ القرع: اسم دودٍ يكون في البطن.
(٥) القسط: عودٌ هندي يُتداوى به.
(٦) الحندقوق: نوع من الحشيش، وقيل هو الهبيد أي الحنظل.

التي تأخّر حَيْضُها حاضت لِحينها.

قالوا: وإذا خُلط ماءُ الكُرْنب بالبَنْج[1] كان نافعاً للسُّعال.

قال أبو محمد: شكوتُ إلى حُنَيْنٍ الطبيب عِلَّةً كنتُ أجِدُها في حَلْقي لا أكاد أبتلِعُ معها رِيقي؛ فقال: هي بيّنة في عينك. فتَغَرْغَرْ بعَقِيد العنب مع خميرٍ ثلاثةَ أيام في كل يوم ثلاثَ مرات؛ ففعلتُ ذلك يوماً واحداً فذهب.

قالوا: وإذا دُقَّ الكُرْنُبَ وخُلِط به شيءٌ من زَاج[٢] الأساكِفة وشيءٌ من خلّ، فأُوجِف[٣] ذلك بالخطْمِيّ[٤]، ثم طُلِي به بَرَصٌ أو جَرَبٌ نفع بإذن الله تعالى.

السَّلْجَم[٥] والفُجل

تقول الأطباء في الفجل: إنّه مهيِّج للجماع زائدٌ في المَنِيّ، وبِزْرُه نافعٌ من السموم قالوا: والفُجل هاضِمٌ للطعام، فإن أُكِلَ بِزْرُه بعسل كان دواء من السُّعال والفُوَاق[٦]؛ وإذا شُدِختْ[٧] قطعةُ فجل فطُرِحت على عَقْرب ماتتْ؛ وماؤه وبِزْرُه للسموم بمنزلة التِّرْياق[٨]. وإذا طَلَى أحدٌ يدَه بمائه ثم قبض على

(١) البَنْج: هو الشيكران بالعربية، نبتٌ له قضبان غلاظ وورق عراض وثمره شبيه بالجلنار مملوء ببزر الخشخاش.

(٢) الزاج: الشَّبّ اليماني.

(٣) أوجف: حرّك.

(٤) الخطمي: نبات ينفع في الأمراض الصدريّة والرشوحات.

(٥) السّلجم: هو اللفت، وبزر هذا النبات يهيج شهوة الجماع وقلوب ورقة تؤكل مطبوخة فتدّر البول. وبزره يستعمل في أخلاط بعض الأدوية المعجونة النافعة للسموم.

(٦) الفواق.

(٧) شدخت: قطعت وشرّحت.

(٨) التّرياق: دواء السّموم فارسيّ معرّب.

حيَّـةٍ أو غيرهـا من الهوامّ لم يُضَـارَّ ذلك المـوضعُ. قـالوا: وإن دُقَّ بِـزْره مـع الكُنْدُر[1] وطُلِي به البَهَقُ الأسودُ[2] في الحمّام أذهبه. وإن شرِب مـاءُ ورقِهِ نفَـع من الأَرَقانِ[3] الحادِث من الطِّحال.

البَاذِنْجَان

قالوا: والباذِنْجان مُكْلف[4] للوجه يُورِث داءَ السَّرطانِ والأورامَ الصُّلْبَـة. وحدّثني أبي عن أبي الحارث جُمَّيزٍ أنه سمعـه يقول في البـاذِنْجان: لا آكلُه، لون العقرب وشبه المِحْجَمة. قيل له: فقد رأيناك تـأكله على خِوَانِ فـلانٍ! قال: كان مَيْتةً وأنا مُضطَرّ.

الخِيَار والقِثّاء

قالوا؛ شَمُّ الخِيَار نافع لمن أصابه الغَشْيُ[5] من الحرارة. وبِزْر القِثّاءِ إذا شربه من به حُمّى الأسى[6] نفعه. وإن أصابت رضيعاً حُمّى فألزقتَ به خِيارتينِ تَمَسّان جلدَه إحداهما عن يمينه والأخرى عن شِماله، أقلعت الحُمّى عنه.

السِّلْق

قـالوا: والسِّلق إن دُقّ مـع أصله وعُصِـر مـاؤه وغُسِـل بـه الـرأسُ ذهب بالأتربة وأطال الشعر.

---

(١) الكندر: ضربٌ من العلك وهو اللُّبان الذكر.

(٢) البهق الأسود.

(٣) الأرقان أو اليرقان: داءٌ يصيب الناس يصفرّ منه الوجه.

(٤) المكلف: المغيّر للوجه بحمرة كدرة تعلوه تسمّى الكَلف وتعرف بالنّمش.

(٥) الغشيُ: تعطّل أكثر القوى المحرّكة للإنسان «كالإغماء».

(٦) حمّى الأسي: كذا بالأصل، ولعلّه (الأسر) وهو احتباس البور.

الهِلْيَوْن[١]

قالوا: والهِلْيَوْن مُدِرٌّ للبول، نافع من القُولَنْجِ.

القَرْع

قالوا: إذا شُوِي القرعُ بالنار ثم عُصِر فجُعِل من مائه في أُذُن من اشتكى أُذُنَه نفعه. وإن دُهِنت منابت شعر اللِّحْية بدهن القرْع المُرّ، وقِثّاءِ الحِمار[٢] مُذاباً فيه شِيحٌ أَرْمَنِيّ أسرع فيها نباتُ الشّعر.

البقول

قالوا: والجِرْجيرُ زائد في الباه[٣] والإنعاظِ[٤] مُدِرّ للبول. وتذكر الروم أنّ من أكل الجرجير ثم ضُرِبَ بالسِّياط هوّنَ عليه بعضَ ذلك الجَلْدِ. قالوا: وهو ينفع من ذَفَر الإبِطَين[٥] إذا أُكِلَ على الريق وطُلِيَ الإبِطان بمائه. وتزعم الروم أنّ ماءه ينفع من عَضّة ابن عِرْسٍ.

وقال بعضُ الأطباء: إن ذُرَّ بِزْرُ الجِرْجير مدقوقاً في البيض وحُشِيَ كان ذلك زائداً في الباه والإنعاظِ زيادة بيّنة. قال أبو حاتم عن القَحْذَميّ قال: أكله أعرابيّ فأنعظ شهراً، فقال الفرزدق يَفْخَر به: [طويل]

ومنّا التميميُّ الذي قام أَيْرُه ثلاثين يوماً ثم زَادَهُمْ عَشْرَا

(١) الهليون: نبت طري ورقه كورق الشبت ولا شوك له البته وله بزرٌ مدوّر أخضر ثم يسود ويحمرّ.

(٢) مثاء الحمار: نوع من أنواع القثاء البرّي.

(٣) الباه: النّكاح.

(٤) الانعاظ: إنتصاب الذكر.

(٥) الذفر: الرائحة الكريهة.

قالوا: والسَّذاب[١] قاطع لشهوة الجماع. وقالت الروم: إن أَكَلتِ آمرأةٌ حاملٌ أربعةَ مثاقيلَ كلَّ يوم بماء سُخْنٍ أو نبيذٍ خمسةَ عشر يوماً أسقطتْ ولَدَها.

وقال بعض الشعراء: [مجتث]

كم نعمةٍ للسَّذَابِ جَليلةٍ في الرِّقابِ
الناسُ عنها غُفُولٌ إلّا ذَوِي الألبابِ
فالحمد لله شكراً لولَا مكانُ السَّذَابِ
لَغَيَّبَ الأرضَ نسلُ الـ ـمُغَنِّياتِ القِحابِ

قالوا: والبقلة الحمقاء[٢] إذا مُضغت أذهبتِ الطَّرَشَ، وإذا أُكِلت أذهبتْ شهوةَ الجماع. والروم تقول: إن نظر ناظرٌ عند رؤية الهلال إلى الهِنْدِباء فحلف بإله القَمَرِ ألّا يأكلَ هِنْدِباءَ ولا لحمَ فَرَسٍ، سَلِمَ في كلّ شهْر يحلِف فيه من وجع الضرس.

قالت الأطباء: الخَسُّ إذا أُكِلَ على الريق نافعٌ لتغيير الماء ومن يتأذّى باحتلام. وإذا شُرِب بِزْره بماءٍ قطع شهوةَ الجماع.

قالوا: والخَرْدل إن أُكْثِرَ من أكله أورَثَ ضعفاً في البصر، وهو مُكَثِّر للّبن مُدِرٌّ للبول، وهو نافع من الصَّرْع. وإن اكْتُحِل بمائه بعد أن يُغْلى عليه

(١) السذاب: بقل يفرّع فروعاً تطلع من ساقٍ له قصيرة تتشعب عليه شعب مثل الأغصان، له طبائع وخواص مذكورة في كتب الطب.
(٢) البقلة الحمقاء: يقال: بقلة الحمقاء بالإضافة على تأويل بقلة الحبة الحمقاء، والبقلة الحمقاء بالنعت. قال ابن سيدة: هي التي تسميها العامة الرجلة.

ويُصَفِّي جلا البصَرَ الضعيفَ من الرطوبة. وتزعم الروم أن ماءَه يَصْلُح للأطفال من الحُمّى إذا أصابتهم. وهو يُفسِد الذهن ويُورِثُ النِّسيانَ ويُضعِف البصرَ.

قالت الأطباء: النَّعْناع يُسَكِّن القيء، وينفع من الفُوَاق الحادث من البلغم إذا شُرِب مع النَّمام[١].

وتقول الروم: الحَبَق[٢] الذي على شطوط الأنهار نافعٌ للرَّمَد إذا دُقّ ونُخِل واكْتُحِل به، وإن مضغه ماضغٌ ووضعه على عينه نفعه.

وأما الفُوذَنْجُ[٣] النَّهري - فإنه يُدِرُّ الطَّمْثَ[٤]. وإن أُخِذَ من الفُوذَنْج الجبليّ أُوقِيَّةٌ وطُبِخ بنصف رطل من ماءٍ حتى يبقى الثلثُ ويُشْرَب، سهَّل السَّوْداء.

وقالت الأطباء: الحَنْدَقُوقُ[٥] يُورِثُ وَجَع الْحَلْق، ويَذْهَب بضرره مَن يأكل بعده الكُزْبُرَة الرَّطْبَة والبَقْلَة الحَمْقَاء والهِنْدِباء.

والطَّرْخُون[٦] يُؤكل مع الكَرَفْس.

قالوا: والراسِنُ[٧] ينفع من قِطَار البول إذا كان من بَرْدٍ، ويُقَوّي المثانةَ.

---

(١) النمام: نبت ورقه كالسذاب، له بزر كالريحان، عطري قويّ الرائحة، سمي بذلك لسطوع رائحته.

(٢) الحبق: نبات طيب الرائحة.

(٣) الفودنج النهري: نبت، ويقال فيه فودنج (بإهمال الدال وضم الأول والرابع). وأجناسه ثلاثة: برّي ونهري وجبلي ولكل منها أوصاف، وخواص تجدها مفصلة في مفردات ابن البيطار.

(٤) الطمث: دم الحيض.

(٥) الحندقوق: بقلة وحشيشة كالفث الرطب (شجر ينبت في السهول والآكام وله حب كالحمص) وقيل هو الهبيد، والهبيد: الحنظل، نبطيّ معرّب ويقال لها بالعربية: الرزق.

(٦) الطرخون: قال ابن البيطار: الطرخون: بقلة معروفة عند أهل الشام وهي قليلة الوجود بمصر. وقال أبو حنيفة: ورقة طوال دقاق.

(٧) الراسن: نبات يشبه الزنجبيل.

قالوا: والكَشُوث[1] يَذْهب بالأَرَقانِ.

قالوا: وعِنَبُ الثعلب قاطعٌ لدم الحيض إن شُرِب أو احْتُمِل.

وقـالوا؛ الكَـرَفْسُ[2] إذا طُبِـخ وشُـرب كـان دواءً من وجـع الكُلْيَتَيْن ومن الأُسْرِ[3].

باب الحبوب والبزور

تقـول الأطبّـاء في حَبّ الفُلْفُـل: إذا خُلِط بـالسِّمْسِم وعُجن بعسـلِ الطَّبَرْزَذ[4] يَزيد في الجماع.

والعـرب تـزعمُ أنّ الحبّـة الخضـراءَ وشُـرْبَ ألبـان آلإِيَّـلِ[5] عليهـا تبعَثُ الشَّهوةَ.

قال جرير: [طويل]

أجِعْثِنُ قـد لاقَيْتِ عِمـرانَ شَـارِبـاً   على الحبّـة الخضـراءِ ألبـان إيَّـل[6]

والحِمّص زائـد في الجِماع، مُكْثِـرٌ للمَنيّ، محسِّن لِلّون، زائِدٌ في لبن المُرْضِع، يُدِرُّ دَم الحيض، وإن خُلِط بالبَاقِلاء أسمَنَ.

الأصمعيّ قال: قلت لابن أبي عُطارد: بلغني أنّ أبـاكَ كان ذا منـزلةٍ من ابن سِيـرين، فما حَفِـظتَ عنه؟ قـال قـال أبي: قـال لي ابن سيـرين: يـا أبـا عُطارِد، إن سَوِيق العَدَس بارد وهو يَدفعُ الدَّمَ.

---

(١) الكشوث: هو شيء يتعلّق بالنبات مثل الخيوط يشرب بين ماء النبات الذي يتعلّق بـه ولا أصل له في الأرض ويكثر في الكروم الرطبات.

(٢) الكرفس: نبت معروف وهو من أحرّ البقول عظيم النفع.

(٣) الأسر: احتباس البول.

(٤) الطبرزذ: السكر الأبيض الصلب.

(٥) الإيّل: جمع أيِّل، وهو ذكر الوعول.

(٦) جعثن: اسم امرأة وهي أخت الفرزدق.

قالت الأطبّاء: إنّ الخَرْدَلَ نافعٌ من حُمّى الرِّبْعِ[١] والحُميات المتقادِمة ووجع الأرحام ويُجَفِّف من البلغم، ويُنْزِل الرطوبةَ من الرأس، وإن أُكِل مع السِّلْق المسلوق نفع من الصَّرْع، وإن طُلِيَ البَرصُ به زال.

وقالت الأطبّاء: الحُرْفُ[٢] يُخْرِج حَبّ القَرْع من البطن، وينفَع من عِرْق النَّسَا[٣] ووَجعِ الوَرِكِ. وإن سُخِّن بالماء الحارّ وشُرِب منه وزنُ أربعةِ دراهمَ أو خمسة أسهلَ الطبيعةَ[٤] ونفَع من القُولَنْج.

وقال رجل من قُدماء الأطبّاء في البَاقِلاَء: إنه إذا أُدْمِن أَكَلَّ[٥] البصَر، وأحال الأحلامَ أضغاثاً[٦] لا يُنْتَفَعُ بها ولا يجد عابرُ الرؤيا إلى تأويلها سبيلاً.

ودهن الشَّاهْدَانِجِ[٧] نافعٌ لوجع الأُذن العارض من البَرْد والعِلَل المتقادِمة منها.

باب الفاكهة

عن مَعْمَر بن خُثَم عن جدّته قالت: سمعت عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: إذا أكلتُم الرُّمَّان فكلوه بشَحْمه فإنه دِباغ للمَعِدة، وذلك يوم الجمعة على المِنْبر.

---

(١) حمّى الرِّبع: هي الحمّى التي تأتي في اليوم الرابع.
(٢) الحُرف: حب الرشاد.
(٣) عرق النسا: هو عرق في الإنسان يمتدّ من الورك حتى طرف القدم.
(٤) أسهل الطبيعة: أي ساعد على إخراج الثفل والرّيح.
(٥) أكلّ البصر: أضعفه.
(٦) الأضغاث: جمع ضغث، وهي الرؤيا التي لا يصحُّ تأويلها لاختلاطها.
(٧) الشاهدانج: القنّب، وهو نبات ذو قضبان طويلة منتن الرائحة له حبٌّ مستديريؤكل وتتخذ منه حبال قوية.

الأصمعيّ: قيل لأعرابيّ: لِمَ تُبْغِض الرمّانَ؟ قال: لأنه مَبْخرة مَجْفَرة مَجْعَرة[١].

قال: وقال يحيى بن خالد: شيئانِ يُورِثانِ القملَ: التّينُ اليابس إذا أُكِلَ، وبخار اللُّبان[٢] إذا تُبُخِّر به.

وقالت الأطبّاء: ورقُ الخوخ وأقماعه إن دُقّ وعُصِر وشُرِب أسهل حبَّ القَرْع والدِّيدانَ والحيّاتِ المتولِّدَة في البطن، وإن صُبّ ماءُ ورقه في الأذن أمات الدّيدانَ فيها، وإن تُدُلِّك بورقه بعد النُّورَة[٣] قطع ريحَها.

وحُمّاضُ الأُتْرُجّ[٤] إن لُطِخ به الكَلَفُ والقُوبُ[٥] أذهبه. وحَبُّ الأُتْرُجّ نافعٌ من السّموم.

وورق التُّفّاح الغضُّ إن دُقّ بالرِّفق أيّاماً خمسةً أو ستةً ثم ضُمِد به الوَشْمُ[٦] قلعه من غير أن يَقْرَحَ موضعَه.

عن الزُّهريّ قال: حدّثني رجلٌ من أصحاب رسول الله ﷺ قال: «من بات وفي بطنه جَزَرةٌ أو جَزَرَتانِ أو ثلاثٌ أَمِن القُولَنْج والدُّبَيْلة[٧]».

والفُسْتُق: إن دُقّ وشُرِب بالمطبوخ الشديد نفع من لَسْع الهَوَامّ.

---

(١) المبخرة من البخر وهو الرائحة الكريهة للفم، ومجفرةٌ: أي يذهب شهوة الجماع ومجعرة: يريد يبس الطبيعة «الإمساك».

(٢) اللُّبان: الكندر، وهو ضرب من العلك.

(٣) النُّورة: حجر الكلس، ثمّ غلبت على أخلاط تضاف إلى الكلس، كالزرتبخ وغيره، وتستعمل لإزالة الشعر.

(٤) الأترجّ: كثيرٌ بأرض العرب يغرس غرساً، ورقه مثل ورق الجوز وهو طيّب الرائحة، فقاحه شبيه بنور النّرجس إلّا أنه ألطف منه.

(٥) القوب: من القوباء، وهو داء يظهر في الجسد يتقشّر منه الجلد ويسقط الشعر.

(٦) الوشْمُ: العلامة في اليدّ أو غيرها.

(٧) الدّبيلة: خرّاج ودمّل كبير، تظهر في الجوف فتقتل صاحبها غالباً.

واللُّفَّاح[1]: سمّ، وربما قتل آكلَه. وتُدفع مضرّتُه بالقيءِ بالشَّراب والعسل والإسهال وشَمِّ الفُلْفُل والخردلِ والجندبادستر[2] والسَّذاب والتَّعطُّس.

قال وحدّثني شيخٌ من الدَّهاقِين[3] عالمٌ بأيام العجم: أن بُزُرْجِمهْر قال لأهل الحبس: سلُوا الملك أن يَرْزُقَكم مكان الأُدْمِ الأُتْرُجَّ، ليكون القشر لطيبكم، ولَحمتُه لفاكهتكم، والحُمّاض لصباغكم، والحَبّ لدُهنكم. فكان ذلك أوّل ما عُرِفت به حكمته.

باب مصالح الطعام

قال رئيس من رؤساء الطبّاخين: العجينُ يُمْلَك. وفي الحديث المرفوع: «أمْلِكوا[4] العجينَ فإنه أحدُ الرَّيْعيْن».

السَّويقُ: يُغْسَل بالماء الحارّ مرّاتٍ ثم بالبارد ويشرب.

والمِلْح: يُتَقَبّل به الطبيخُ.

والخَلُّ: يُنْضِج العَدسَ ويُصلِحه للأكل.

البَاقِلّي: يُنْقَع ثم يُطبخُ. ولا يُؤكلُ من الفاكهة إلا ما نَضِج على شجره، ويُلْقى ثُفْلُه وعَجَمُه[5]، ويؤكَل على ريق النَّفْس.

والعِنَب: يُقطف ويمهل أيّاماً ثم يؤكل. ولا يُؤكل من القِنَّب[6] إلا لُبُّه.

---

(١) اللُّفاح: ثمر اليبروح، وهو أصفر طيّب الرائحة ثمره شبيه بحبّ الكمثري، واللفّاح أيضاً: نوع من البطيخ صغير جسمه مخطط، ورائحته طيبة الشمّ.

(٢) الجندباء ستر: نبات فارسي معرّب.

(٣) الدّهاقين: التّجار، أو رؤساء المقاطعات والأقاليم.

(٤) أملكوا العجين: عجنه فأنعم عجنه وأجاده، والرَّيع: الزّيادة.

(٥) عجَمُهُ: نواه.

(٦) القنّب: نبات منتن الرائحة له حبُّ مستدير يؤكل، وتتخذ منه الحبال.

ولا يؤكل من الرأس إلا أسنانُه[١] وعيونُه.

البـاذِنجان: يُشَقّ ويُحشى بـالملح، ويترك سـاعةً في المـاء البـارد، ثم يصبّ عنه ويعـاد إلى الماء مراراً، ثم يُسْلَق بعد ذلك.

الكَبَرُ[٢]: يؤكَل بالخَلّ بعد غسله بالماء من الخلّ.

الزيتون: يؤكَل وسط الطعام ويُصَبّ في الخل.

ويؤكل من الأُشْتُرغاز[٣] خلّه ولا يُعرض لجسمه.

والكَمْأةُ: تُنَصَّفُ ويُقْشَر عنها قِشرُها، وتُسلقُ بالمـاءِ والمِلح ثم تُستعمل بالسَّعْتَر[٤] والفُلْفُل، وتُقلى بالزَّيْتِ الرِّكابِيّ[٥]، وكذلك الفُطْر.

السِّلْقُ والكُرُنُبُ: يُسْلَقانِ بالماءِ والمِلح، ويُصَبُّ ماؤها ثم يُستعملانِ.

والبقولُ: تمسحُ ثم تؤكَل ولا تُغسل بالماءِ.

وأحْمَد التُّمورِ الهَيْرون[٦]. وأحْمَد البُسُور الجَيْسَرانُ[٧]. وما اصفرَّ أحْمَـدُ مما اسوَدّ.

وخير السَّمكِ الشَّبُّوط والبَنَانيّ والمَيّـاح[٨]. ولا يؤكَل السَمـك الطَّرِيّ إلا

---

(١) كذا بالأصل ولعلّه يريد لسانه.

(٢) الكبرُ: شجرٌ صغيرٌ شائك أبيض الزّهر، جميلُه.

(٣) الأشترغار: تأويله بالفارسيّة شوك الجمال، ترعاه الإبل.

(٤) السّعتر: «الصعتر» نبات معروف.

(٥) الزّيت الرّكابي: أي الزّيت المنسوب إلى الرّكـابية وهـو موضـع على عشرة أميـال من المدينـة ويـرى ياقـوت أنّ ذلك وهمـاً لأنّ تلك النّواحي قليلة الـزيت إنّما يجلب إليهـا من الشـام على الرّكاب فهو منسوب إليها.

(٦) الهيرون: البّري من التمر والرُّطب.

(٧) الجيسران: جنسٌ من أفخر النخل.

(٨) الشّبـوط: ضربٌ من السمـك دقيق الذنب عـريض الوسط صغيـر الرأس والبناني والميّـاح كذلك أنواع من الاسماك.

حارًّا بالخَرْدل في الشتاء، وفي الصيف بالخَلّ وبالأبَازير[١]. وأقَلّ السَّمك أذىً المَمقُور[٢]. وشرُّ السمك كِباره السمارِيسُ[٣]. وخيرُ السمارِيسِ البِيضُ، وأكلها خيرٌ من أكل الحمرِ، وشرُّها السّودُ.

وخيرُ البَيْضِ بَيْضُ الشَّوابّ[٤] من الدَّجاج، ولا خيرَ في بَيْضِ الهَرِمةِ. وأخفّ البَيْضِ الرقِيقُ، وأثقلُه البيضُ الصلب.

ولا يُعْرَضُ من الرأسِ للدِّماغِ ولا لِلّسانِ، ولا الغَلْصَمةِ[٥] ولا الخَرَاطِيم.

ولَحْمُ العُنُقِ خفِيفٌ سرِيعُ الإنهضام. وفي الحديثِ المرفوع: «العُنُقُ هادِيةُ[٦] الشاةِ وهي أبعدُها من الأذى».

والفُقَّاعُ[٧]: يُشرَبُ قبل الطَّعامِ ولا يُشرب بعده.

واللَّبنُ: لا يُؤكَلُ ولا يشرب إلا بعد وضْع الشاة بشهرٍ ونحوه.

والبَاقِلِيُّ[٨]؛ يُؤكَل بعد الفُوذَنجُ[٩] فإنه يَذْهَب بنفخته.

اللُّوبِيَاءُ: يؤكل بعده الخَرْدَلُ الرَّطْب، ويُشرب بعده ماء الرُّمَّانِ

---

(١) الأبازير: التوابل.

(٢) الممقور: الحامض المنقوع في الخلّ أو الماء والملح.

(٣) السّماريس: صنفٌ من السمك، رأس المملوح منه إذا أحرق قلع اللحم الزائد في القروح ومنع القروح الخبيثة من أن تسعى في البدن ويقلع الثآليل.

(٤) الشّواب: الفتيّات.

(٥) الغلصمة: رأس الحلقوم بشواربه «عروق في الحلق» وحرقدته (عقدة الحلق).

(٦) الهادية: أوّل كلّ شيء.

(٧) الفقاع: شراب يتخذ من الشعير، يعلوه الزّبد.

(٨) الباقليّ: الباقلاء، الفول.

(٩) الفوذنج: فارسيٌّ معرّب.

والسَّكَنْجَبِين[1] المعمول بالسّكرِ.

الهَرِيسةُ[2]: تُؤكَل بالفُلْفُل الكثير والمُرِّيّ[3] ولا يُجعل فيها السَّمْنُ.

والمَضِيرة[4]: تُطْبَخ بالفُوذَنج والسَّذابِ والكَرَفْس.

الزّيْتُ الرِّكابِيّ: إذا خُلِط بالخَلّ أو أُغْلِيَ على النار ثم رُفِعت رُغْوتُه عاد كالمغسولِ. وفي الحديث: أن عمر رضي الله عنه قال: عليكم بالزّيْتِ، فإن خِفْتم ضَرَره فأثخنوه بالماء فإنه يصير كالسَّمْنِ.

عن عُقْبَة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالشّجرةِ التي نادَى اللهُ منها موسى عليه السلام زيت الزّيتون ادَّهِنوا به فإنه شِفاءٌ من البَاسُورِ».

الخَرْدَلُ: يُعْجَن بالخَلّ ويُغسل بالماءِ ورَمادِ البَلُّوط أو رمادِ الكَرْمِ مِراراً بعد أن يُنْعَمَ دَقُّه ونَخْلُه، ثم يُغسل بالماءِ القَراح ويُرَشّ بالماء حتى تخرُجَ رغوته ويكثر خَلُّه، ويُخْلَط معه اللَّوزُ الحُلْو أو ماءُ الرُّمانِ الحامضِ وماءُ الزَّبيب.

صورة ما جاء بخاتمة الجزء التاسع من النسخة الخطية التي نقل عنها الأصل الفتوغرافي.

تمَّ كتاب الطعام وهو الكتاب التاسع من عيون الأخبارِ لابن قتيبة، ويتلوه في الكتابِ العاشِرِ كتابُ النساءِ. والحمد لِلهِ ربِّ العالمين، وصلاتُه على خيرِ خَلْقه محمدٍ وآله أجمعينَ.

وكتبه الفقيرُ إلى رَحمة الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد بن عليّ

(١) السّكنجين: شرابٌ من خلّ وعسل.

(٢) الهريسة: طعام من اللحم والقمح المدقوق.

(٣) المرّي: الذي يؤتدم به، ويسمّى الكامخ، وأجوده المتخذ من الشعّير.

(٤) المضيره: اللحم المطبوخ باللبن الماضر أي الحامض.

الجزرِيّ الواعظ، في شهور سنة أربع وتسعين وخمسمائة هجرية.

نجز كتاب الطعام ويتلوه في الجزء العاشر كتاب النساء.

جاء بعد خاتمة الجزء التاسع من النسخة الخطية التي نقل عنه الأصل الفتوغرافي ما يأتي:

قال الأصمعيّ: دخلتُ على هارونَ الرشيدِ وبين يديه بَدْرةٌ[1]، فقال: يا أصمعيّ، إن حدّثتَني بحديثٍ في العَجْزِ[2] فأضحكتني وهبتُك هذه البدرة؛ فقال: نعم يا أمير المؤمنين؛ بينا أنا في صَحَارَى الأعرابِ في يومٍ شديدِ البردِ والرّيح وإذا بأعرابيٍّ قاعدٍ على أجَمَةٍ[3] وهو عُرْيان، قد احتملت الرِّيحُ كِساءَه، فألقَتْه على الأجمةِ؛ فقلت له: يا أعرابيّ؛ ما أجْلَسَك هاهنا على هذه الحالةِ؟ فقال: جاريةٌ وعدتُها يقال لها سَلْمى، أنا منتظر لها؛ فقلت: وما يَمْنَعُك من أخذِ كِسائِك؟ فقال: العَجْز يوقِفُني عن أخْذِه، فقلت له: فهل قلت في سَلْمى شيئاً؟ فقال: نعم؛ فقلت: أسمعني لِله أبُوك! فقال: لا أُسْمِعك حتى تأخذ كِسائي وتُلْقِيه عليَّ؛ قال: فأخذتُه فألقيتُه عليه، فأنشأ يقول: [وافر]

لعلّ الله أن يأتِي بسلمى فَيَبْطَحَها ويُلقِيني عليها
ويأتي بعد ذاك سَحَابُ مُزْنٍ تُطَهِّرنا ولا نَسعَى إليها[4]

فضحك الرشيدُ حتى استَلْقى على ظهره، وقال: أعطوهُ البَدْرَة، فأخذها الأصمعيّ وانصرف.

ويُروى أن الحسن بن زَيْد لما ولي المدينةَ قال لابن هَرْمة: إني لستُ

---

(١) البدرة: الكيس من الدراهم.
(٢) العَجْز: الضعف والتواكل.
(٣) الأجمة: مكتان فيه قصب، «أو هو التلّة».
(٤) السّحاب: الغيم، والمزن: المطر.

كمَن باعَك دِينَه رجاءَ مدْحِك أو خوفَ ذمّك، فقد رزقني الله بولادة نبِيّه عليه السلام المَمَادِح وجنّبَني المقابحَ، وإنّ من حقّه عليّ ألاّ أغْضِي[1] على تقصيرٍ في حقّ ربّه. وأنا أُقْسِم لئن أُتيتُ بك سَكرانَ لأضربَنّك حدّاً للخمر وحدّاً للسكر[2]، ولأزِيدنّ لموْضعِ حُرْمتك بي. فليَكُنْ تركُك لها لله تُعَنْ عليه، ولا تَدَعْها للناس فتُوكَل إليهم؛ فنَهَض ابن هَرْمة[3] وهو يقول: [وافر]

نَهاني ابنُ الرسولِ عن المُدَام ... وأدّبَني بآدابِ الكِرامِ[4]
وقال لِيَ آصطبِر عنها ودَعْها ... لخوفِ اللهِ لا خوفِ الأنامِ
وكيف تَصَبُّري عنها وحبّي ... لها حبٌّ تمكّن في عِظامي
أرى طِيبَ الحلالِ عليّ خُبْثاً ... وطِيبَ النفسِ في خُبْثِ الحَرامَ

ذكر هذا الخبر أبو العباس المبرّد في كتاب الكامل.

(١) أغضى طرفه: خفضه، هنا بمعنى أتغافل.
(٢) الحدُّ في الخمر والسكر: الجلْدُ.
(٣) ابن هرمة: هو ابراهيم بن علي بن سلمة بن هرمة الكناني القرشي. ابو اسحاق. شاعر غزِلٌ من سكّان المدينة. من مخضرمي الدولتين الاموية والعباسية.
(٤) المدام: الخمر.

فهرس

المجلد الثالث من كتاب عيون الأخبار
لابن قتيبة

صفحة

كتاب الإخوان

صفحة

كتاب الحوائج

كتاب الطعام

صفحة